المشاكلة

دلالتها ومواقعها في القرآن الكريم

إعداد

د. محمد عبد العليم الدسوقي

الألوكة

alukah.net

المشاكلة

دلالتها ومواقعها في القرآن الكريم

إعداد

د. محمد عبد العليم الدسوقي

أستاذ البلاغة والنقد

في كليتي الدراسات العليا واللغة العربية جامعة الأزهر بالقاهرة

دار الحرم للنشر والتوزيع

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المشاكلة
لتها ومواقعها في القرآن الكريم

المشاكلة

دلالتها ومواقعها في القرآن الكريم

أطروحة تم التقدم بها لنيل درجة التخصص (الماجستير)

في البلاغة والنقد من كلية اللغة العربية

جامعة الأزهر بالقاهرة

إعداد

د. محمد محمد عبد العليم دسوقي

أستاذ البلاغة والنقد في كليتي

الدراسات العليا واللغة العربية جامعة الأزهر بالقاهرة

إشراف

أ.د. محمد محمد أبو موسى

الأستاذ ورئيس قسم البلاغة والنقد الأسبق بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالقاهرة

شيخ البلاغيين.. ووريث المدرسة الشاكرية (محمود شاكر).. وحامل لواء الدعوة إلى البيان العربي وعضو هيئة كبار العلماء بالأزهر

دار الحرم للنشر والتوزيع

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المقدمـــــــــــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه وتستغفره، ونتوكل عليه ونثني عليه الخير كله، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا ثم أما بعد :

فما لا شك فيه أن القرآن قد نزل هداية وقيادة ومنهجًا قويمًا للحياة، ومعجزة بيانية لنبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، نزل القرآن ليتحدى العالمين بجماله الفني وجلاله الأسلوبي وتأثيره النفسي، وإعجازه البياني، وبلاغته المسيطرة، وبديعه الذي جيء به لبسط المعنى وإظهاره –لا لمجرد تحسين الكلام وتزيينه .

فأبدعتْ في أنواع البديع كلماته وأغربت في أجناس التجنيس سوره وآياته ورمت أرباب الفصاحة بالجمود والعيِّ فصاحته وجزالته، فكان أن جذب العقول وأخذ بالقلوب، وتوجهت إليه الأنظار والأفئدة على مدى القرون المتطاولة تتلمس ما فيه من أسرار الإعجاز وسمات الجمال، ويغترف من نبعه الفياض القاصي والداني، فكلما جاء قرن انبعث علماؤه لتقديم جديد يناسب ثقافتهم وعصرهم في محاولات دائبة تُخرج في الدوحة البلاغية شطأ جديدًا.

ولكن العجيب أن الكثرة الكاثرة التي أُلِّفتْ في علوم القرآن وبلاغته بخاصة، قد صدروا عنه و لم يَشفوا غليلهم، وقد ردد هذا الملحظ الباقلاني وعبد القاهر الجرجاني والزمخشري وابن الأثير والرافعي وغيرهم، وكيف لا؟ وهذه المعجزة الخالدة هي عند الله تعالى يمنح من شاء ما شاء من جمالها وأسراها، ويتيح بما

أعطى من مواهب وملكات إدراك ما قدّر من وحي نظمها.

ذلك أن التسامي إلى فهم مراد الله على وجه التعلم بعيد، وكتاب الله كما يقول الزركشي بحر عميق لا يصل عمقه إلا من تبحر في العلوم، وعامل الله بتقواه، وأوصل روحه بهذا الجناب الأقدس، كيف لا؟ وقد أنزله رب العزة ليهدي به للتي هي أقوم ويبشر به المؤمنين وينذر به قومًا لدًا، كيف لا؟ وهو الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[فصلت: ٤٢]

وها هي هذه الدراسة تقف أمام حياضه وأزهاره وأنواره، تحاول أن ترتشف رشفة من أنهاره، وتقتطف زهرة من ثماره، وتستضئ بقبسه من أضوائه، لنتعرف على أعتاب واحدة من أفانين كلامه وبديع معانيه وجمال ألفاظه، وعذب حديثه وحلو كلامه .

فللمشاكلة في القرآن روعة أداء لا تعادلها روعة ولا يستطيع مجاراتها أحد، ولها فيه مآثر ومحاسن لا يحصيها عدد، وللحقيقة فإن الدوافع وراء اختيار موضوع المشاكلة بالذات كثيرة، وأن كان لابد من ذكر بعضها فهو إرادة الوقوف على بعض أسرار القران وجمال أسلوبه من خلال لون كثر وروده في كتاب الله جل وعلا، ففاق في بيانه كل حدٍّ، وعلا في أسلوبه كل أحد، فضلا عما يحتويه أسلوب المشاكلة من محاسن ومآثر لا توجد في غيرها، لكون هذا اللون بالذات شديد التعلق بكثير من صفات المولى جل وعلا، وقد خاض في ذلك الخائضون وتحدث فيه الكثيرون من علماء البلاغة بما لم يشف الغليل، فكان لا بد من التكملة لما بدءوا، والتنبيه لما تجاوزوا فيه وإدراك ما فاتوه من تقسيم وتنويع .

وحريٌّ بنا في هذا المقام ونحن نستعرض هذا اللون من فنون القول في كتاب الله سبحانه، أن نقارن بين أسلوبه وأساليب الضاربين في بلاغة الكلام وفصاحة الكلم

بسهم، لنرى مدى ما تميز به كتاب الله من تصوير بياني وأداء فني فاق كل تخيل، وأذهل كل عقل، وأدعش كل لب، وإن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألق السمع وهو شهيد.

ولكن من الضروري وقبل أن نعرض للمشاكلة في القرآن الكريم لنستكنه مواقعها ونتعرف على محاسنها ونقف على أنواعها لنطابق ونقابل ونقارن بين استخداماتها في هذا الكتاب المنزل من السماء وبين غيره، أن نتوقف عند معناها في لغة العرب واصطلاح البلاغيين ونتعرف على أقسامها سواء ما توصل إليه قدماء البلاغيين الذين استقرّت على أيديهم علوم البلاغة، أو ما توصل إليه من بعدهم، أو ما أضيف في هذا البحث من أنواعٍ أظن أن أحدًا لم يتطرق إليها من قبل، ثم نستوضح مراحل التطور للمشاكلة من الناحية الفنية ومن حيث النشأة، كما يجب أن نتعرف أيضًا على مدلولها ومن أي أنواع الكلام هي؟ ونُميط اللثام عما إذا كانت المشاكلة من قبيل الحقيقة أم أنها من قبيل المجاز .

فكان أن جاء هذه الدراسة عن المشاكلة في مقدمة وبابين وستة فصول وخاتمة ..

تعرضتُ في (**الباب الأول**) لمعنى المشاكلة وتطورها ودلالتها «فقسَّمتُه، ثلاثة فصول، خصَّصتُ **الفصل الأول** منها بالحديث عن معنى المشاكلة من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية وتعرضتَ حيال ذلك لتعريفها المتداول فشرحته وأخرجت محترزاته مستضيئًا في ذلك بأقوال علماء البلاغة وشروحهم وتفاصيل أقوالهم وشواهدهم، كما تعرضتُ أيضًا لتعريفات البلاغيين لها من بداية ظهورها كمصطلح بلاغي، وربطتُ بين هذه التعريفات من يوم أن بزغ فجر معرفة حد هذا اللون من ألوان الكلام ورسمه، واتضحت معالمه على يد الفراء، وإلى أن استقرَّ أمرُها على يد السكاكي والخطيب القزويني بل والى وقتنا الحاضر.

ثم تكلمتُ عن أقسام المشاكلة غير مكتف في ذلك بما ساقه الخطيب بل أفضتُ بالشرح والتحليل في سائر أنواعها الأخرى، والتي أشار إلى بعضها بعض شُرّاح التلخيص من أمثال أبي يعقوب المغربي – في كتاب (مواهب الفتاح شرح تلخيص المفتاح) – وغيره، وبيَّنت كيف أن المشاكلة غير مقصورة على الوقوع في الصحبة اللفظية فقط بل تتعداها إلى صحبة الضد، وصحبة المماثلة، وصحبة التلبس، وصحبة المعنى، وأوضحتُ أن لكلٍّ من هذه الأنواع صورًا تأتي فيها المشاكلة وضربت لذلك من الشواهد والأمثلة ما يُبيِّن ذلك، ويُزيل غموضه وإبهامه .

أما الفصل الثاني: فقد جعلتُه في الحديث عن التطور التاريخي والفني للمشاكلة واستعرضتُ فيه مظاهر هذا التطور لذاك اللون من ألوان البديع، فكان أن جاء في مبحثين :

المبحث الأول: تكلمتُ فيه عن تطور المشاكلة من الناحية التاريخية وذلك لبيان مظاهر التطور من الناحية النظرية، ولدراسة أقوال وآراء وأفكار العلماء عن المشاكلة، وما أضافوه إليه، وكيفية ربطهم بين هذا اللون من المحسنات البديعية وبين سائر أنواع البديع الأخرى التي يوجد بينها وبين المشاكلة صلةُ قرابةٍ وتشابه وجوهٍ، كالجناس والمزاوجة والمقابلة والمجازاة وغيرها، ومدى العلاقة التي تربط بين هذه الأنواع من الكلام وبين ما نحن بصدده.. فتحدثتُ عن المشاكلة قبل القرن الثالث الهجري وكيف أنهم اصطلحوا على تسميتها بالمجازة تارة، وبالاتساع في اللغة أخرى، كما تحدثتُ بعد ذلك عن مظاهر توصل البلاغيين لها ووضع أيديهم على مفهومها، وبيَّنت أن أوَّل من بدأتْ ميلاد فكرة المشاكلة على يديه هو الفراء أبو زكريا يحيي بن زياد ت سنة٢١٠ هـــ ثم تكلمت التفصيل عن جهوده علماء البلاغة بعد ذلك وما أضافوه خلال القرن الثالث والرابع والخامس الهجري، وإلى أن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ظَهرتْ معالمها واتضحَت صورها على يد السكاكي والخطيب إبان القرن السادس والسابع الهجري ثم تعرضت إلى جهود بعض المُحدَثين في هذا المضمار لإيضاح أن المشاكلة لم ترَ منهم ولا من غيرهم جديدًا إلى يومنا هذا .

ثم استعرضتُ في المبحث الثاني مظاهر تطور المشاكلة من الناحية الفنية ومن حيث الاستخدام البياني، وأخذت أقارن بين استخدامات المشاكلة في كلام العرب، مختارًا في ذلك شعر أصحاب المعلقات لبيان ما جاء فيها من مشاكلة وكيفية استخدام شعراء الجاهلية لهذا اللون من ألوان الكلام، وكيف أنه قد جاء في كلامهم عفْوًا دون ما قصد إليه، كما جاء أيضًا في أحاديث الرسول **صلى الله عليه وسلم** على نحو ما اعتاده العرب وإن اختلفت المقامات والأغراض التي جاءت بها المشاكلة على خلاف المألوف من كلام الجاهليين وأوضحتُ هذه المقامات وأمطت اللثام عنها، ثم تعرضتُ أخيرًا لنموذج من شعراء العصر العباسي وهو المنتهى فاخترتُ له من قريض الشعر ما يقارب ما اخترته من المعلقات ثم عقدتُ بعد ذلك المقارنات بين هذه الأساليب جميعها وبيَّنتُ أوجه الاتفاق والاختلاف، كما أوضحتُ بذلك مظاهر التطور من الناحية التطبيقية العملية لتكون متممة لما بدأتُه قبلًا من حديث عن تطور المشاكلة من الناحية النظرية، ثم أجملتُ ذلك في خلاصة أوضحت فيها المراحل الخمس التي مرت بها المشاكلة ليأتي بعد ذلك .

الفصل الثالث: وقد أفردتُه للكلام عن مدلول المشاكلة وهل هي من قبيل الحقيقة أم من قبيل المجاز أم أنها واسطة بينهما، فبنيتُ فيه آراء العلماء، وأوضحتُ أنهم في ذلك مشارب فمن ذاهبٍ إلى أنها تجامع المجاز المرسل لعلاقة السببية، ومن ذاهب إلى أنها تجامعه لعلاقة المجاورة، ومن ذاهب إلى جعل العلاقة هي التضاد، وآخر إلى جعلها من المماثلة، ورابع إلى المصاحبة، ومن علماء البلاغة من قال أنها

تجامع الاستعارة، وآخرون إلى أنها حقيقة، وغيرهم إلى أنها واسطة بينهما، وبينتُ هذه الآراء التفصيل وضربتُ لذلك من الأمثلة والشواهد ما يجلى ذلك ويوضحه، ثم وفَّقْتُ في مبحث خاص بين هذه الآراء جميعها وذكرتُ القول الفصل فيها بما أعانني الله عليه وهداني إليه .

وأوضحت في مبحث ثالث أن هناك من المشاكلة ما يجب حمله على الحقيقة وذكرت السبب في ذلك، خاصة وأن هذا النوع قد جاء متغايرًا في كتاب الله سبحانه، ثم بيّنت في مبحث آخر موقع المشاكلة من البلاغة العربية وأنه من الخطأ، والخطأ الجسيم أن يُعدَّ هذا اللون مجرد تزيين وتحسين للكلام وأنه لا مناص من اعتبار المشاكلة وأمثالها من محسنات البديع الذاتية التي لا يستقيم الكلام إلا بوجودها، لكونها من ضرورات الكلام شريطة أن تأتي مطابقة لمقتضى الحال .

ثم ثنيتُ بالجانب التطبيقي في الحديث عن المشاكلة في القرآن الكريم، **وأفردت لذلك بابًا، خصصت الفصل الأول منه** للحديث عن المقامات والأغراض والمواقع التي جاءت بأسلوب المشاكلة، فتركَتْ فيها المشاكلة أثرها وأضفت عليها من البهاء والروعة ما جعلها تُؤثِّر في النفوس وتستأثر بالألباب، وتأخذ بنواصي العقول والقلوب، وتعرضتُ في ذلك للعديد من هذه الأغراض التي ضربَتَ فيها المشاكلة بحظ وافر.

ثم تعرضتُ في **الفصل الثاني** عن محاسن المشاكلة في آيات القرآن الكريم وما احتوته هذه الأساليب من تأثير بالغ وجمال فني وبديع أخاذ، وعمدتُ في ذلك إلى أسلوب الحصر لكل ما جاء في القرآن من مشاكلة فجمعت معانيها وجعلتُ كل معنى منها على حدة، وسردتُ لكل معنى منها ما جاء من آيات وأخذتُ استعرض ما في تلك الآيات والشواهد من روعة في الأداء وجمال في التصوير.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ثم أخذت في **الفصل الثالث** أوضح أنواع المشاكلة في القرآن فبينتُ أن المشاكلة في القرآن لها طابعها المميز فأحيانًا تأتي على جهة المجاز شأنها في ذلك شأن أساليب المشاكلة في لغة العرب فتجامع المجاز المرسل تارة، وتجامع الاستعارة تارة أخرى، تأتي تحقيقه مرة وتأتي تقديرية مرة، وفي كل ذلك ضربتُ من الأمثلة ما يوضح هذه الأنواع ويجلى القول فيها، ثم أفصحتُ عما امتاز به القرآن في باب المشاكلة فذكرتُ أن المشاكلة قد جاءت في كتاب الله سبحانه في الكثير من الأحيان تحمل جانب الحقيقة، بحيث لا يجوز صرفها إلى المجاز أو إخراجها عن ظاهرها بأي حال من الأحوال، وبينتُ بالتفصيل السبب في ذلك بما وفقني الله إليه.

ثم أنهيت دراستي باستعراض ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات، ووضعت ذلك في الخاتمة وأعقبت كل هذا بفهارس جمعت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وما وقعت عليه عيناي من مراجع ومصادر.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم وأن يجعله عملًا صوابًا. .

والله الموفق والمستعان والهادي إلى سواء السبيل .

محمد محمد عبد العليم
الأستاذ في كليتي الدراسات العليا
واللغة العربية بأزهر القاهرة
قسم البلاغة والنقد

الباب الأول

المشاكلة.. معناها،

أطوارها، دلالاتها

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الفصل الأول

معنى المشاكلة وأقسامها

- المبحث الأول: معنى المشاكلة لغة واصطلاحًا.
- المبحث الثاني: أقسام المشاكلة.

المبحث الأول

تمهيد

في معنى المشاكلة لغة واصطلاحًا

أولًا: تعريف المشاكلة في لغة العرب:

تعنى كلمة المشاكلة في اللغة: المماثلة والمشابهة والموافقة والاختلاط والتقييد.

ففي الصحاح ولسان العرب): المشاكلة: الموافقة، والتشاكل مثله[١]، (يقال: هذا أمر لا يشاكلك فيه أحد): أي لا يوافقك.. قال أبو عمرو: يقال (فيه أشكلة من أبيه وشُكَلَةٌ بالضم وشاكِلٌ): أي شبه منه، (وهذا أشكل به): أي أشبه.

«والمُشْكِل كمحسن: الداخل في أشكاله: أي أمثاله وأشباهه»[٢]، «وهذا أشكل به: أي أشبه»[٣].. وشاكل هذا ذاك من الأمور: أي وافقه وشابهه وهذا يشكل به: أي يشبه- "وشاكله مشاكلة: وافقه وماثلة.. وتشاكلا: توافقا وتماثلا ومنه قول أبي نواس:

دقَّ الزجاج ورقت الخمرُ = فتشاكلا وتشابه الأمرُ

وفيه شَاكِلٌ من أبيه: أي شبه»[٤]، «والمُشاكِلُ من الأمور: ما وافق فاعله ونظيرَه، والأشكال: حَلْى يشاكِلٌ بعضهُ بعضا يقرطُ به النساء.

---

(١) الصحاح للجوهري تحقيق أحمد عبد الغفور ١٧٣٧/٥٥ اللسان.٢٧١٠/٦٦

(٢) تاج العروس للمرتضى الزبيدي ٣٩٤/٧٠

(٣) القاموس المحيط.٤٠٢/٣

(٤) محيط المحيط لبطرس البستاني ص.٤٧٧

قال ذو الرمة:

سمعت من صَلاصِل الأشكال

أَدْبًا عَلَى لَبَّاتِها الحَوَالي = هَزَّ السَّنَا لَيْلَة الشَّمَال[1].

وفي قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُ شَكْلِهِۦٓ مِن أَزْوَٰجٌ﴾[ص: ٥٨]. **قال الزجاج: عطف علي قوله:** ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ أي: وعذاب آخر من شَكْلِه أي من مثل ذلك الأول، ومن قرأ ﴿وَءَاخَرَ﴾فالمعنى: وأنواع أَخَر من شَكْلِه.

وقد تشاكل الشيئان وشاكل كل واحد منهما صاحبه و(تشاكلا تشابها وتماثلا.. والشكل: المثل والشبيه)[2]؛ وكذا الشكل بالفتح، والجمع أشكال وشكول والمشكل: ما يوافقك ويصلح لك. تقول: هذا من هواي ومن شكلي.

ويقول أبو البقاء الحسيني: «المشاكلة هي اتفاق الشيئين في الخاصية كما أن المشاكلة اتفاقهما في الكيفية، والمساواة، اتفاقهما في الكمية، والمماثلة: اتفاقهما في النوعية»[3].. و«الأشكل في سائر الأشياء: بياض وحمرة قد اختلطا»[4]، وقيل: «الأشكل عند العرب: اللونان المختلطان»[5].

وقد يراد من المشاكلة: «التناسب المسمى بمراعاة النظير، وهو: جمع أمر مع أمر

---

(1) لسان العرب لابن منظور٢٣١١ ،٢٣١٢ ،.٢٣١٠/٢٦

(2) المعجم الوسيط١/٤٩١ ، د .إبراهيم انيس د .عبد الحليم منصور.

(3) الكليات لابن البقاء أيوب الكفوى٢٥٣ ،.٢٥٤/٢

(4) العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ص.٢٩٥

(5) تاج العروس.٣٩٣/٧

يناسبه لا بالتضاد، ويجئ الكلام على سبيل المقابلة، وإطباق الجواب على السؤال فن من كلامهم يسمى مشاكلة»[1]، كما تأتي المشاكلة أيضًا بمعنى التقييد، قال الراغب: «أصل المشاكلة من الشكل، وهو: تقييد الدابة»[2].

وهكذا نلحظ أن كلمة (المشاكلة) تدور معانيها حول المشابهة والموافقة والاختلاط والتقييد.

وتستعمل مادة (شكل) في غير ذلك قليلًا.. فالشكل: غنج المرأة وغزلها وحسن دلها، «وشَكَلَ العنب: أينع بعضه أو أسود وأخذ في النضج.. والأمر: التبس، والكتاب: أعجمه، كأنه أزال عنه الإشكال».

وكاستعمال المشاكلة في الخاصرة وفي «الشكل، والناحية، والنية، والطريقة، والمذهب»[3]، قال تعالى ﴿ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ﴾ [الإسراء: ٨٤]. «قال الراغب في تفسير الآية: أي على سجيته التي قيدته»[4]، «والشكل واحد الأشكال: للأمور والحوائج المختلفة فيما يتكلف منها ويهتم لها»[5] ومن المجاز: أصاب شاكلة الصواب، وهو يرمى برأيه الشواكل.. وشاكِلَتي الطريق، هما:

---

(1) الكليات للكفوى٢٥٣ ،٢/٢٥٤

(2) تاج العروس للزبيدي٧/٣٩٤

(3) القاموس المحيط للفيروزابادي ٣/٤٠١

(4) تاج العروس للزبيدي٧/٣٩٢

(5) تاج العروس٧/٣٩٢

جانباه، وطريق طاهر الشواكل[1].

ثانيًا: المشاكلة في اصطلاح البلاغيين :

استقر رأيُ البلاغيين أخيرًا على تعريف المشاكلة بأنها: (**ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقًا أو تقديرًا**).

ولشرح هذا التعريف استفاضات كثيرة في شروح التلخيص وغيرها، محصلتها أن قولهم: (ذكر الشيء): كخياطة القميص في بيت أبي الرقعمق:

قالوا اقترح شيئًا نُجِدْ لك طبخَه = قلتُ اطبخوا لي جُبَّة وقميصا

حيث ذكر الخياطة بلفظ الطبخ لوقوعها في صحبة ما يطبخ ويؤكل، وقد تكون هذه الصحبة مذكورة في الكلام كما هنا، وقد لا تكون موجودة ولكنها مقدرة، لذا قيل في التعريف (تحقيقا أو تقديرًا) ليشمل هذين النوعين.

قال الدسوقي في الحاشية: «(ذكر الشيء) كالخياطة- مثلًا في بيت أبي الرقعمق.. (بلفظ غيره).. كلفظ الطبخ لوقوع الخياطة في صحبة الطبخ»[2] «والباء في قولهم: (بلفظ غيره) للملابسة.. أي: ذكر المعنى متلبسا في ذلك الذكر بالإتيان بلفظ غير ذلك المعنى.. ولا يخفى أن تعلق الذكر بالمعنى كما هنا صحيح من باب نسبة ما للدال للمدلول.

وخرج بقوله: (لفظ غيره) الذكر المتعلق بالحقيقة، ودخل فيه جميع أنواع المجاز، لأن الذكر فيها واقع في معانيها في ألفاظ غيرها- كما في الاستعارة والكناية- وقوله: (لوقوعه في صحبة غيره) يتعلق بـــ(ذكر)، أي: ذكره لأجل

---

(1) ينظر: أساس البلاغة للزمخشري ص.٢٤٠

(2) حاشية الدسوقي ٣٠٩/٤ من الشروح.

وقوعه.. إلخ، أو وقعت وقوعه، وذلك كما لو قيل لك: (أسقيك ماء) فقلت: (بل اسقني طعاما)، فقد ذكرت الإطعام بلفظ السقي لوقوعه في صحبة السقي، ومعنى الوقوع في صحبة الغير، أن ذلك الشيء وجد مصاحبًا للغير، بمعنى أنه ذكر هذا عند ذكر هذا كما في المثال، أو عند حضور معناه فشملت الصحبة الذِّكرية والصحبة العلمية لأنها في التقدير كالمذكور»[1].

وعلى ذلك «فذكر الشيء بلفظ غيره، شامل لجميع المجازات والكنايات- وعبارة- لوقوعه في صحبته مخرج لما سوى المشاكلة.. فخروج الكنايات والمجازات بهذا القيد ظاهر، لأن شيئًا منها ليس من شأنه أن يذكر وقت صحبته للغير.. وعلى هذا القول.. فمعنى (الوقوع في صحبة الغير): أن ذلك الشيء وجد مصاحبًا للغير، بمعنى أنه ذَكَر هذا عند ذكر هذا، وليس المراد وقوعه في صحبته في قصد المتكلم»[2].

ولما كان الوقوع في الصحبة يشمل الصحبة الذِّكرية والصحبة العلمية لأنها في التقدير كالمذكورة، جاء في تعريف المشاكلة عبارة: (تحقيقا أو تقديرًا)، أي: ذكره بلفظ الغير لوقوعه في صحبة ذلك الغير صحبة تحقيق بأن يُذكر عند ذكره؛ أو صحبة تقدير للعلم به بأن يذكر الشيء عند حضور معنى الغير فيكون اللفظ الدال على الغير مقدرًا، والمقدر كالمذكور[3].

«وإذا كان معنى الوقوع في الصحبة ما ذكر، فقد خرج جميع أنواع المجاورة-

---

(1) مواهب الفتاح لأبي يعقوب المغربي ٣٠٩/٤ شروح التلخيص.

(2) حاشية الدسوقي ٣٠٩/٤ من الشروح.

(3) ينظر: حاشية محمد الأنبابي على رسالة محمد الصبان في علم البيان ٣٩٥/٤٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فالقوم وإن لم ينصُّوا على أن الوقوع في الصحبة من العلاقات، فقد نصُّوا على ما يرجع إليه وهو المجاورة- لأن شيئًا منها لا تكون علة ذكره: وقوعه في صحبة الغير ذكرًا أو تقديرًا، أما ما سوى المجاز الذي علاقته المجاورة كالظرف مع المظروف، والملازمة كالجزء مع الكل فظاهر، وأما الذي علاقته المجاورة أو الملازمة، فليس العلة فيهما صحبة الذكر، بل صحبة ستقرره قبل الذكر، هذا إن جُعِلت اللام في (لوقوعه) للتعليل، أما إن جُعلت توقيتية فالإخراج حينئذ أظهر لأن شيئًا منها ليس من شرطه أن يذكر وقت صحبته للغير»[1].

ومن محترزات التعريف: ما ذكره السيوطي حين قال: «واحترزنا بقولنا: (لوقوعه في صحبته)، من: الجناس التام والمجاز، فإنك إذا قلت: (مالِ زيد المال)، لمن بذل المال فقد عبَّرت عن الثاني بلفظِ مصاحِبه، ولكن لا لأجل المصاحبة بل لكون الواضع وضعه للثاني حقيقة كما وضعه للأول، وإذا قلت: (قتل الأسد من كان أسدًا) وأنت تعنى بالأول السبع، وبالثاني الشجاع فقد عبَّرت عن الثاني بلفظ الأول، لا للمصاحبة بل لوجه من وجوه المجاز»[2].

والظاهر في تعريف المشاكلة- ذكر الشيء بلفظ الغير لوقوعه في صحبة ذلك الغير- اختصاص المشاكلة بذكر نفس لفظ المصاحب، وليس كذلك.. بل تجرى المشاكلة بلفظ ضد المذكور، وتجرى بلفظ مناسبة- على نحو ما سنفصل القول فيه في ذكر أقسام المشاكلة.

أما جريانها في الضد، فكقول القاضي شريح لرجل جاء يشهد له في قضية:

---

(1) مواهب الفتاح٤/٣١٠

(2) عقود الجمان للسيوطي ص١١٠

(أنت سبط الشهادة)، فقال الرجل: (لم تجعد تلك الشهادة عني) بمعنى: أنى حافظ لشهادتي وليست الشهادة قاصرة عن إدراكي، فقد عبّر بسبوطة الشهادة الذي أصله انطلاق الشَّعر وامتداده عن استمرار الشهادة وامتداد حفظها أو زمانها مطلق الامتداد الصادق، بامتداد أمد قبول الشهادة أو أمد حفظها، وعبّر عن قصيرها بضد السبوطة وهى الجعودة، تعبيرًا بالملزوم عن اللازم لأن الجعودة تستلزم القصور..

وأما جريانها في المناسب فكما ورد أن رجلا قال لوهب: أليس قد ورد أن (لا إله إلا الله) مفتاح الجنة؟ فقال له وهب: بلى، ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان فإن جئت بالأسنان فُتح لك، وإلا لم يفتح لك فقد عبّر عن (لا إله إلا الله) بالمفتاح، وعبَّر عن الشرائع والأعمال المعتبرة في الإسلام بالأسنان مشاكلة بالمناسب.. إذ الأسنان تناسب المفتاح.

ومن هنا ندرك أن هذا التعريف الذي ذكره الخطيب نفسه غير جامع لأنه لم يستوعب كل أنواع المشاكلة، على الرغم من أنه مثل لبعض هذه الأنواع التي لم يشملها في تعريفه، ولكن يكفيه أنه فتح الباب لغيره للحديث عن هذه الأنواع التي لم يذكرها، والتي أشار إليها أو إلى بعضها أبو يعقوب المغربي في (مواهب الفتاح).

وقد قيل: إن المشاكلة بالضد والمناسب لا تكون إلا مع تجوز، ومن أجل ذلك اقتصروا في ذكرها على الأعم الجاري مطلقًا وهو المشاكلة بلفظ المصاحب[1].

([1]) ينظر: مواهب الفتاح للمغربي ٣١٠ ، ٣١١/٤ الشروح.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هذا وقد مرت المشاكلة في مراحلها المتعددة بتعريفات عديدة قبل هذا التعريف الذي استقرت عليه على يد السكاكي والخطيب، من هذه التعريفات ما كان يشمله وزيادة، ومنها ما كان يختلط فيه مع الجناس، ومنها ما قصرت عن شموله والإحاطة به، ولعل أول من المح ومهد لتعريف المشاكلة وإن لم يصرح به هو المبرد ت سنة ٢٨٥هـ من خلال كتابه الذي اسماه (ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد) وذلك في أواخر القرن الثالث، وقد كان لقضية اللفظ والمعنى التي أثيرت في عهده الأثر البالغ في تأليف هذا الكتاب وتسميته له بهذا الاسم.

كما كان لموضوع المشاكلة وأمثلتها نصيب كبير في كتابه هذا لشدة اتصاله بعنوان وموضوع هذا الكتاب الذي خلط فيه بين المزج أو التزاوج- الذي سُمَّى فيما بعد بالمشاكلة- وبين الجناس.. وتأثر به ابن المعتز ت سنة ٢٩٦هـ الذي أطلق الجناس على ما اتحد في المعنى أو اختلف من غير تفرقة بينهما مع التشابه بينهما في تأليف الحروف، وعرَّفه بقوله: (هو أن تجئ الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها أن تشبهها في تأليف حروفها) ويُجعل ضمن أنواعها: أن يكون تجانسها في تأليف الحروف دون المعنى[1].

وابن المعتز مع كل هذا لم يتعرض لموضوع المشاكلة، ولا جعله في عداد ما ذكره من أنواع البديع في الوقت الذي أدخل ضمن هذه الأنواع ما ليس منها كالاستعارة مثلًا.

وقد بدأ على يد الرماني ت سنة ٣٨٦هـ التفريق بين الجناس والمشاكلة،

---

(1) ينظر: البديع لابن المعتز ص٣.

وذلك حين قسَّم الجناس إلى جناس مناسبة وجناس مزاوجة، وألمح لتعريف الثاني منهما بقوله:

المزاوجة تقع في الجزاء كقوله تعالى: ﴿ک ک ک ک گ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وإن كان يجعل ذلك من قبيل الاستعارة[١]. وتأثر بذلك- بالطبع- الكثير من علماء البلاغة واللغة كابن فارس والقاضي عبد الجبار والمرتضى والرازي[٢].

وقد أطلق أبو هلال العسكري ت سنة ٣٩٥هـ على المشاكلة (المقابلة)، وجعلها من صورها فقد أطلق عليها: «المقابلة في المعنى، وهي عنده: مقابلة الفعل بالفعل»[٣]، وقريب منه الرضي الذي أطلق عليها الجزاء لوقوعه في مقابلة غيره تحقيقا[٤].

ولئن كان الرماني هو أول من استعمل لفظ (المشاكلة) إلا أن صورته لم تتضح عنده، بدليل أنه يجعل المشاكلة -على ما استقرت عليه أخيرًا - ضمن أقسام الجناس، وقد أراد ابن رشيق أن يفسر كلام الرماني على غير ما أراد، فضمّن أنواع البديع: التجنيس، وبيَّن أن له ضروبًا كثيرة منها المماثلة والمضارعة التي يدخل ضمن أنواعها: أن تتقدم الحروف وتتأخر وفيها يقول: وهذا النوع يسميه الرماني المشاكلة، وهي عنده ضروب هذا أحدها وهي المشاكلة في اللفظ

---

(١) ينظر: النكت للرماني ص٩٩.

(٢) ينظر: المتشابه ص٥٦، ١١٩، ٣٤٩، والأمالي للمرتضى ١٤٧/٢، ٣٢٦/١، والرازي ٧٧/١.

(٣) الصناعتين ص٣٤٦.

(٤) تلخيص البيان ص ١١٣.

خاصة[1].. وهذا ما لم يُلَمِّح له أو يصرِّح به الرماني نفسه، وسيأتي تفصيل هذا عند الحديث عن تطور المشاكلة.

وكان ابن سنان قد أطلق في (سر الفصاحة) على الازدواج: (المناسبة بين الألفاظ). كما أطلق الزمخشري عليه: (المقابلة وأطباق الجواب على السؤال).. ذلك إلى جانب تسميته له بالمجازاة والاستعارة والمجاز عن السببية، وعلى هذا النحو سار ابن الأثير الذي أدخل المشاكلة في مقابلة الشيء بمثله وجعل هذا تحت النوع الرابع والعشرين وهو: (التناسب في المعاني).

هذا، وقد استقر تعريف المشاكلة أخيرًا على يد السكاكي الذي جعل من البديع عِلمًا مستقلًا، وأدخل على أنواع مصطلحات حددت كل نوع منها على حدة، وميَّزه عن غيره وكان تعريفه للمشاكلة: «هي: أن تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته»[2] وقد أكمله الخطيب القزويني حين أضاف إليه جملة: «تحقيقًا أو تقديرًا »[3].

وعلى الرغم من ذلك فإن ابن أبي الأصبع وقد جاء بعد السكاكي كان له تعريف آخر غير ما ارتآه الأخير، فقد عرَّف ابن أبي الأصبع المشاكلة بقوله: «أن يأتي المتكلم في كلامه أو الشاعر في شعره، باسم من الأسماء المشتركة في موضعين فصاعدا من البيت الواحد، وكذلك الاسم في كل موضع من الموضعين سمَّى غير الأول، تدل صيغته عليه بتشاكل إحدى اللفظتين الأخرى في الخط

---

(1) ينظر: العمدة.١/٣٦١

(2) مفتاح العلوم للسكاكي ص.٢٠٠

(3) الإيضاح للقزويني ٤/٣١٠ من الشروح.

واللفظ، ومفهومهما مختلف»[1]، أي أنه باختصار- والكلام لا زال لابن أبي الأصبع: (الإتيان باسم من الأسماء المشتركة في موضعين ومفهومهما مختلف).

وابن أبي الأصبع في هذا متأثر إلى حد ما بالتبريزي ت سنة ٥٠٢هـ، كما تأثر بهما من بعدهما ابن حجة الحموي ت سنة ٨٣٧هـ إذ تكلما- التبريزي والحموي- عن المشاكلة وعَّرفاها بما ذكره ابن أبي الأصبع وأدخلاها في التجنيس وأرادا بها المشاكلة اللفظية[2]، وهو غير ما قصده ابن أبي الأصبع، إذ قصد بها المشاكلة المعنوية، فقد اختار ابن أبي الأصبع أن تفسر المشاكلة بأن يأتي الشاعر «بمعنى مشاكل لمعنى له في شعر غير ذلك الشعر أو في شعر غيره، بحيث يكون كل واحد منهما وصفًا أو نسيبًا أو غير ذلك، غير أن كلَّ صورة أبرز المعنى فيها غير الصورة الأخرى، فالمشاكلة بينهما من جهة الغرض الجامع لهما، والتفرقة بينهما من جهة صورتهما اللفظية»[3]، ثم مضى يسرد أمثلة لما شاكل فيه الشاعر نفسه وما شاكل غيره، حيث جعله في الأول عامًا في الشعر وغيره، وخصَّه بالشعر في التعريف الثاني والذي اختاره، كما جعله لما شاكل فيه الشاعر نفسه أو شاكل غيره، لذا كان التعريف الأول أولى.

ويبدو أن ابن أبي الأصبع قد شمل بتعريفه هذا كل ما سبقه من تعريفات للمشاكلة، وأراد أن يضع ذلك في صياغة تجمع وتلخص كل ما قيل من قبل..

---

(١) تحرير التحبير ص٣٩٣

(٢) ينظر: هامش تحرير التحبير لابن أبي الأصبع ص ٣٩٣وخزانة الأدب لابن حجة الحموي ص٣٥٦

(٣) تحرير التحبير لابن أبي الأصبع تحقيق د .حفني شرف ص٣٩٣، ص١٠٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وإن كان يعاب عليه فيه الإطالة، والأصل في التعريفات الإيجاز والشمول، ليسهل حفظها واستيعابها على نحو ما فعل الخطيب القزويني في تعريفه للمشاكلة، وابن أبي الأصبع في ذلك لا شك، يقصد المشاكلة المعنوية إذ عُنِى بالمعنى على ما أفاده قوله: (ومفهومهما مختلف)، كما أنه أفرد للتجنيس بابًا مستقلًا في كتابه (تحرير التحبير) وفَصَله عن المشاكلة، على خلاف ما فعل غيره حين جعل المشاكلة هي التجانس، أو ضربًا منه على نحو ما مر التفصيل في ذلك.

كما أنه من الملاحظ أن ابن أبي الأصبع في التعريف الثاني قد جنح بالمشاكلة بعيدًا وقد كان من المنتظر بعد هذا الجهد العظيم لمن سبقوه أن تنضبط تعريفاته وتطبيقاته، وأن تتقارب مع ما جاء بعده، خاصة وأن بعض من سبقوه كالسكاكي وغيره قد مهد للأمر.. والأغرب من هذا أن يذكر ابن أبي الأصبع هذا كله تحت باب المشاكلة في الوقت الذي يأتي فيه بأمثلة المشاكلة ليضعها تحت باب الجناس متأثرًا في ذلك بالرماني ساردًا أمثلته وتقسيماته[1] وهكذا فعل في كتابه (بديع القرآن)، إذ يذكر بعض أمثلة المشاكلة تحت عنوان المساواة تارة، وتحت اسم المناقشة تارة أخرى، وتحت اسم المزاوجة تارة ثالثة[2].

ومن ذلك كله ندرك أن تعريف السكاكي والخطيب من بعده للمشاكلة هو أفضل التعريفات التي جاءت في ذلك من جهة الشمول والإيجاز.

---

(1) السابق.

(2) ينظر: بديع القرآن لابن أبي الأصبع ص٨١،٢٨ ،٣٢٣.

المبحث الثاني أقسام المشاكلة

ذكر الخطيب ومن سبقه ولحقه للمشاكلة نوعين. هما الوقوع في الصحبة تحقيقًا، والوقوع فيها تقديرًا، وكما سبق أن أشرنا فإن هناك صورًا لم يشملها تعريف الخطيب وبالتالي لم تدخل في صور المشاكلة عنده، وقد صرح بهذا أبو يعقوب المغربي في (مواهب الفتاح)، فقال: إن المشاكلة: (ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبة ذلك الغير) ظاهره اختصاص المشاكلة بذكر نفس لفظ المصاحب وليس كذلك، بل تجرى المشاكلة بلفظٍ ضد المذكور، وتجرى بلفظ مناسبه، ومثل للأول بقول القاضي شريح لرجل: (أنت سبط الشهادة)، فعبر بسبوطة الشهادة الذي أصله انطلاق الشَّعَر، وللثاني بقول رجل لوهب: (أليس قد ورد أن لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟) فقال له وهب: (بلى، ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان)، فعبر عن (لا إله إلا الله) بالمفتاح، وعن الشرائع والأعمال المعتبرة في الإسلام بالأسنان مشاكلة بالمناسب[1].

والحقيقة أن للمشاكلة خمسة أنواع يدخل فيها عشر صور.

النوع الأول: هو الوقوع في الصحبة ويدخل فيه صورتان التحقيقية والتقديرية.

النوع الثاني: وهو الوقوع في صحبة ضده وله مثل سابقه صورتان التحقيقية والتقديرية.

النوع الثالث: الوقوع في صحبة مماثلة.

النوع الرابع: ملابسة الفعل بما لا يصح أن يتلبس به لوقوعه في صحبة ما يصح أن يتلبس به لك الفعل، ويدخل تحته ثلاث صور هي: تلبس الفعل بالفاعل، وتلبسه بالمفعول، وتلبسه بالجار والمجرور.

---

(1) ينظر: مواهب الفتاح لابي يعقوب المغربي ٣١٠ ، ٣١١/٤ من الشروح.

والنوع الخامس والأخير: وقوع الشيء في صحبة معناه وله صورتان: إما أن يكون المعنى المصاحب للفظ مدلولًا له دلالة مباشرة بأن يكون ذلك ظاهرًا واضحًا، أم لا، ونفصل في ذلك القول فنقول وبالله التوفيق:

النوع الأول: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته، والوقوع في الصحبة أما تحقيقي، وإما تقديري.. أما الأول: وهو ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقًا.. فقد جاء في القرآن كثيرًا من ذلك قول الله تعالى: ﴿ **وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾[البقرة: ١٤، ١٥].

فإسناد الاستهزاء إلى الله تعالى وإطلاقه على فعل الله بهم هو في الحقيقة لا يصح ولا يجوز، ولكن الذي سوغ ذلك هو تقييده ومصاحبته لقولهم: ﴿**إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ** ﴾.. قال الشوكاني: «وإنما جعل سبحانه ما وقع منه استهزاء مع كونه عقوبة ومكافأة مشاكلة، وقد كانت العرب إذا وضعت لفظا بإزاء لفظ جوابًا له وجزاء، ذكرته بمثل ذلك اللفظ، وإن كان مخالفًا له في معناه، وقد ورد ذلك في القرآن كثيرًا، ومنه: ﴿ **وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا** ﴾[الشوري: ٤٠]، ﴿**فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ** ﴾[البقرة: ١٩٤]، والجزاء لا يكون سيئة والقصاص لا يكون اعتداء لأنه حق، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ** ﴾[آل عمران: ٥٤]، ﴿**إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا** ﴾[الطارق: ١٥، ١٦]، ﴿**يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ** ﴾[النساء: ١٤٢]، ﴿**تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى**

﴿وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾[المائدة: ١١٦]»[1].

ففي هذه الآيات التي جمعها الشوكاني في هذا النص ترى المعنى مذكورًا بغير لفظه لوقوعه في مصاحبة ذلك اللفظ تحقيقًا.. والعدول في الجزاء إلى ذات اللفظ خاصة ليجسد حقيقة ينبغي أن يكون الإنسان على ذُكْرٍ منها، وهي: تقرير مبدأ أن الجزاء من جنس العمل، فالاستهزاء جزاؤه الاستهزاء، والسيئة جزاؤها السيئة، والعدوان جزاؤه الخداع، والمكر جزاؤه المكر، والنسيان جزاؤه النسيان.. وهكذا، فتقرير مبدأ الجزاء من جنس العمل يصلح أن يكون من مواقع المشاكلة في القرآن الكريم.

لكن ليس كل ما فى القرآن من قبيل الجزاء فقد تأتى المشاكلة ولا جزاء فيها كقوله تعالي: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾[المائدة: ١١٦] وقد تأتى للتهكم كقوله تعالي: ﴿وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٍ وَأَثۡلٍ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ﴾[سبأ: ١٦] قال الزمخشري «وتسمية البدل جنتين لأجل المشاكلة وفيه ضرب من التهكم»[2]، فالأكل الخمط لا يكون في في الجنة بحال ولا الأثل ولا السدر، وكل ذلك جاء على وجه المشاكلة والوقوع في الصحبة وقوعًا حقيقيًا.

---

(1) فتح القدير للشوكاني.١/٤٤

(2) الكشاف للزمخشري.٣/٢٨٥

* ومن أشهر أمثلة هذا النوع قول ابن الرقعمق وقد مر:

وعصابة عزموا الصَّبوح بسحرةٍ = بعثوا إليّ مع الصباح خصوصا
قالوا اقترح شيئًا نُجد لك طبخَه = قلت اطبخوا لي جُبّةً وقميصا

والمشاكلة هنا في (اطبخوا) لأن هذا الفعل لا يقع على الجُبّةً ولا على القميص، فهذان النوعان يمكن أن يقع عليهما فعل الشراء أو الحياكة أو الصنع أو الإلباس مثلا، بمعنى أن الذي يناسب هذا المقام أن يقول: خَيِّطوا لي جُبّةً وقميصا، أو اشتروا لي جُبّةً وقميصا أو اصنعوا أو ألبسوني.. وربما كان هذا التقدير الأخير أنسب تقدير في هذا المقام، لأن الرجل أشد احتياجًا للجُبّةً والقميص لستر جسمه أو لاتقاء البرد، وهذه الحاجة الشديدة تجعل الإلباس هو الأنسب للإسراع في هذا الأمر.. وربما كان التقدير الذي قدره الخطيب وهو (خيطوا) مناسبًا أيضًا على أن يكون عمل الخياطة في سرعته وإجادته مثل الطبخ، فإن ما يستغرقه الطبخ- أيًا كان الشيء المطبوخ- أسرع مما تستغرقه الخياطة وإن كان الأول أفضل لأنه أسرع الأفعال وأنسب لحالته، فالمعنى هنا لم يذكر بلفظه الدال عليه، وإنما ذكر بلفظ غيره وهو (اطبخوا) لوقوعه في صحبة لفظ (الطبخ) الذي في قوله (نجد لك طبخَه) الوارد في صدر البيت، ولولا هذا لما صح أن يذكر هذا المعنى بهذا اللفظ لأنه غير مألوف الاستعمال عند العرب.

* ومن ذلك قول ذي الرمة:

سمعت الناس ينتجعون غيثًا = فقلت لصيدح انتجعي بلالا[1]

فالذي ينتجع هو الكلأ والعشب وهو ينبته الغيث، أما بلال- وهو بلال بن أبي بردة - فإنه لا ينتجع، ولا يصح أن يقع فعل الانتجاع عليه، ولا على ما يعطيه، لأنه يعطى ذهبًا أو فضة أو عقارًا أو أرضًا أو عبدًا أو حيوانًا أو غير ذلك مما اعتاد الكرام أن

[1](معاهد التنصيص١/٥ ،٢/٢٥٢.

يعطوه، ولكن لم يُسمع عن أحدٍ أنه أعطى كلًا أو عشبًا لقصَّاده ومداحيه، ومن هنا لم يكن هذا اللفظ مستخدمًا في معناه، وإنما ذُكر المعنى بلفظ غيره لوقوعه في صحبته وهو كلمة (ينتجعون).

* ومما اشتهر في ذلك قول ابن جابر الأندلسي:

قالوا اتخذ دَهنًا لقلبك يشفه = قلت ادهنـــــــوه بخـــــدها المتورد[1]

فالذي سوغ استعمال الفعل (ادهنوه) هو وقوعه في مصاحبة دُهنًا في صدر البيت، وذلك أن الخد ليس دهنًا ولا إناء دهن فيصح أن يدهن به، وإنما أراد بقوله (ادهنوه): الإشارة إلى أنها شفاؤه وأنها علته وداؤه.

ولما ذكروا هم الدهان في سياق شفائه وأرادوا به علاجه وبُرأه من دائه، استخدم اللفظ نفسه لبيان حالته هو التي يعلمها من نفسه، وأن الدهن المقصود من خدها إنما أراد به القرب وما به يشفى العاشق ممن عشق، والوقوع في الصحبة هنا هو وقوع حقيقي.

*** ومن ذلك قول المتنبي يمدح الفضل بن العميد:**

من مبلغ الأعراب أني بعدما = شاهدتُ رسطاليس والإسكندرا

ومللت تحر عثارها فأضافني = مَن ينحر البدر النضار لمن قرى[2]

فنحر العشار حقيقة، أما نحر البدر (جمع بدرة) فليس من الحقيقة في شيء، إن بدرة النضار يعطيها الممدوح لقصَّاده، ولكن لا ينحرها ولا يذبحها، فالمعنى هنا معبر عنه بغير لفظه، لوقوعه في صحبة ذلك اللفظ تحقيقًا، ولما وُضع (بدر النضار)، موضع (العشار)، حسَنُ أن يذكر معها النحر الذي للعشار، وفيه ثوب من تشبيه البدر

---

[1](معاهد التنصيص١/٥ ،٢٥٢/٢.

[2](ديوانه بشرح البرقوقي ٢٧٢/٢ بيروت

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بالعشار من حيث وُضعت مكانها ونَزَلَت عند هؤلاء الأجواد مترلتها.

* ومن هذا الباب أيضًا قول أبي الحسين على بن أحمد الجوهري أحد شعراء الصاحب ابن عباد:

فلم يُبق منى الشوق غير تفكري = فلو شئت أن أبكى بكيت تفكرا

فالمراد بالبكاء الأول هو البكاء الحقيقي، والمراد بالثاني غير الحقيقي فليس هناك إنسان يبكي تفكرًا، فالفعل هنا لا يقع على المفعول بحال، إن الذي يبكى إنما يبكى دموعًا في الأغلب الأعم، أو يبكى دمًا على المبالغة والادعاء، أما أن يبكى تفكرًا فهذا ما لا وجه له ولا صحة في الاستعمال، إلا لوقوعه في صحبة (أبكي) الأول وقوعًا حقيقيًا.

* ومنه قول حافظ إبراهيم يرثي إسماعيل صبري فصفق له الحاضرون طويلًا فارتجل:

أكثرتم التصفيق في موطن = كان البكا فيه بنا أليقا

فأكرِموا صبري بإنصاتكم = ولْيُعذر الدمع إذ صفقا [1]

«والدمع لا يصفق وإنما هو يقطر، أو يسيل، أو يجرى، أما أن يصفق فلا، ولكن الذي سوغ له أن يعبر عن هذا المعنى بهذا اللفظ، هو: ذكر التصفيق في صدر البيت الأول، ولولا هذا ما صح استخدامه بهذه الطريقة»[2].

وكما يجرى هذا الأسلوب في الشعر العربي، كذلك يجرى على الألسنة من غير كُلفة ولا مشقة في صحبة ما يصح استعمالها، «ومما جاء من هذا القبيل قول مالك بن دينار: (تَلْقى الرجل وما يلحن حرفًا، وعمله لحن كله)، فاللحن في الكلام معروف مشهور، وأما اللحن في العمل فإنه يعني به الخطأ والانحراف عن جادة الحق،

---

[1](ديوانه ص ٢٠٨/١ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة١٩٨٠ م.

(٢) دراسات في علم البديع د .أحمد علي ص١١٦

وهذا لا يسمى لحنًا، لأن اللحن في الكلام خاصة، ولكن ذكر بلفظه لوقوعه في صحبته، لأن الرجل الذي يحرص على صحة كلامه وصواب عباراته، عليه أن يكون أكثر حرصًا على صواب عمله، وتحرى وجه الحق فيه».

«وربما كان أدخل منه في المشاكلة – الحقيقية أيضًا – قول إبراهيم بن أدهم (أعربنا في الكلام فما نلحن، ولحّنا في العمل فما نعرب) وذلك لأنه ذكر اللحن والإعراب جميعًا، وهما لائقان بالكلام خاصة وأما في العمل فلا، وإذا كان اللحن في العمل له وجه قريب، فإن الإعراب بعيد عن ذلك لأنه خاصية كلامية»[1].

ويلاحظ فيما سبق أن المشاكلة كانت في اللفظ الثاني، وهي قد تكون في اللفظ الأول ومن ذلك قول أبي تمام:

رعته الفيافي بعد ما كان حقبة = رعاها وماء الروض ينهل ساكبه

فالفيافي لا ترعى شيئًا، ولكنها تُرعى إذا انهل ساكب ماء الروض، فذكر رعى الفيافي في مصاحبة الرعي الحقيقي، وصورة المشاكلة هنا مختلفة عن كل ما سبقها فإنه في كلٍّ مما سبق كانت في اللفظ الثاني، أما هنا فالمشاكلة في اللفظ الأول فهو المذكور في غير حقيقته.

والرماني لا يفضل هذا النوع الذي يستعار فيه للأول ليزاوج الثاني، ويرى أنه دون الأول في بلاغته.. قال: «والاستعارة للثاني أولى من الاستعارة للأول، لأن الثاني يحتذي فيه على مثال الأول في الاستحقاق، والأول بمنزلة الأصل والثاني بمنزلة الفرع الذي يحتذى فيه على الأصل، فلذلك نقصت منزلة قولهم: الجزاء بالجزاء»[2]، وعلى أيَّ فالوقوع في الصحبة هنا حقيقي.

---

(1) السابق ص١١٠

(2) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص١٠٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وأما الصورة الثانية من النوع الأول: فهى ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته تقديرًا، ومن أشهر الأمثلة علي ذلك قول الله جل وعلا: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ﴾[البقرة: ١٣٨]. وقد ذهب البلاغيون والمفسرون إلي ذلك مذهبين: حيث مال الزمخشرى إلي أن (صبغة) مصدر مؤكد منتصب عن قوله: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ والمعني: تطهير الله، لأن الإيمان يُطهِّر النفوس، وهى مع ذلك اسم للهيئة لا للمرة، لذا قال بعض شراح التلخيص: «وهى الحالة، أى: البيئة المخصوصة التى به يقع عليها الصبغ، أى: يتحقق فيها مطلق المصدر الذى هو مطلق الصبغ من تحقق العام فى الخاص»[1] لأن الصبغة – هنا– نوع مخصوص من مطلق الصبغ.

يقول الزمخشرى فى الكشاف: «صِّبغة اللهُ، مصدر مؤكد منتصب عن قوله ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾كما انتصب (وعد الله) عما تقدمه، وهى (فِعْلَة) من صَبَغ، (كالجِلسة) من جَلَس، وهى الحالة التى يقع عليها الصبغ، والمعني: تطهير الله لأن الإيمان يطهر النفوس، والأصل فيه أن النصاري كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمونه: (المعمودية) ويقولون هو تطهير لهم: وإذا فعل الواحد منهم بولده ذلك، قال: الآن صار نصرانيًا حقًا فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم: (آمنا بالله وصَبَغَنا الله بالإيمان صبغة لا مثل

(١) تقرير الشمس الأنبابي على شرح السعد لتلخيص المفتاح٤/٣٦٧

صبغتنا، وطهَّرنا به تطهيرًا لا مثل تطهيرنا)، أو يقول المسلمون: (صبغنا الله بالإيمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم)، وإنما جئ بلفظ الصبغة علي طريقة المشاكلة»[١] التقديرية، «وكون صبغة الله مصدرًا قال به سيبويه»[٢] ولا مشاكلة فى هذه الآية إلا علي هذا الوجه أو التقدير.

ولكن ليس هذا هو الفهم الوحيد فى الآية فقد ذهب الأخفش إلي أن المعني هنا هو: دين الله، قال: «وهى منتصبة علي البدلية من ملة»[٣]. وممن ذهب هذا المذهب: الزجاج والفراء، يقول الفراء: «قوله ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾نَصْبٌ مردود علي الملة – يريد أنها بدل من ملة إبراهيم – وإنما قيل ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾لأن بعض النصاري كانوا إذا ولد المولود جعلوه فى ماء لهم يجعلون ذلك تطهيرًا له كالختانة، وكذلك هى فى إحدي القراءتين: (قل صبغة الله) وهى الختانة، اختتان إبراهيم- عليه السلام- فقال: قل صبغة الله يأمر بها محمدًا صلى الله عليه وسلم-فجرت الصبغة في الختان لما صبغتهم الغل ما في الماء»[٤].

كما نُقل عن الزجاج أن صبغة الله يجوز أن يراد به (خلقة الله

---

(١) الكشاف للزمخشري٣١٥ ،١٠/٣١٦

(٢) دراسات في علم البديع د .أحمد علي ص ١١٧ نقلًا عن فتح القدير١٤٧ ،١٠/١٤٨

(٣) وبذلك قال صاحب البيان في غريب إعراب القرآن.١/١٢٦

(٤) معاني القرآن للفراء١/٨٣

الخلق) أى: ابتداء الله الخلق علي الإسلام، كقوله تعالي: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ وقول الناس: (صبغ الثوب) إنما هو تغيير لونه وخلقته، وقال القاضى: (صبغنا الله صبغة)، وهى فطرته كأنها حلية الإنسان إذ هدانا بهدايته، وطهر قلوبنا بطهره، وسماه: (صبغة) لأنه ظهر أثره عليه ظهور الصبغ، قال الطيبى: فعلي هذا لا تكون مشاكلة بل استعارة مصرحة تحقيقية.

ورد السبكى ذلك قائلا: «وفيما قاله نظر لأن كل مشاكلة فهى استعارة فكونها استعارة لا ينافى المشاكلة»[1].. والصحيح أن (صبغة) من قبيل المشاكلة لا لكونها مصدرًا ولا لأنها استعارة مصرحة تحقيقية، بل لأن إطلاق مادة الصبغ علي التطهير من الكفر وقع فى مصاحبة صنيع النصاري بأولادهم.. وإن اعتبره البعض مجازًا استعاريًا، فهو مع ذلك لا ينافى كونه مشاكلة، يقول أبو يعقوب المغربى:

«إن إطلاق مادة الصبغ علي التطهير من الكفر مجاز تشبيهى، وذلك أنه شبّه التطهير من الكفر بالإيمان، بصبغ المغموس فى الصبغ الحسى، ووجه الشبه ظهور أثر كل منهما علي ظاهر صاحبه، فيظهر أثر التطهير علي المؤمن حسًا ومعني بالعمل الصالح والأخلاق الطيبة كما يظهر أثر الصبغ علي صاحبه، وقد عُلم أن أصل التطهير التنقية من الأثر

---

(١) عروس الأفراح للسبكى ٤/٣١٥ من شروح التلخيص.

المحسوس، لكن كثر استعماله فى المعانى حتي صار حقيقة عرفية، فباعتبار الأصل يكون إطلاق الصبغ علي معني التنزيه عن رزيلة الكفر مجازاً مرتبًا علي مجاز، وباعتبار كثرة الاستعمال يكون مجازاً محضًا عن أصل، فلفظ الصبغة إنما عُبِّر به عن معني التطهير علي وجه التجوز، ولا ينافى ذلك كونه مشاكلة باعتبار صحبته لما يعبر به عنه حقيقة أو مجازاً »[1].

هذا، وقد ذهب الكسائى وأبو البقاء إلي انتصاب (صبغة) علي الإغراء، يقول الكسائى: إن (صبغة) منصوبة علي الإغراء، والتقدير الزموا، وقدره أبو البقاء بفعل محذوف تقديره اتبعوا، وقد استبعده السبكى، لقوله تعالي بنفس الآية: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾إلا أن يقدر هناك قول، لكن فيه تكلف، وقد ذكر الزمخشرى هذا إلا أنه قدَّر الإغراء بالمجرورة، أى: (عليكم)، ورد عليه بأن الإغراء إذا كان بظرف أو مجرور لم يجز حذفه، ويحتمل أن يكون تقدير (عليكم) تفسير معني[2].

ولا مشاكلة، كما قلنا إلا علي الوجه الأول وهو ما ذهب إليه الزمخشرى اعتمادًا علي سيبويه.. وعن تقدير المشاكلة فى هذه الآية،

---

(1) مواهب الفتاح للمغربي.٣١٣/٤

(2) ينظر: عروس الافراح لبهاء الدين السبكى ٣٢٥/٤ من شروح التلخيص.

نلاحظ أنه لم يذكر معها لفظ: (الصبغ)، حتي تكون واقعة فى صحبته تحقيقًا.

ومعلوم أن «المشاكلة التقديرية هى أن يكون- هناك- فعل له لفظ دل عليه ولم يُذكر، فيذكر لفظ كاللفظ الدال علي ذلك»[1].. ولما كانت الصحبة التقديرية فى هذه الآية تحتاج إلي ما يدل عليها، أشار- الخطيب فى تلخيصه وكذا علماء البلاغة كالأنبابى وأصحاب الشروح- إلي ما يدل علي المقدر ببيان سبب النزول المصحح لأصل هذا التعبير، فقالوا: «إن الأصل فيه، أى: فى نزول الآية المشتملة علي التعبير بلفظ (الصبغة) أو الأصل فى التعبير بلفظ الصبغة فى الآية المنزلة، ومآل الاحتمالين واحد، هو قولهم: كونوا هودًا أو نصاري»[2].

ذلك أن النصاري كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمونه (المعودية) ويقولون إنه تطهير لهم من غير دينهم.. ولما كان التغطيس إنما هو فى الماء الأصفر الذى من شأنه أن يغير لون المغطس ناسب أن يمس ذلك التغطيس بهيئته من الصبغ لكونه بماء مخصوص، لغرض مخصوص، وإطلاق الصبغة المقدرة علي التغطيس مجاز سواء أريد نفسه- إذ لا يصبغ حقيقة- أو أريد لازمه عندهم، وهو التطهير من سائر

---

(1) (الكليات) معجم في المصطلحات.. لأبي البقاء الكفوي٤/٢٥٤.

(2) ينظر: تقرير الشمس الأنبابي على على شرح السعد لتلخيص المفتاح٤/٣٦٨

الأديان.. ولما كان هذا حالهم وقد نزلت الآية للرد عليهم فى ذلك، صار التعبير بالصبغة من الإيمان الحقيقى.. مشاكلة، لأنه يقدّر هذا اللفظ كأنه صادر منهم بقرينة النزول فى شأن الرد عليهم فيما يستحق أن يسمي صبغًا فهنا مصاحبة المعنيين ومصاحبة اللفظين إلا أن أحدها مقدر فهو كالمذكور.. وإنما قلنا أن هنا صحبة الصبغة المذكورة للصبغة المقدرة بهذه القرينة- قرينة سبب النزول ولعل النصاري- لأنه يستحق أن يعبر عنه بلفظ الصبغة.. فقِران النزول لهذا الفعل لقصد الرد عليهم، يفيد مصاحبة الصبغة المذكورة للمقدرة، لوجود المعني الذى يستحق ذكر لفظها، فكأنها ذُكر، إذ المقدر كالمذكور.

فمدار المشاكلة إذًا علي المعني وتسمية المشاكلة سواء كانت لفظية أو تقديرية بديعًا معنويًا، إنما هو بالنظر إلي أن لها تعلقًا بالمعني المصاحب، إذ هى ذِكر ذلك المعني بلفظ غيره للصحبة بين المعنيين فتلزم الصحبة بين اللفظين[1].

ومن هذا الصورة أيضًا ما حُكى من «أن بعض الولاة كان يغرس سيالًا- وهو نوع من النباتات الشوكية- فى جامع بغداد فوقف عليه من أنشده:

إن الولاية لا تدوم لواحد

(1) ينظر: مواهب الفتاح للمغربي بتصرف ٤/٣١٥-٣١٣ شروح.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

إن كنت تنكره فأين الأول

وأغرس من الفعل الجميل غرائسًا

فإذا عزلت فإنها لا تعزل

أقام (أغرس) مقام (أصنع) ليشاكل فعل الوالى»[1]، والفعل (اغرس) لا يقع علي الفعل الجميل، وإنما ذكر- كما قلنا- ليشاكل به فعله الذى رآه عليه فتعين أن تكون من قبيل المشاكلة، وإن كانت زراعة الخير وغرس الجميل مما يمكن أن يدخل فى باب الاستعارة دون حاجة إلي مشاكلة تصحح استعماله، وذلك إذا قلنا لرجل لا يزرع (ازرع معروفًا) أو (اغرس جميلًا) لأن القصد من لفظ (ازرع) و(اغرس) الشبه، أما إذا كان يزرع أرضًا فقيل له (أزرع معروفًا) فإنها مشاكلة لأن القصد من لفظ (أزرع) حينئذ الوقوع فى الصحبة بالنظر إلي حالته وهى هنا تقديرية.

والعجيب فى الأمر أن الزمخشرى- والخطيب من بعده- عدل عن الاستشهاد بهذا الشاهد وأراد أن يشير إليه مجرد إشارة، فقال: «وإنما جىء به بلفظ (الصبغة) علي طريق المشاكلة كما تقول لمن يغرس الأشجار: (أغرس كما يغرس فلان) تريد رجلًا يصطنع الكرم»[2]،

---

(1) الإشارات والتنبيهات للجرجاني.١/٣١٦

(2) الكشاف ١/٣١٦ وينظر: الإيضاح.٤/٢٤

فالمثال الذى ذكره الزمخشرى- فى الغرس وأراد أن يقرن بينه وبين قول الله تعالي ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ﴾- من النوع التحقيقى لا التقديرى، لأنه ذكر فيه غرسه مع غرس غيره علي خلاف الآية.

وعلي ما يبدو فإن الزمخشرى لم يكن ليفرق بين المشاكلة التقديرية والمشاكلة التحقيقية بدليل أنه لم يذكر عن التقديرية شيئًا البتة، وبدليل ما سقناه له الآن رغم تعرضه هو بنفسه ومن قبله الفراء ت سنة ٢١٠هـ والرضى ت سنة ٤٠٦هـ وغيرهما، لنوعى المشاكلة دون ما إشارة إلي هذا التقسيم الذى اخترعه السكاكى وأقره عليه الخطيب.

ولعل الشيخ عبد المتعال الصعيدى فهم هذا، وفهم أن الزمخشرى- ومن بعده الخطيب- شاكل بين (أغرس) الأول (ويغرس) الثانية فقال: «ولكن هذا من القسم الأول كما هو ظاهر، وإنما يُعَدّ من الثانى أن ترى إنسانًا يغرس شجرًا، فتقول لآخر: اغرس إلي الكرام»[1].. وإن كان من قبيل التكلف ما ذكره د. أحمد على حين ذكر أنه يمكن أن يجعل الغرس الأول والثانى معًا من قبيل المشاكلة التقديرية، ومناسبتها ذكرها مع فعل الغرس وهو غرس الأشجار، ثم عقب علي ذلك بقوله: «وربما كان هذا هو ما يعنيه الزمخشرى، بل هو الأقرب إلي أن يكون

(1) بغية الإيضاح للشيخ عبد المتعال الصعيدي ٤/٢٤

الزمخشرى قد عناه»[1]، إذ كيف يكون الأمر كذلك والزمخشرى لم يكن يفرق بين نوعى المشاكلة، بل ولا توصل إليه هو ولا أحد ممن سبقه، بل ولا حتي السكاكى من بعده رغم ما بذله من جهد فى تقسيم وتبويب لأنواع البديع ومن وضعٍ للحدود والمصطلحات، ويكفينا شاهدًا علي ذلك ما ذكره السكاكى حين قال عن المشاكلة: «هى أن تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته كقوله:

قالوا اقتراح شيئًا نُجِدْ لك طبخَه

قلت اطبخوا لى جُبّةً وقميصا

وقوله: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ﴾[البقرة: ١٣٨]، وقوله: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ﴾[البقرة: ١٩٤].. إلخ»[2] هكذا دون تقسيم أو تفريق بين نوعى المشاكلة لا فى التعريف ولا فى التمثيل، وقد ذكرنا أن هذا التقسيم كان من إضافات الخطيب القزوينى من بعده، فهو الذى أضاف لتعريف السكاكى عبارة: (تحقيقا أو تقديرًا)، ومثل لكل نوع منهما علي حدة[3].

ويمكن أن يكون من هذا القبيل أيضًا قوله تعالي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا

---

(١) دراسات في علم البديع د .أحمد علي ص.١١٩

(٢) مفتاح العلوم للسكاكي ص.٢٠٠

(٣) ينظر: الإيضاح للخطيب القزويني٤/٣١١-٣٠٩ ، شروح والتلخيص.

يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦] قال الزمخشرى: «ويجوز أن تقع هذه العبارة فى كلام الكفرة، فقالوا: أما يستحيى رب محمد أن يضرب مثلًا بالذباب والعنكبوت؟ فجاءت علي سبيل المقابلة، وإطباق الجواب علي السؤال، وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب منه قول أبى تمام:

من مبلغ أفناء يعرب كلها

أني بنيت الجار قبل المنزل..

فالذى سوغ بناء الجار... هو مراعاة المشاكلة»[1] فليس معنا هنا إلا لفظ واحد، وقع فى مقابلة كلام الكفار، فهو علي هذه الصورة من المشاكلة التقديرية، ولعل ذكر الزمخشرى لبيت أبى تمام- وهو من أمثلة وقوع الفعل علي ما لا يصح أن يقع عليه، لوقوعه فى صحبة ما يصح أن يقع ذلك الفعل عليه كما سيأتى تفصيل ذلك- يوضح لنا صدق ما ذهبنا إليه آنفًا من اختلاط هذه الأنواع جميعها فى ذهن الزمخشرى، وعدم تفريقه لأيٍّ منها

علي عكس الخطيب الذى فرق بين نوعيها إن لم يستوعب هو الآخر جميع أنواعها وصورها التى أشار إلى بعضها بعض شراح التلخيص- من مشاكلة بلفظ مضاد أو بلفظ مناسب وغير ذلك-

(١) الكشاف للزمخشري٢٦٣/١، ٢٦٤ ، وينظر: تفسير أبو السعود٧١/١، ٧٢

وفصل القول فيها بعض المحدثين من علماء البلاغة.. ولعل الذى يدفع عن الزمخشرى هذا أن سياق الزمخشرى سياق تفسير قرآن وليس سياق تحرير مسائل علميهٔ بخلاف الخطيب وغيره من شراح التلخيص.

النوع الثاني:

الوقوع في صحبة ضده، وله هو الآخر صورتان:

الأولى: الوقوع فى صحبة ضده تحقيقًا، ومن ذلك ما سبق الإشارة إليه من أن رجلًا شهد عند شُريح فقال: (إنك لسبط الشهادة)، أى: مستمر فى حفظها أو قبولها دائمًا لأن السبوط فى الأصل انطلاق الشَّعر وامتداده، فقال الرجل: (إنها لم تُجعَّد عنى)، أى لم تقصر عن إدراكه وحفظه، والتجعد فى الأصل ضد السبوطة، فقال شريح: (لله درّ بلادك)، حيث أراد أن يرسل الشهادة إرسالًا من غير تأويل ورويَّة كالشَّعَرِ السبط المسترسل فأجاب بأنها: (لم تجعد عني)، أى: لم تنقبض عنى بل أنا واثق من نفسى بحفظ ما شهدت فأسترسل القوة الذاكرة إياها واستحضر أولاها وأخراها، فشبَه انقباض الشهادة عن الحفظ وتأتيها عن القوة الذاكر بتجعيد الشَّعر، واستعمل التجعيد فى مقابلة السبوطة التى ذكرت أولًا [1].

و«قد عبر هنا بسبوطة الشهادة الذى أصله انطلاق الشَّعر وامتداده عن استمرار الشهادة وامتداد حفظها أو زمانها مطلق الامتداد الصادق، بامتداد أمد قبول الشهادة أو أمد حفظها، وعبّر عن قصورها بضد السبوطة، وهى

(1) ينظر: بغية الإيضاح٤/٢٣ ، والكليات للكفوي.٤/٢٥٥

الجعود تعبيرًا بالملزوم عن اللازم، لأن الجعودة تستلزم القصور فلذلك قيل: (لولا مصاحبة السبوطة ما حسن ذكر الجعودة)[1].

والذى سوغ تجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة وهى هنا بلفظ مضاد للفظ المذكور معه، وقد ذكر الخطيب هذا المثال فى إطار الصورة الأولي من النوع السابق، والصحيح أن هذا المثل يختلف تمامًا مع النوع الأول الذى هو ذكر الشىء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته هو، أما هذا النوع الذى نحن بصدده فهو ذكر الشىء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبة ضده، وهما بالطبع مختلفان.

«ومما نحن فيه قول حماد يهجو بشارًا هجاء فاحشًا ماجنًا: (له مقلة عمياء واست بصيرة)»[2]... فالاست لا توصف بالبصر ولا غيره، ولكن الذى سوغ هذا الاستعمال هو وقوع هذا اللفظ فى صحبة ضده وهو (عمياء) غير أن اللفظ الأول حقيقة، والثانى ليس من الحقيقة فى شىء وإنما ورد للمشاكلة.

ومما يمكن أن يدخل فى هذا الباب قول الحجاج بن يوسف الثقفى لسعيد بن جبير حين سأله عن اسمه فأجابه به، فقال الحجاج: (بل أنت شقى بن كسير).. فقد عمد الحجاج إلي المعني فى اسمه واسم أبيه

---

(1) مواهب الفتاح للمغربي.٤/٣١٠

(2) العمدة لابن رشيق ١٠/١١٠

فقلب كل منهما إلي شده علي سبيل المشاكلة، وهذا يحدث كثيرًا علي السنة الناس حينما ينحون بالأسماء إلي أضداد معانيها قصدًا إلي التحسين أو إلي التقبيح»[1].

والثانية: هو ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبة ضده تقديرًا، ومن ذلك.. مما يصلح له قول أحد الشعراء لمعن بن زائدة:

أتذكر إذ لحافك جلد شاة

وإذ نعلاك من جلد البعير

..إلي أن قال:

فجُد لى يا ابن ناقصة بمال

فإنى قد عزمت علي المسير [2]

فقوله: (فجُد لى يا ابن ناقصة)، إنما صح استعماله لأنه جاء فى مصاحبة ابن زائدة فى التقدير لأن الخطاب له والحوار معه»[3].

(1) دراسات في علم البديع د .أحمد علي.١٢١

(2) دليل الفالحين.١/٢٤٠

(3) دراسات في علم البديع د .أحمد علي ص.١٢١

النوع الثالث:

وهو ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبة مماثلة.. ومما هو من هذا القبيل -وقد سبق- أن رجلًا قال لوهب: (أليس قد ورد أن لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟).. فقال له وهب: (بلي، ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان، فإن جئت بالأسنان فُتح لك وإلا لم يفتح لك).. فالتعبير بالأسنان هنا عن الأعمال الصالحة والشرائع المعتبرة فى الإسلام لم يصححه إلا وقوعه فى صحبة المفتاح الذى عبر عنه بـ: (لا إله إلا الله) إذ الأسنان تناسب المفتاح، فالمشاكلة هنا تمت باللفظ المناسب[1].

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (رأأيت لو كلنت لك إبل فجدعت ... ... أشد وموساه أحد.. الحديث)[2].

والمشاكلة هنا فى (ساعد الله وموساه) فلا يضاف إلي الله شيء من ذلك لا علي الحقيقة ولا علي المجاز، وإنما الذى سوغ هذا الاستعمال هو وروده فى صحبة جدع الإبل وشقها، فإن من يجدع الإبل ويشقها،

---

(1) ينظر: مواهب الفتاح لأبي يعقوب المغربي ٤/٣١١-٣١٠ شروح التلخيص.

(2) رواه احمدفي المسند(٣/٤٧٣، ١٣٦) ، (٤ /١٣٧ من حديث مالك بن نضلة أبي الأحوص .. وينظر: الامثال من الكتاب والسنة ص٣٢ط نهضة مصر وينظر: دراسات في علم البديع ص.١٢٣

لابد من ساعد قوي ليقدر عليها، ولا بد له من آلة حادة للقيام بعملية الجدع والشق، ولا أحد له من موساه، فهذه الآلة حادة جدًا دقيقة جدًا وسريعة فى إنهاء عملها، وهذا هو الذى سوغ أن يضيف إلي الله تعالي ما أضيف إليه.

النوع الرابع:

وهو ملابسة الفعل بما لا يصح أن يتلبس به لوقوعه فى صحبة ما يصح أن يتلبس به ذلك الفعل ويدخل فى هذا النوع ثلاث صور:

أولها: تلبس الفعل بالفاعل: ونذكر من ذلك قول لبيد بن أبى ربيعة فى المعلقة:

فعلا فروع الأيهقان وأطفلت

بالجهلتين ظباؤها ونعامها [1]

فالنعام وهو مما يبنى لا يصح تلبس الفعل (أطفلت) به فى أى حال من الأحوال، لا حقيقة ولا مجازًا علي جهة الاستقلال، لأن الفعل (أطفلت)- ومعناه: ولدت وصارت ذات طفل، ولا يقال إلا لما يلد من الإنسان والحيوان- تلبس بالفاعل (ظباؤها) الذى عطف عليها (نعامها) فشاركه فى الحكم، والظباء مما يلد فيصح تلبس الفعل به، لكن الذى صوغ تلبس هذا الفعل به هو وقوعه فى مصاحبة ما يصح أن يتلبس

(1) الأيهقان :الجرجير البري، والجهلتان :جانبا الوادي.

ذلك الفعل به وهو الظباء، ونلاحظ هنا أن الفاعل الذى صح تلبس الفعل به وقع أولًا والفاعل الذى تلبس نفس الفعل به مشاكلة وقع آخرا.

أما الصورة الثانية: فهى وقوع الفعل علي ما لا يصح أن يقع عليه لتلبسه بالمفعول، وهذه الصورة ذكر لها الخطيب مثالًا ضمه إلي الصورة الأولي من النوع الأول وهو ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته تحقيقًا، ومثاله الذى ذكره هناك:

من مبلغ أفناء يعرب كلها

أني بنيت الجار قبل المنزل

والجار لا يبنى ولكنه يختار، ولكن صح وقوع البناء عليه لوقوعه فى صحبة ما يصح أن يقع ذلك عليه وهو المنزل، والمذكور معنا هنا بناء واحد وليس اثنين، وإنما المتعدد هو المفعول الذى وقع البناء عليه وهو الجار والمنزل، وقد ذكر أحدهما بلفظ الأخر لوقوعه فى صحبته، فكلٌ من الجار والمنزل مستعمل فى حقيقته، وليس هذا من النوع الذى ذكره الخطيب القزوينى، وربما الذى دفع الخطيب إلي هذا هو أنه رأي الزمخشرى ذكر هذه الأمثلة متتابعة[1] فنقلها الخطيب عنه بنفس الترتيب والتعليق.

([1]) الكشاف٢٦٣ ،١٠/٢٦٤

لكن عذر الزمخشرى أنه لم يكن يتحدث عن أنواع المشاكلة وصورها- وذلك ما ينبغى أن يراعى- كما أن الزمخشرى مهمته تتعلق بتفسير أى الذكر الحكيم وأنه إنما كان يتحدث عن المشاكلة بصورة عامة، على عكس الخطيب الذى كان يتحدث عن الأنواع والصور الخاصة بهذا اللون من ألوان البديع، فكان يجب عليه أن يضع الصورة فى نوعها الأشبه بها وأن يميز بين الصور بما يشاكلها، خاصة أنه من أهل التحديد والتدقيق، وكذلك فات الخطيب أن يفرق بين البيت السابق وبين قول شريح لأنه لا يشاكله، وهما معا لا يشاكلان النوع الأول وقد سبق أن ألمحنا إلى ذلك.

وقريب من البيت السابق قول بعض العراقيين فى قاضٍ شُهد عنده برؤية هلال الفطر فلم يقبل شهادته:

أترى القاضى أعمي

أم تراه يتعامى

سرق العيد كأن الـ

سعيد أموال اليتامي [1]

وهذا أيضا من أمثلة الخطيب على النوع الأول، ومثله فى ذلك مثل سابقه فالفعل (سرق)، وقع على أمر واحد وهو (العيد) وهو ما لا يصح أن يقع ذلك الفعل عليه، ولكن الذى سوغ الاستعمال هنا هو تشبيه

[1](ينظر: الإيضاح٤/٤٣ ، شروح التلخيص.

المفعول الذى وقع الفعل عليه بما يمكن أن يقع ذلك الفعل عليه، وهو: أموال اليتامي، فتشبيه ما لا يصح أن يقع الفعل عليه بما يصح أن يقع ذلك الفعل عليه، هو الذى سوَّغ هذا الاستعمال، ولهذا كان شبيها بالشاهد الماضى.

ومن ذلك قول خالد الطيغان:

نراه كأن الله يجدع أنفه

وعينيه إن مولاه ثاب له وفر [1]

فالفعل (يجدع)، لا يقع إلا على الأنف وحده أما العينان فلا، ولكن الذى سوغ وقوعه على العينين هو عطفها على ما يصح وقوع (يجدع) عليه وهو (الأنف) ولولا هذا ما صح أن تقول: (جدعت عينيه) لا على الحقيقة ولا على المجاز.

ويمكن أن يدخل فى هذا النوع قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾[الحشر: ٩] فالفعل ﴿تَبَوَّءُو﴾ وقع هنا على ﴿ٱلدَّارَ﴾ وعطف عليه ﴿وَٱلْإِيمَٰنَ﴾، فشاركه فى وقوع ذلك الفعل عليه، والتبوء فى الأصل يستعمل فى اتخاذ المكان مقامًا وموطنًا، والإيمان ليس مكانا فيصح أن يتبوأ، وإنما الذى صحح ذلك هو وقوعه فى مصاحبة ما يصح أن يتبوأ، لكن هذا قريب مما يصح أن يقع الفعل

---

(١) البيان في غريب إعراب القرآن للأنباري.١/٤١٨

عليه بدون مشاكلة لأن اتخاذ الإيمان وطنا ودارا يمكن أن يستساغ على المجاز.

× وكذا هو الحال فى قوله تعالي: ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾[يونس: ٧١] علي أساس أنه لا يصح أن يقع هذا الفعل علي الشركاء، ولكن الذى صحح وقوع هذا الفعل علي هذا المعطوف هو ونوعه فى صحبة ما يصح أن يقع هذا الفعل عليه، وذلك وجه من وجوهٍ ذكرها ابن الأنبارى فى كتابه: (البيان فى غريب إعراب القرآن)، وعنها قال:

«والثانى: أن يكون منصوبًا بتقدير فعل، والتقدير: (فأجمِعوا أمرَكم وأجْمَعُوا شركاءكم)، وقيل التقدير: وادعو شركاهم، وكذلك هى فى قراءة ابن مسعود»[1].

فـ(أجمِعوا) الأولي من أجمع الرباعى، و(اجْمَعُوا) الثانية من جمع الثلاثى، ولا يصح وقوع الأولي علي المعطوف عليه بحال علي هذا الوجه، والتقديران ذكرها بعض المفسرين فى الآية السالفة الذكر وهى قوله تعالي: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ﴾ قال الزمخشرى: «فإن قلتَ: ما معني عطف (الإيمان) علي (الدار)، ولا يقال تبوءوا الإيمان؟ قلُت: معناه تبوءوا الدار وأخلصوا الإيمان، كقوله: علفتها تبنًا وماءً باردًا »[2]،

(1) البيان في غريب إعراب القرآن. ١/٤١٧

(2) الكشاف للزمخشري. ٤/٨٣

وقيل: ضمَّن التبوء معني اللزوم.

وهذه الصورة لها فى كتب النحو شواهد، وللعلماء فيها توجيهات وأبرز شواهدهم النحوية علي هذا قول شاعر مجهول:

علفتها تبنًا وماءً باردًا

حتي غدت همالة عيناها

وقول الراعى النميرى:

إذا ما الغانيات برزن يومًا

وزجَّجْن الحواجب والعيونا

فالماء لا يعلف، ولكن وقع فى مصاحبة ما يعلف وهو (التبن)، والعيون لا تُزجج ولكن وقعت فيما يصح أن يزجج وهو (الحواجب)، والنحاة يمنعون هنا أن يكون هذا من عطف المفرد علي المفرد مع بقاء الفعل علي معناه، لأن شرط ذلك عندهم هو أن تصح المشاركة فى الفعل بين المعطوف والمعطوف عليه.

ويقرر بعضهم فى مثل هذا المقام، إضمار فعل مناسب للمفعول فيقدرون فى الأول: (علفتها تبنًا وسقيتها ماءً باردًا)، ويقدرون فى الثانى: (وزججن الحواجب، وكحلن العيون)، وإلي هذا ذهب الفارسى والفراء ومن تبعهما، ويكون هذا من باب عطف الجملة علي الجملة.. ويقدر بعضهم أنه لا حذف ولا تقدير وأن العطف هنا عطف مفرد علي مفرد، ولكنهم لا يبقون الفعل علي معناه، وإنما يؤولون فيه بحيث

يشمل المعطوف والمعطوف عليه حتي تصح المشاركة فى الفعل فيؤولون (علفتها) مثلًا بـ (أنلتها)، ويؤولون (زججن) مثلًا بـ (حسَّنَّ) وهذا قول الجرمى والمازنى والمبرد وأبى عبيدة والأصمعى واليزيدى[1].

والذى دفع النحاة إلي هذا كله هو تسويغ هذا الأسلوب وجعله مقبولًا.. وسواء أوّلنا فى الفعل، أم قدَّرنا فعلًا مناسبًا للمفعول، أم تركنا الفعل علي ما هو عليه بدون تأويل ولا تقدير كما هو الشأن فى المشاكلة، فإنه لا يصح أن تأتى أمثال هذه الأفعال واقعة علي هذه المفاعيل بدون مصاحبة، لا بتأويل ولا بغيره، ولأن المصاحبة هى المصححة لهذا الأسلوب كان من قبيل المشاكلة[2].

والصورة الثالثة: هى تلبس الفعل بالجار والمجرور الذى لا يصح أن يتلبس به لوقوعه فى صحبة ما يتلبس ذلك الفعل به، فمن ذلك قوله تعالي: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾[الذاريات: ٣٧، ٣٨]. قال الزمخشرى (وَفِى مُوسَىٰٓ) عطف علي ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ﴾- والوجه الثانى أن يكون عطفًا علي قوله تعالي: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً﴾ علي معني: (وجعلنا فى موسي آية)،

(1) ينظر: أوضح المسالك ٢/٢٤٩-٢٤٥ وشرح ابن عقيل.

(2) ينظر: دراسات في علم البديع د .أحمد محمد علي ص١٢٥، ١٢٩، ١٣١.

كقوله:

علفتها تبنًا وماءً وباردًا..)[1].

والتقدير الأول قال به أيضًا الفراء وابن عطية وردّه أبو حيان[2]، وبقي الوجه الثانى، وهو وجه مستساغ، وهو قائم علي أساس أن الذى سوغ تعلق الجار والمجرور بالفعل ﴿وَتَرَكْنَا﴾ هو المصاحبة، وهو بمعني (وجعلنا) عطف علي الاتباع فى اللفظ وإن اختلفا فى المعني.

× ومثل ذلك قوله تعالي: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ﴾[الواقعة: ١٧، ٢٢].. قرأ حمزة والكسائى بجر (وحور عين) عطفًا علي أكواب، «قال الفراء فى توجيه العطف علي (أكواب): إنه يجوز الجر عطفًا علي الاتباع فى اللفظ وإن اختلفا فى المعني، لأن الحور لا يُطاف بهن، فهو كما فى قول الشاعر:

إذا ما الغانيات برزن يومًا

وزججن الحواجب والعيونا

والعين لا تزجج وإنما تكحل، ومن هذا قول الشاعر: (علفتها تبًا وماءً باردًا)

---

(١) الكشاف ١٩/٤ وأبو السعود ص١٤١/٨

(٢) فتح القدير للشوكاني٥/٩٠ ،١٠/١٥٠

وقول الآخر: متقلدًا سيفًا ورمحًا..[1]))

فتوجيه الفراء هنا قائم علي أساس المصاحبة، وهذا من قبيل المشاكلة»[2].

النوع الخامس: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبة معناه تحقيقًا.

والصورة الأولي له: أن يكون المعني المصاحب للفظ مدلولًا له دلالة مباشرة، وأن يكون ذلك ظاهرًا واضحًا ومثاله قول الشاعر:

فإن يک أنفي زال عني جماله

فما حسبى فى الصالحين بأجدعا

أراد: فما حسبى بمنقوص، واستعمال (الجدع) فى (النقص) ظاهر، وقد حسَّنه هنا: ذكر (الأنف) لأنه من مشاكله، والتقدير علي نحو ما ذكره ابن رشيق: (وإن يک أنفي أجدعَ، فما حَسَبى بأجدع)»[3].. فـ(الحسب) لا يكون أجدع بحال، وإنما صحح استعماله علي هذه الصورة وقوعه فى مصاحبة معني (أجدع) فى الشطر الأول وهو قوله:

(فإن يک أنفي زال عني جماله)

أما الصورة الثانية: وهى نادرة فهى أن تأتى المشاكلة فى مثل هذا

---

(1) فتح القدير للشوكاني ٥٥/٩٠ ــ ١/١٥٠

(2) ينظر: دراسات في علم البديع د .أحمد محمد علي ص١٢٥، ١٢٩، ١٣١.

(3) العمدة لابن رشيق٢/٩

النوع، بحيث يكون فيه وجه خفاء أو بُعد فى الاستعمال، بل قد يزيدها ذلك جمالًا وإشراقًا فيما لو انفرد اللفظ دون مصاحبة دالًا علي نفس المعني، ويمكن أن يكون من هذا قول جرير:

كل الأرامل قد قضيت حاجتها

فمن لحاجة هذا الأرمل الذكر

فعلي الرغم من أن (الأرمل) يصح استعماله فى الدلالة علي الرجل الذى فقد زوجته، لكن مجيئه علي طريقة المشاكلة هنا أعطاه مسحة من الجمال ليست له إذا جاء منفردًا، وربما من أجل ذلك قال ابن جنى: قلما يستعمل (الأرمل) فى الذكر إلا علي التشبيه أو المغالطة[1].

وهكذا نري أن الصورة تنمو وتزداد شيئًا فشيئًا، علي الرغم من الإطار الضيق الذى حبس الخطيب فيه المشاكلة حين قصرها علي صورة واحدة تحوى بداخلها نوعين من أنواع بلغت عشرًا.

(1) ينظر: لسان العرب مادة) رسل (كما ينظر: دراسات في علم البديع ص١٣٢،١٣٣

الفصل الثاني

التطور التاريخي والفني للمشاكلة

- المبحث الأول: تطور المشاكلة من الناحية التاريخية.
- المبحث الثاني: تطور المشاكلة من الناحية الفنية والاستخدام البياني.
- المبحث الثالث: خصائص ومميزات المشاكلة إبان المراحل التي مرت بها.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المبحث الأول
تطور المشاكلة من الناحية التأريخية

تمهيد

حريٌّ بنا ونحن نستعرض مظاهر التطور التاريخى للمشاكلة، أن نتناول هذا التطور لهذا اللون من ألوان البديع من جانبين:

الأول: هو جانب تطور المشاكلة من الناحية التأريخية، ليتسني لنا بذلك استعراض مظاهر التطور من الناحية النظرية، ودراسة أفكار وآراء وأقوال العلماء، وما أضيف إلي هذا الفن وكيف وصل إلي ما هو عليه فى وقتنا الحاضر، وبيان مدي العلاقة التى تربط بين المشاكلة وبين بعض أنواع البديع الأخري كالجناس والمزاوجة وغيرها.

الثانى: هو جانب التطور التاريخى للمشاكلة من الناحية الفنية، لنقف من خلال ذلك علي معرفة مظاهر تطور المشاكلة من الناحية التطبيقية والعملية، وليتسني لنا معرفة جوانب الاتفاق والاختلاف من خلال عمل مقارنة، وبيان ما إذا كان ثمة فروق جوهرية بين أساليب المشاكلة فى شعر الجاهلية وفى أحاديث المصطفي صلى الله عليه وسلم ثم عرض شعر العباس، أم .

ولنبدأ أولًا بجانب تطور المشاكلة من الناحية التأريخية:

أولًا: المشاكلة قبل القرن الثالث الهجري:

فنى عن البيان أن نذكر أن اسم المشاكلة لم يظهر كمصطلح متعارف عليه طوال القرن الثانى الهجرى، وإنما كان يأتى فى الكلام- شعرا أو نثرًا - عفوا ودون ما قصد إليه، شأنه فى ذلك شأن القرن الأول الهجرى وما قبله، إذ أن من المعهود والمتعارف عليه أن أنواع البديع فاعليةً- والمشاكلة واحدة منها- كانت مطمورة وسط ما عرف وقتئذ بالمجاز أو الاتساع علي نحو ما أسماه سيبويه أمام النحاة، فلم تُميَّز وقتها علوم البلاغة الثلاث- المعانى والبيان والبديع- علي نحو ما هو معروف الآن بل إن كلمة (البديع) نفسها كانت تطلق علي علوم البلاغة المختلفة، وظل الأمر كذلك حتي مطلع القرن الثالث الهجرى.

ثانيًا: المشاكلة في القرن الثالث الهجري :

١- المشاكلة عند أبي زكريا يحيي بن زياد الفراء: ت سنة ٢١٠هـ:

جاء الفراء فى مطلع القرن الثالث الهجرى ليشير إلي بداية وميلاد مصطلح المشاكلة وذلك من خلال كتابة (معانى القرآن) فقد أخذ

يستعرض أمثال قول الله تعالي ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾[البقرة: ١٩٤].. قائلًا:

«فلا يكون القصاص ظلمًا، وإنما كان لفظه واحدا»[١] فكانت هذه هى إشارة البدء ونقطة البداية فى معرفة هذا اللون البديعى، الذى هو ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى الصحبة، وقد كان حديثه علي هذا النحو هو بذرة الكلام فى المشاكلة، وقد أصاب من الموضوع أهم ما فيه وهو اللفظ الواحد المعبر به عن معنيين مختلفين الأول حقيقة والثانى مشاكلة لوقوعه فى صحبة الأول) وهذا- بالطبع- غير المجاز الذى يُعرَف بأنه (الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له فى اصطلاح التخاطب علي وجه يصح، مع قرينة عدم إرادته)[٢] فليس هنا ثمة ذكر للصحبة بخلاف ما ارتأيناه هناك فى المشاكلة.

وهكذا وضع الفراء أيدينا علي بداية الخيط للتعرف علي هذا اللون من الكلام.. وبذا يُعَد الفراء- بحق، أول من أثار بحث المشاكلة فنيًا وإن لم يسمها أو يضع لها اصطلاحها المعهود لدي المتأخرين، وذلك من الناحية النظرية أو التاريخية، والمتأمل لـ (معانى القرآن) الذى حشد الفراء فيه العديد من الآيات القرآنية مفسرًا ومبينًا جوانب الحقيقة

---

(١) معاني القرآن للفراء ص١١٦، ١١٧.

(٢) بغية الإيضاح للصعيدي ٣/٨٧.

والمجاز فيها يلمح ذلك واضحًا، كما يُلاحظ أنه لم يدع للمتأخرين مزيدًا يضيفونه إلي ما ورد عنده نحوها سواء أكان ذلك من ناحية التقسيم بنوعيه أو حتي ضرب الأمثلة كذلك، فعن قوله تعالي ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[البقرة: ١٩٣]، يقول الفراء:

«فإن قال قائل: (أرأيت قوله.. ﴿فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أعدوان هو وقد أباحه الله لهم؟، قلنا: ليس بعدوان فى المعني: إنما هو لفظ علي مثل ما سبق قوله، يعني بذلك: قوله تعالي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[البقرة: ١٩٠]، ألا تري أنه قال: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾[البقرة: ١٩٤]، فالعدوان من المشركين فى اللفظ ظلم فى المعني، والعدوان الذى أباحه الله وأمر به المسلمين إنما هو قصاص، فلا يكون القصاص ظلما، وإنما كان لفظه واحدًا، ومثله قول الله تبارك وتعالي: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾[الشوري: ٤٠]، هى ليست من الله علي مثل معناها من المسيء لأنها جزاء»[1].

ولعل وقفه الفراء هذه عند هذه الآية هكذا علي هذا النحو، هى التى فتحت الباب لدراسة هذا اللون من ألوان التعبير علي الرغم من أنه لم يضع له مصطلحا.. وعن قول الله تعالي ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ

(1) معاني القرآن للفراء١١٦، ١١٧/١٠

خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[آل عمران: ٥٤].. يقول بعد سرده لمناسبة الآية وقصتها: «والمكر من الله استدراج، لا علي مكر المخلوقين»(١).

والملاحظ أن ذلك نفس ما قاله المتأخرون، فهم لم يزيدوا عليه إلا توضيح معني المشاكلة فى هذه الآيات، وقد أشار هو ضمنا فى فحوي كلامه لمعناها، «فالاعتداء علي الظالمين ليس عدوانًا من الله وإنما هو قصاص، والسيئة ليست إساءة منه سبحته، وإنما هى جزاء عادل.. والمكر ليس خدعة أو خبثا، وإنما هو نوع من الاستدراج إلي الجزاء العادل.

وعليه فهذه الألفاظ تحمل معني غير معناها وإن تشاكلت فى سمتها الظاهرى مع ما قبلها وهذا التفسير يمثل النوع الأول من المشاكلة عند المتأخرين، وهو: (التعبير عن الشىء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته تحقيقًا)

أما النوع الثانى من المشاكلة: وهو ذكره بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته تقديرا، لقد تناوله الفراء كذلك فى تفسيره لقول الله تعالي: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ ﴾[البقرة: ١٣٨]. وفيها يقول: وإنما قيل ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ لأن بعض النصاري كانوا إذا وُلد المولود جعلوه فى ماء لهم، يَعُدُّون ذلك تطهيرًا له كالختان.. فقال: قل ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ يأمر بها محمد صلى الله عليه وسلم فجرى الصبغة

(١) معاني القرآن للفراء ١/٢١٨

عل ل خ ت ل ا ض ب غ م الغلمان فى الماء»[1].

فقوله ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ﴾ هنا معناها الختان عن المسلمين.. وهى فى مقابل صبغة النصاري أولادهم حيث كانوا يغمسونهم فى الماء عند ولادتهم تطهيرًا لهم.. وهذا لا يعنى إلا استعمالٌ لمعني المشاكلة التقديرى.. إذ أن لفظ الصبغة لم يتقدم فى الحقيقة، وإنما تقدم معناه فقط، وهو: الحالة المعهودة فى النصاري عند الولادة، فكان اللفظ وأن لم يتقدم تحقيقا إلا أنه قد تقدم تقديرًا.

ولنا أن نقارن بين كلامه هذا وكلام المتأخرين ـــ كالخطيب مثلًا وغيره ـــ لنري مدي الانسجام والمماثلة بين هذا وذاك، ومدي تأثر الخطيب وغيره من المتأخرين به، ليتبين لنا بصورة أوضح كيف أن الفراء قد تحدث عن معني المشاكلة بنوعيها الحقيقى والتقديرى وباستفاضة ووضوح بيان، ومثَّل لها، وإن كان لم يُسَمِّها أو يضع اصطلاحها الفنى والمتعارف عليه لدي المتأخرين من علماء البلاغة.

٢- المشاكلة عند الجاحظ: ت سنة ٢٥٥هـ:

وهو علي نحو ما فعل سابقيه- عدا الفراء- لم يتطرق لمدلول المشاكلة، وإنما أنصبَّ كلامه واهتمامه علي المجاز، ومذهبه فيه

---

(١) معاني القرآن للفراء٨٢ ،١/٨٣.

كمذهب سيبويه، فالمجاز عنده ما قابل الحقيقة، وقد ورد عنده بمعني استعمال اللفظ فى غير حقيقته توسعًا عند أهل اللغة، ومعني هذا عنده أن المجاز من باب التوسع فى الكلام، ويتضح هذا فى عرضه للعديد من نصوص القرآن.

وقد كان من المنتظر- وهو المسبوق بأبى زكريا الفراء- أن يضيف لما بدأه الأول جديدًا، أو يزيل مبهما، أو يضع لمدلول المشاكلة اسما أو مصطلحا، وهو من هو فى علوم العربية والتبحر فيها.

٣- المشاكلة عند ابن قتيبة: ت سنة ٢٧٦هـ:

والحقيقة أن ابن قتيبة قد توصل بحسه المرهف إلي معني المشاكلة، وإن لم يضع لها حدا أو يسمها باسمها شأنه فى ذلك شأن الفراء، بل إنه آثر أن يسميها بـ (المجازاة) تارة وبـ (الجزاء) تارة أخري وبـ (الاستعارة) تارة ثالثة، والمتتبع لتأويله لمشكل القرآن أو لتفسيره لغريب القرآن، يري ذلك ويلاحظه، فقد عد ابن قتيبة من باب (مخالفة ظاهر اللفظ معناه) الجزاء عن الفعل بمثل لفظه، والمعنيان مختلفان، نحو قول الله تعالي ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[البقرة: ١٤، ١٥]. أى يجازيهم جزاء، الاستهزاء، وكذلك ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾[آل عمران: ٥٤]، ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[الشوري: ٤٠] هى

من المبتدئ سيئة، ومن الله عز وجل جزاء، وقوله ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾[البقرة: ١٩٤] فالعدوان الأول ظلم، والثانى جزاء، والجزاء لا يكون ظلما، وإن كان لفظه لفظ الأول[١].

وفى موطن آخر يكرر نفس المعانى فيقول فى قوله تعالي ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ﴾[التوبة: ٦٧] أى جازاهم جزاء النسيان[٢]. وفى قوله تعالي: ﴿وَأَكِيدُ كَيۡدٗا﴾[الطارق: ١٦] يقول: (أى أجازيهم جزاء كيدهم»[٣])، فما أسماء ابن قتيبة هنا باسم (الجزاء) أو (المجازاة) هو بعينه ما أسماه المتأخرون باسم المشاكلة أو المجاز المرسل لعلاقة السببية.. وفى بحث ابن قتيبة للاستعارة نري أنه أطلقها أيضًا علي لون من ألوان المشاكلة لدي المتأخرين وهو اللون التقديرى منه.. ولا عجب فقد جعل المشاكلة من علاقة الاستعارة.. فابن قتيبة لم يقصر علاقة الاستعارة، وهى: الجهة الجامعة علي المشابهة، كما هى عليه فى اصطلاحها الأخير، بل توسع فيها فشملت غير المشابهة ما يأتى:

(١) المجاز المرسل. (٢) التشبيه البلاغى. (٣) الكناية. (٤) المشاكلة.

---

(١) ينظر: تأويل مشكل القران ص١١٣،١٤

(٢) ينظر: تأويل مشكل القرآن ص١١٣

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٤١،٥٢٣

ونخلص من هذا، أن ابن قتيبة أطلق الاستعارة علي لون من ألوان المشاكلة لدي المتأخرين، وهى ذكر الشيء بلفظ غيره وقوعه فى صحبته تقديرًا، كما فى قوله تعالي ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ﴾[البقرة: ١٣٨]. علي أن المجاز عند ابن قتيبة يشمل الأنواع التالية:

الأول: المجاز فى اللفظ، وهو نوعان: نوع يخرج فيه اللفظ إلي معني آخر ليس بينهما صلة مثل: مال الحائط- إذا مال، ونوع ينتقل فيه اللفظ إلي معني أخر بينهما صلة أو ارتباط- كقول عيسي عليه السلام (أدعو أبى وأذهب إلي أبى).

الثانى: المجاز فى الإسناد، ويشمل المجاز العقلى فى اصطلاح المتأخرين، والاستعارة المكنية، مثل (نبت البقل وطالت الشجرة) وقوله تعالي ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾[البقرة: ١٦] وقوله تعالي: ﴿مِن مَّآءٖ دَافِقٖ﴾[الطارق: ٦]. أى مدفوق، وقوله ﴿فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾[القارعة: ٧] أى: مرضى بها.

الثالث: المجاز بمعني تنوع الأساليب بناء علي التوسع لنكته فيها- وهو عام فى شتي الأساليب العربية- وعنه يقول: «وللعرب المجازات فى الكلام، ومعناها: طرق القول ومآخذه، فمنها الاستعارة والتمثيل...الخ»[1].. والمجاز بهذا المعني يدخل فيه جميع الصور

(1) ينظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص٧٨،٨٢

البلاغية قاطبة، وهذا هو ما بينا فى الحديث عن دور ابن قتيبة فى تطور مدلول المشاكلة.

من ذلك كله ندرك أن ابن قتيبة هو أول من تعرض لتقسيم المجاز علي هذا النحو، وأنه قد توسع فيه حتي شمل كل ما ذكره سابقوه، كـ (سيبويه وأبى عبيدة والجاحظ وغيرهم، وأن الاستعارة داخلة تحت النوع الثالث من المجاز عنده، وأن المشاكلة التقديرية واحدة من علاقات الاستعارة المتعددة، وإن كان قد تحدث عن نوعى المشاكلة وسماها مجازاة أو جزاء، كما أطلق عليها اسم الاستعارة حيث جعلها من علاقاتها.

ونظرة تأمل فى المقارنة بين جهود كل من ابن قتيبة والفراء فى تناولهما للمشاكلة، نلحظ أن ابن قتيبة قد سار بالمشاكلة خطوة إلي الإمام وذلك من ناحية جديدة لماهية هذا الصبغ البديعى بإطلاقه عليها اسم: (المجازاة) أو (الجزاء) فهذا الإطلاق وإن لم يكن هو التعريف الذى استقر عليه أمر المشاكلة، إلا أنه يمكن أن يكون البداية له والمقدمة للتوصل إليه.

وقد كان من المأمول أن نلحظ مثل هذا التقدم من الناحية التطبيقية عند ابن قتيبة، لكنه آثر إلا أن يجعل من المشاكلة التقديرية واحدة من علاقات الاستعارة علي الرغم من أن الاستعارة مبناها علي علاقة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المشابهة علي خلاف المشاكلة ولو أن ابن قتيبة استقر علي ما توصل إليه الفراء ولم يتوسع فى باب الاستعارة لتشمل عنده المشاكلة، أو بمعني آخر: لو أنه فصل بين الاستعارة والمشاكلة علي نحو ما استقر عليه الأمر عند المتأخرين، لكان ابن قتيبة – بإطلاقه اسم (المجازاة) أو (الجزاء) علي المشاكلة وإدخال ذلک كله وما ساقه من أمثلة فى باب: (مخالفة ظاهر اللفظ معناه) – قد خطا بالمشاكلة خطوات إلي الإمام ولاتضحت معالم المشاكلة بنوعيها علي يديه. ولعل ابن قتيبة أراد من ذلک أن يجعل المشاكلة عنده أظهر وأوسع، خاصة وأن هذا الإطلاق لم يكن معهودا عندهم.

وثمة ملمح تجدر الإشارة إليه من شأنه أن يرجح من كفة ابن قتيبة فى نظرته لهذا الأمر، ذلک أن ابن قتيبة حين يتحدث عن المشاكلة لا يعرض لها من خلال تفسير آيات القرآن المتفرقة أو بيان معانى مفرداتها علي نحو ما صنع الفراء، وإنما عرض للمشاكلة علي أنها واحدة من علاقات الاستعارة ليجعل منها وحدة موضوعية سرعان ما تتبلور بعد ذلک لتصبح لونا مستقلًا من ألوان البديع، ولعل هذا ما يجعلنا نؤكد أن نظرة ابن قتيبة للمشاكلة كانت أوسع من نظرة الفراء وإن كان الفراء قد انفرد بتحليلاته الدقيقة وشرحه المستفيض، وإظهاره لمعالم المشاكلة فى الآيات دون ما خلط بينها وبين الاستعارة.

٤- المشاكلة عند المبرد: ت سنة ٢٨٥ هـ:

شغلت قضية اللفظ والمعني فى زمانه العديد من الأدباء والبلغاء، وكان المبرد واحدًا من هؤلاء الذين أدلوا بدلائهم فى هذه القضية المهمة، وتأتى أهميتها فى كون البلاغة راجعة إليهما، وهو ما حدا بشيخ البلاغيين: عبد القاهر الجرجانى، أن يوليها اهتمامه الأول فى كتابه (دلائل الإعجاز) ليشبعها بحثًا، وذلك تحت مسمي (النظم).

ومن مظاهر اهتمام المبرد بقضية اللفظ والمعني: هذا الكتاب الذى اسماه (ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد).. وكان لموضوع المشاكلة نصيب فى كتابه هذا لشدة اتصاله بعنوان وموضوع هذا الكتاب.

وإن كان المبرد لم يتجمل إلي اسم المشاكلة ولم يتعرض له كمصطلح، مثلما تعرض له المتأخرون، لكنه كان خطوة علي الطريق، وقد تناول موضوع المشاكلة- علي نحو ما تنطق كتاباته- تحت اسم (التزاوج أو المزج) فهو يقول: «وقوله تعالي: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ﴾[البقرة: ١٩٤]، المعني: فاقتصُّوا منه، يمز ج به اللفظ بلفظ غيره، كقول العرب (الجزاء بالجزاء)، والأول ليس بجزاء، ويقول: (فعلت بفلان مثل ما فعل بى)، أى: اقتصصت منه، والأول بدأ ظالما، والمكافئ إنما أخذ حقه، فالفعلان متساويان والمخرجان متباينان إذ

كان الأول ظالما، ومثله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾[الشوري: ٤٠]، والثانية ليست سيئة تكتب علي صاحبها، ولكنها مثلها فى المكروه»[1].

وهكذا يلاحظ أن ما أسماه المبرد (مزجًا أو تزاوجًا) بين الكلمات والجمل، هو ما اسماه المتأخرون باسم المشاكلة: وهى ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته.. كما يلاحظ أيضًا أن المبرد لم يختلف فى شيء من تفسيره لآيات المشاكلة وبيانها عما فعله المتأخرون، ولا حتي المتقدمون له كالفراء وابن قتيبة، اللهم إلا فى تسميته لها (مزجًا أو تزاوجا).

وإن كان من شيء يؤخذ علي المبرد، فهو: خلطه بين أسلوب المشاكلة التى أسماها (تزاوجا)، وبين الجناس، فهو وإن كان محقا فى سردهما فى كتابه ـــ باعتبارهما مما اتفق لفظه واختلف معناه ـــ إلا أنه لم يكن كذلك فى خلطة بين المصطلحين وجعلهما كالشيء الواحد، إذ شتان بين المشاكلة والجناس.

يقول المبرد فى قول الله تعالي ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾ [البقرة: ٢٨٦]: «إن المعني واحد، كقوله: (نظرته وانتظرته).. وهذا الاختلاف: فى الشكل، أى: فى صيغة اللفظ وبنائه لا المعني»[2]، وهذا

---

(1) ما اتفق لفظه واختلف معناه للمبرد ص١٢،١٣.

(2) ما اتفق لفظه واختلف معناه للمبرد ص١٢،١٣.

هو معني الجناس عند المتأخرين، أطلق عليه المبرد وأدخله تحت اسم (التزاوج) كما فعل فى المشاكلة، مخالفًا بذلك ما عليه علماء اللغة من أن زيادة المبني تدل علي زيادة المعني، علي نحو ما مثّل هو به فى الآية، وغيرها»[1]، وإن كان يحمد له، أنه لم يخلط بين ذلك كله وبين المجاز علي نحو ما فعل سابقوه.

ولعله بذلك كان فى فاتحة خبر لمن أتوا بعده ليفصلوا أبحاث المشاكلة والجناس وسائر أنواع البديع عن المجاز وأنواعه، ولا أكون مبالغًا إذا قلت أنه بصنيعه هذا، كان أول من فصل بين أبحاث علم البديع وأبحاث علم البيان بعد أن كان خليطا، وإن كان بعض المعاصرين يعيب ذلك معترضا علي أن تكون ألوان البديع ومنها: المشاكلة، مقصورة علي التحسين والتزيين العرضى.. ولهذا الأمر موضعه من البحث عند الحديث عن المشاكلة بين الحقيقة والمجاز.

٥- المشاكلة عند عبد الله بن المعتز: ت سنة ٢٩٦هـ:

وابن المعتز وإن كان يُعَدَّ- علي حد قوله- أول من بدأ التأليف فى البديع عادًّا لأنواعه، حيث يفيد فى مقدمة كتابه (البديع): أن البديع لم

(١) ينظر: أهم المصطلحات البلاغية في القرنين الثالث والرابع الهجري .دكتوراه لمحمد عبد الرحمن شعبان بتصرف ص٦٦٧،٦٦٨.

يؤلف فيه أحد من قبله وما سبق إليه أحد، ثم طفق يسرد ألوانا تعتبر مزيجا مما كان داخلًا فى البيان والمعانى عادًّا منها سبعة عشر نوعًا.. إلا أنا نستطيع القول بأن المبرد قد مهد له الطريق وأفسح له المجال علي نحو ما ذكرنا، فهو قد بالغ فيما ذكره فى مقدمة كتابه، وكان عليه أن يلمح فيها بصنيع من سبقوه، وعلي رأسهم المبرد صاحب كتاب (ما اتفق لفظه واختلف معناه)، خاصة وأن ما ذكره يتنافي مع قوله فى مقدمته أيضًا: «وإنما غرضنا فى هذا الكتاب تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلي شيء من أبواب البديع»[1].

وابن المعتز علي الرغم من أنه مسبوق بالفراء والمبرد ـــ الذى كان له الفضل فى فصل أبحاث علم البديع عن أبحاث علم البيان، وفى تعرضه للمشاكلة تحت اسم المزج أو التزاوج ـــ إلا أنه ومع كان هذا لم يتعرض لموضوع المشاكلة كواحد من أنواع البديع، بل اكتفي بتقسيم علم البديع قسمين: أدخل فى الأول منهما خمس أنواع هى: (الاستعارة، التجنيس، المطابقة، رد الأعجاز علي ما تقدمها، المذهب الكلامى).

وهو فيما يبدو قد أدخل (المشاكلة) فى باب (التجنيس)، علي نحو ما صنع المبرد، فيكون حينئذ قد تأثر به فى ذلك، والذى يدل علي

---

(1) البديع لابن المعتز ص٣٠

ذلك أننا نراه يطلق (التجنيس) علي: (ما اتحد فى المعني أو اختلف من غير تفرقه بينهما)، مع التشابه بينهما فى تأليف الحروف، فهو يعرف الجناس بقوله: «هو أن تجئ الكلمة تجانس أخري فى بيت شعر وكلام، ومجانستها أن تشبهها فى تأليف حروفها علي السبيل الذى ألف عليها الأصمعى كتابة (الأجناس).. فعندما تكون الكلمة تجانس أخري فى تأليف حروفها ومعناها ويشتق منها مثل قول الشاعر:

(يوم خلجت علي الخليج نفوسهم)[1].

أو يكون تجانسها فى تأليف الحروف دون المعني، مثل قول الشاعر: وهو مسلم بن الوليد:

يا صاح إن أخاك الصّبّ مهموم

فارفق به إن لوم العاشق اللوم» [2]

فهو فى هذا متأثر أشد التأثر بالمُبَرّد، ويكاد يأخذ ألفاظ كتابه: (ما اتفق لفظه واختلف معناه) ليجمع بين التزاوج والجناس علي نحو ما صنع، وكنا نود أن يضيف ابن المعتز وهو صاحب كتاب (البديع)، جديدًا بعد أن كشف المبرد النقاب عن موضوع (المشاكلة)، ومثل له بالعديد من آى القرآن تحت اسم (المزج) أو (التزاوج).

---

(1) خلجت :طعنت.

(2) اللوم :اللؤم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعلي أى حال فإن ابن المعتز وإن لم يتحدث عن المشاكلة ولم يعرض لها من قريب أو بعيد، فإن كلامنا عنه يفيد فى مسألة الربط وبيان العلاقة بين (المشاكلة) و(الجناس) وتقاربهما عنده.

وهكذا ينتهى القرن الثالث الهجرى وقد بدت ملامح المشاكلة تظهر وتضع صورتها ومعالمها علي يد الفراء، وهو وإن لم يسمها باسمها أو يضع لها حدّها المعروف عند المتأخرين، إلا أنه لابد وأن يُعلم أن بداية أى أمر لابد أن تكون هكذا، مجرد إشارات وتلميحات يكملها ما يأتى بعدها، لتتضح معالمها شيئًا فشيئًا حتي تستوى علي سوقها وتؤتى ثمارها، وهذه سنة الله فى خلقه.

ثالثًا: المشاكلة في القرن الرابع الهجري:

فإذا ما انتقلنا إلي القرن الرابع الهجرى للبحث عن موقع المشاكلة بين فنون البديع فإننا لن نجد جديدًا يذكر، ولعل السبب المباشر فى ذلك هو تأثر علماء البلاغة فى ذاك القرن بتراث سلفهم فى بحث المشاكلة دلالة ومعني ومثالًا وعلي رأس هؤلاء نجد:

١- المشاكلة عند قدامة بن جعفر ت سنة ٣٣٧هـ:

وهو لم يضف علي ما ذكره ابن المعتز شيئًا يذكر سوي تقسيم الجناس، فهو يطلق علي ما كان من الجوامد اسم (المطابق)، وعلي ما

كان من المشتقات اسم (الجناس) حيث يقول فى تعريف الجناس: «أن تكون المعانى اشتراكها فى ألفاظ متجانسة علي جهة الاشتقاق»[1].. وليس فى ذلك كبير فائدة يهم موضوع بحثنا من قريب أو من بعيد.

٢- المشاكلة عند الرماني ت ٣٨٦هـ:

وإذا ما انتقلنا لواحد كالرمانى نجده يدمج (المشاكلة) فى (الجناس) متأثرا فى ذلك بالمبرد، بل إنه يجعل (المشاكلة) أحد قسمى (الجناس)، فهو يقسم التجانس قسمين: (مناسبة) و(مزاوجة)، ثم عرف (المزاوجة) ومثّل لها وبين فائدتها وفضلها فى القرآن علي كل ما عداه، فقال: «فالمزاوجة تقع فى الجزاء كقوله تعالي: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ﴾[البقرة: ١٩٤] أى جازوه بما يستحق عن طريق العدل، إلا أنه استعير للثانى لفظ الاعتداء لتأكيد الدلالة علي المساواة فى المقدار، فجاء علي مزاوجة الكلام لحسن البيان، ومن ذلك: ﴿مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾[البقرة: ١٤، ١٥] أى: يجازيهم علي استهزائهم، ومنه: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾[آل عمران: ٥٤] أى: جازاهم علي مكرهم، فاستعير للجزاء علي المكر اسم (المكر)، لتحقيق الدلالة علي أن وبال المكر راجع عليهم ومختص

(١) نقد الشعر لقدامة بن جعفر ص١٦٣.

بهم، ومنه ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾[النساء: ١٤٢] أى: يجازيهم علي خديعتهم، ووبال الخديعة راجع عليهم، والعرب تقول: الجزاء بالجزاء، والأول ليس بجزاء وإنما هو مزاوجة الكلام، قال عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فهذا حسن فى البلاغة، ولكن دون بلاغة القرآن، لأنه لا يؤذن بالعدل كما أذنت بلاغة القرآن، وإنما فيه الإيذان يراجع الوبال فقط»[1].

فما أسماه الرمانى بتجانس المزاوجة هو المعروف لدي المتأخرين باسم (المشاكلة)، وهى تسمية الشيء باسم غيره لوقوعه فى صحبته، أو تسمية الجزاء باسم سببه مجازا مرسلًا علاقته السببية، فالرمانى مسبوق فى ذلك بغيره كالفراء، فقد ذكر نفس أمثلته وعلق عليها بنفس ما علق، ولم يزد علي ذلك شيئًا تقريبًا، وعليه فالرمانى متأثر بمن سبقه، وكل ما فعله هو أنه جعلها نوعًا من أنواع الجناس، وحتي هذه هو فيها متأثر بالمبرد الذى تعرض لذلك فى كتابه (ما اتفق لفظه واختلف معناه) علي نحو ما سبق تفصيله.

---

(1) النكت في إعجاز القرآن للرماني ص٩٩،١٠٠.

ولعل إطلاقه عليها اسم (الاستعارة) يكون مجاريا فيه ابن قتيبة الذى أدرجها تحت اسم وباب الاستعارة، وإذا كان الرمانى لم يُرد به معناها الاصطلاحى حيث عقد للاستعارة بابًا مستقلًا مستفيضًا دون أن يذكر فيه هذه الأمثلة التى أوردها للمشاكلة تحت باب المزاوجة، فإن ابن قتيبة هو الآخر لم يُرد بها المعني الاصطلاحى حين جعل المشاكلة واحدة من علاقات الاستعارة، إذًا فلا جديد يذكر عند الرمانى، وكل ما ذكره فى هذا الصدد متأثر فيه بمن سبقه، ولعل كل هذا يؤكد لنا أن بحوث القرن الرابع فى هذا الصدد جاءت متأثرة بمن سبقها مثالًا ومعني ودلالة، وحتي نؤكد ذلك بصورة قاطعة ننتقل إلي لغويٍّ آخر شارك بالحديث عن المشاكلة وإن لم يضف إليها جديدًا.

٣- المشاكلة عند ابن فارس ت ٣٩٥هـ:

عقد ابن فارس بابا باسم (المحاذاة) قال فيه: «ومن هذا الباب الجزاء علي الفعل بمثل لفظه، كقوله تعالي ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾ [الشوري: ٤٠]وقوله ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ ﴾[آل عمران: ٥٤] وقوله: ﴿فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۚ ﴾[البقرة: ١٩٤] وغير ذلك من الآيات التى تدخل فى باب المشاكلة فهو فى هذا كسلفه لم يزد عنهم شيئًا

نحوها، لا معني ولا بيانًا ولا تسمية ولا اصطلاحا[1].

٤- المشاكلة عند أبي هلال العسكري ت ٣٩٥هـ:

وهو علي كثرة ما فرع من ألوان البديع، وعدّ منها سبعة وثلاثين نوعًا تراها مبسوطة فى كتابه (الصناعتين) إلا أنه لم يتناول المشاكلة بينت شفه، وإن كان قد وضع بعض صور (المشاكلة) فى (المقابلة) مما يعنى أنه يعدها منها، وأطلق عليها (المقابلة فى المعني) وهى عنده: «مقابلة الفعل بالفعل»[2].. وهو علي كل حال لم يضف جديدًا.

رابعًا: المشاكلة في القرن الخامس الهجري :

١- المشاكلة عند الباقلاني ت ٤٠٣هـ:

وأبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى فى كتابه (إعجاز القرآن) اختصر ما قاله الرمانى ولم يضف شيئًا لا فى بيان ولا فى مثال، بل أخذ عنه بيانه وأمثلته وتقسيماته، ونري أن الخوض فيما ذكره من قبيل التكرار[3].

---

(١) ينظر: الصاحب لابن فارس ص ٣٨٥وينظر: أهم المصطلحات البلاغية ص١٧٠

(٢) ينظر: الصناعتين ص٣٤٦، وينظر: دراسات في علم البديع ص١٠٤

(٣) ينظر: إعجاز القرآن للباقلاني تحقيق السيد أحمد صقر ص٢٧١

٢- المشاكلة عند الشريف الرضي ت ٤٠٦هـ:

فى قول الله تعالي ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[البقرة: ١٤، ١٥] يقول الرضى: «وهاتان استعارتان، فالأولي منهما: إطلاق صيغة الاستهزاء، والمراد بها أنه تعالي يجازيهم علي استهزائهم بإرصاد العقوبة لهم، فسمى الجزاء علي الاستهزاء باسمه إذ كان واقعا فى مقابلته، والوصف بحقيقة الاستهزاء علي حد قوله غير جائز عليه تعالي لأنه عكس أوصاف الحليم، وضد طريق الحكيم»[١].. فنراه هنا يعرض للمشاكلة - وإن لم يسمها باسمها- تحت باب الاستعارة أو الجزاء لوقوعه فى مقابلة غيره تحقيقًا ».

ويقول أيضًا فى قوله تعالي: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ ﴾[البقرة: ١٣٨] «أى: (دين الله)، وجعله بمنزلة الصبغ لأن أثره ظاهر، ووسمه لائح، وهذا من محض الاستعارة»[٢]، فالرضى يعد المشاكلة التقديرية فى هذه الآية- وهى إطلاق الصبغ علي الدين- من محض الاستعارة، بينما البلغاء يعدونها فى اصطلاحهم مشاكلة تقديرية، لأن لفظ الصبغ لم يتقدم ذكره، ولكن قرينة الحال وهى سبب

---

(١) تلخيص البيان في مجازات القرآن ص١١٣، ص١١٨

(٢) تلخيص البيان في مجازات القرآن ص - ١١٤ ص١١٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

النزول من غمس النصاري أولادهم فى الماء الأصفر دلت علي ذلك.

وهكذا يتضح لنا أن الشريف الرضى قد عرض للمشاكلة بنوعيها، التحقيقية والتقديرية، وإن سماها استعارة، بل إنه جعل بعض صورها من محض الاستعارة وهذا ليس بعجيب علي الرضى الذى تأثر كثيرًا بابن قتيبة، فتوسع فى معني المجاز عما هو عليه عند المتأخرين، حتي شمل عنده دلالات كثيرة من أساليب العربية التى بنيت علي التوسع لنكته بلاغية فيها أو للطيفة بيانية، والمشاكلة بالطبع واحدة من تلك الأساليب، كما أطلق علي المشاكلة أيضًا أنها مقابلة فى اللفظ[1].

٣- المشاكلة عند القاضي عبد الجبار ت ٤١٥هـ، ولدى مدرسة الاعتزال:

والقاضى عبد الجبار أكبر أعلام المعتزلة، وكان صاحب مدرسة تتلمذت عليه وتأثرت به، وقد ترك بصماته فى البلاغة العربية بمعتنقاته العديدة ومن بينها (إعجاز القرآن) الذى يقع فى ٣٤٨ صفحة، وهو جزء من كتابه (المغني فى أبواب التوحيد والعدل) وهو يقع فى عدة أجزاء، كتاب (الإعجاز) واحد منها[2]، ومن أشهر مؤلفاته (تنزيه

---

(1) ينظر: تلخيص البيان ص١٢٣.

(2) ينظر: البلاغة تطور وتاريخ د .شوقي ضيف ص١١٤،١١٥.

القرآن) و(المتشابه) وقد تعرض القاضى عبد الجبار أحيانا كثيرة لآيات المشاكلة. وأفاض فيها وحام حولها، وهو وإن لم يضف إليها جديدًا، إنما اخترناه لنبين أن مدرسة المعتزلة وعلي رأسها القاضى عبد الجبار، لم تختلف عن غيرها فى بحث المشاكلة والتمثيل له، إنما اختلفت عنها فى التأويل الذى اشتهر به المعتزلة، بل والإفراط الشديد فى ذلك، هذه واحدة.

أما الثانية فلبيان أن القاضى عبد الجبار قد أثر تأثيرًا بالغًا فيمن أتي بعده كالشريف الرضى والشريف المرتضي والحاكم الجشمى، والزمخشرى والفخر الرازى، لذا كان الحديث عن بعض هؤلاء يغنى عن البعض الآخر، أما الثالثة فلبيان نزعته الاعتزالية فى تأويل الصفات متأثرا ببعض من قبله ومؤثرا فيمن بعده.

هذا وقد ذكر القاضى عبد الجبار المشاكلة فى عديد من الآيات القرآنية وفصَّل القول فيها، ونتناول هنا جانبًا من حديثه عن المشاكلة ومدلولاتها عنده: يقول القاضى عبد الجبار فى تفسيره لقول الله تعالي ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾[البقرة: ١٥]:

«إن المخالف لا يُجَوِّزُ علي الله الاستهزاء فى الحقيقة لأنه لا يكون إلا قبحًا وذمًا، ولا يصح إلا علي من تضيق به الأفعال، فإذا احتال وفعل الضر بغيره من حيث لا يشعر وعلي وجه مخصوص، وُصِفَ

بذلك، ويستحيل ذلك علي الله عز وجل، وإنما أراد أن يعاقبهم علي ما وقع منهم من الاستهزاء بالرسول صلى الله عليه وسلم، ق ث ت ف ي ال غ ة أن ق ي ج ر ى اس ل ش ي ء ع ى ما هو ج ز اء ه، ك م ي ج ر ى اس م ال ج ز اء ع ى ال ع، ول ك ق ال ال ج ز اء ب ال ج ز اء، ول ك ق ال ع ز و ج ل ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾[الشوري: ٤٠] وإن كان ما يفعله تعالي ليس بسيئة، وهذه الطريقة فى مذهب العرب معروفة فيجب أن يحمل الآية عليها»[1].

ثم يقول فى نفى ما يوهم أنه سبحانه يريد الفساد فى قوله: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾[البقرة: ١٩٤]: «والجواب عن ذلك أن ظاهر هذه الآية يدل علي أنه يأمر بالفساد والاعتداء، أنه أمرنا بالمجازاة علي الاعتداء والانتصاف من المعتدي، وأجري الاسم عليه علي سبيل المجاز»[2].

وقال فى قول الله تعالي: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم ﴾[لتوبة: ٢٧]: «إن ظاهره يقتضي أنه صرف قلوبهم، وليس فيه أنه صرفهم عن إيمان أو غيره من الأفعال فلا ظاهر للقوم يتعلقون به، ومتي ادعوا فى الكلام أمرًا محذوفًا، فقد تعدوا التعلق بالظاهر.. فلا يجوز إلا أن يُحمل

---

(1) المتشابه للقاضي عبد الجبار ص٥٦

(2) المتشابه للقاضي عبد الجبار ص١١٩

علي أن المراد به: فلما انصرفوا عاقبهم الله علي انصرافهم، فسمي العقوبة عليه باسمه، كما قال ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾[الشوري: ٤٠].. وقالت العرب: الجزاء بالجزاء، والأول ليس بجزاء، إلي غير ذلك من الشواهد فى الشعر وغيره»[١].

وفى موضع أخر يقول: «قالوا: ثم ذكر الله تعالي ما يدل علي أنه يفعل المكر فقال: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ﴾ [يونس: ٢١]، والجواب عن ذلك أنه تعالي أضاف إليهم المكر فقال: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ ﴾[يونس: ٢١]، وأراد بذلك أنهم قابلوا نعم الله تعالي بعد مس الضر بهم بالكفر والتكذيب، فقال تعالي عنده ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًا ﴾ وأراد أنه أسرع عقابًا وأن ما يريده من ذلك أسرع نفوذًا فيهم.

وإنما أجري اسم المكر علي العقاب من حيث كان جزاء عليه، ومن حيث يُفعل بهم من حيث لا يشعرون، والسرعة فى المكر مجاز، كما أنه توسع، لأن المكر لا يكون إلا قبيحًا كالسيئة، وإذا أراد الله العقوبة علم أنه مجاز.. ولو كان الله تعالي يمكر فى الحقيقة، ويفعل الظلم والقبيح لم يكن لهذا القول- ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ﴾معني»[٢]..

---

(١) السابق.

(٢) المتشابه للقاضي عبد الجبار، ص٣٥٨..

وسيأتى رد كل هذا والوجه فيه.

وكذا كان تفسيره لآية: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾[السجدة: ١٤] قال: «والنسيان علي الله تعالي لا يجوز، ومثل ذلك قوله تعالي: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[الشوري: ٤٠] فالمراد به الجزاء علي السيئة، وذلك مجاز مشهور فى اللغة، ولذا قال تعالي بعده ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾والمراد بذلك، من عفا عن السيئة ولم يقابل بمثلها ولا كافأ عليها، ولذلك قال بعده: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾[الشوري: ٤١] فبين أنه إذا انتصر وقد ظلم فلا سبيل عليه، ولو كان ما فعله سيئًا لما صح ذلك»[1].

وهكذا نري فى هذه الآيات وفى غيرها أن القاضى عبد الجبار يؤولها بنفس التأويل الذى قال به المتأخرون، خاصة ممن تتلمذوا علي يديه من بعده ونهلوا من معينه، كما نري أنه أدخل هذا النوع من الأساليب، وهو أسلوب المشاكلة فى المجاز، وجعله من التوسع فى اللغة والمجاز المشهور عند العرب، كما أطلق عليه الجزاء أو المجازاة، وسنري- تأثر المرتضي به كما رأينا تأثر الرضى من قبل به.

---

(1) التنزيه للقاضي عبد الجبار ص٣٧٥

٤- المشاكلة عند أبي على الفارسي ت ٤٦١هـ:

ويبدو أن أول من استعمل هذا المصطلح البلاغى وإن لم يضع له حدًا، هو أبو علي الفارسى، وهو محمد أبو الحسين الفارسى، أستاذ عبد القاهر الجرجانى، إذ إنه يطلق علي هذا اللون البديعى، وذلك النوع من فنون التعبير- وهو استعمال اللفظ بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته- (مشاكلة)، وإن لم يضع هو تعريفه الخاص به ومعروف أن هذا هو المصطلح الذى بقى له حتي الآن[1].

٥- المشاكلة عند الشريف المرتضى ت ٤٣٦هـ:

هذا، وقد ذكر المرتضي من وجوه تأويل قول الله تعالي: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾[البقرة: ١٥] «أن يكون المعني أنه يجازيهم علي استهزائهم، فسمي الجزاء علي الذنب باسم الذنب، والعرب تسمي الجزاء علي الفعل باسمه، قال الله تعالي: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾[الشوري: ٤٠]، وقال تعالي ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾[البقرة: ١١٤]، وقال ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ﴾[النحل: ١٢٦] والمبتدأ ليس بعقوبة، وقال الشاعر:

---

(١) ينظر: أثر النحاة في البحث البلاغي د .عبد القادر حسين ص ١٥٦ط نهضة مصر.

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا

فتجهل فوق جهل الجاهلينا

ومن شأن العرب أن تسمي الشيء باسم ما يقاربه ويصاحبه، ويشتد اختصاصه وتعلقه به إذا انكشف المعني وأمن الإبهام»[1].. كما ذكر من وجوه النفس فى قول الله تعالي: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]: العقوبة، من قولهم: (أحذرك نفسى)، أى: عقوبتى، وبعض المفسرين حمل قوله تعالي: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾[آل عمران: ٢٨] علي هذا المعني».

ثم يقول: وإنما حسن أن يقول الله تعالي مخبرًا عن نبيه: ﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[المائدة: ١١٦] من حيث تقدم قوله: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ ليزدوج الكلام، ولهذا لا يحس ابتداء أن يقال: أن لا أعلم ما فى نفس الله تعالي.. ولهذا نظائره فى الاستعمال مشهورة مذكورة».

ثم يقول فى تأويله حديث النبى صلى الله عليه وسلم (إن ذكرني في نفس ذكرته في نفسي)[2] أن معناه: »إن من ذكرني في نفسه،

---

(1) الأمالي للمرتضى ص١٤٧/٢

(2) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب ١٥/٣٥ ومسلم في كتاب التوبة ١ وكتاب الذكر والدعاء٣ ، ١٩ والترمذي كتاب الزهد باب٥١ ، وكتاب الدعوات باب١٣١ ، وابن ماجة في كتاب الأدب باب ٥٨ والمسند٢٥١ ،٣١٥/٢

جازيته علي ذكره لي، وإنك قرب إلي شبرا جازيته علي تقربه إليَّ، وكذلك الخبر إلي آخره. فسمي المجازاة علي الشيء باسمه اتساعا»[1].. وفى تعليقه علي قوله صلى الله عليه وسلم فإن حيل بينهم وبينه[2] قال: «وسمي فعل الله عز وجل على الحقيقة باسم فعل العبد لما كان واجبا من المشاكلة للفظي في الصورة وإن اختلفا فى المعني»[3].

ولعله وضح أمامنا الآن مدي تأثر الشريف المرتضي بالقاضى عبد الجبار حتي فى تسميته لهذا اللون من الكلام بالجزاء أو المجازاة والازدواج ومشاكلة اللفظين فى الصورة، وفى عَدِّه ذلك من المجاز لا الحقيقة، وبالتالى اللجوء فيه إلي التأويل.

٦- المشاكلة عند ابن رشيق القيرواني ت ٤٦٠هـ:

احتوي كتابه (العمدة) علي ستة ومائة بابًا تناولت محاسن الشعر، وقد ذكر ضمن أنواع البديع: (المجاز)، الذى ساق له أنواعا تشمل المجاز المرسل والعقلى، والمجاز بالحذف والاستعارة، كما ذكر ضمن

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الإيمان باب ٣٢ وكتاب التهجد باب ١٨، الصوم باب ٥٢ وكتاب اللباس باب ٤٣ ومسلم كتاب صلاة المسافرين ٢١٥، ٢٢١ وكتاب الصلاة ١٧٧، وأبو داود كتاب التطوع باب ٢٧ والنسائي كتاب القبلة باب ١٣ وأحمد في المسند ٤٠، ٥١، ٦١، ٨٤، ٦/١٢٢ ومواضع أخرى.

(٢) الأمالي للمرتضى ص١/٣٢٦ وما بعدها.

(٣) الأمالي للمرتضى ص٥٦، ١/٥٧

أنواع البديع التجنيس، وبيّن أن له ضروبا كثيرة منها المماثلة والمضارعة التى يدخل ضمن أنواعها: أن تتقدم الحروف وتتأخر، وفيها يقول: «وهذا النوع يسميه الرمانى المشاكلة، وهى عنده ضروب هذا أحدها، وهى المشاكلة فى اللفظ خاصة»[1].

ولكن لم نستطع أن نتبين لا عند ابن رشيق ولا عند غيره ضروب المشاكلة عند الرمانى، كما أننا لا نعرف المصدر الذى اعتمد عليه ابن رشيق فيما نقله عنه، فليس هو (النكت) بالتأكيد، لأن ما ذهب إليه الرمانى فى (النكت فى إعجاز القرآن) هو أن الجناس إذا وقع فى الجزاء كان جناس مزاوجة، ومثّل له بقوله الله تعالي: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾[البقرة: ١٩٤] أى: جازوه بما يستحق طريق العدل، إلا أنه استعير للثانى لفظ الاعتداء لتأكيد الدلالة علي المساواة فى المقدار، فجاء علي مزاوجة الكلام لحسن البيان»[2]، وهذا النوع هو بعينه المشاكلة ولا شىء غيرها، أما ما ذكره ابن رشيق فإنه يتعلق بنوع آخر مختلف، وهو ضرب من الجناس اسمه (المضارعة) أو (الجناس المضارع).

فهل أطلق الرمانى علي المشاكلة كما هى فى عرف العلماء:

---

(١) العمدة ١/٣٦١

(٢) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص٩٩

(تجانس المزاوجة) وأطلق علي بعض أنواع الجناس (المشاكلة فى اللفظ)؟ هذا ما يبدو، فإنه بالتأكيد لم يقصد به ما تعارف عليه البلاغيون بأنه: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته، وإنما قصد بها المشاكلة بمعناها اللغوى وإلا لما وجدناه فيما سبق يُدخل أمثلة المشاكلة تحت مسمي (جناس المزاوجة) علي نحو ما سبق تفصيل القول فيه، ولكن ما المشاكلة فى المعني عند الرمانى وهي التى أشار إليها ابن رشيق؟ لا ندرى، وما ضروب المشاكلة الباقية؟ لا ندرى أيضًا [1].. إذًا فالأمر عند الرمانى غامض وزاده ابن رشيق غموضًا.

٢- المشاكلة عند ابن سنان الخفاجي ت ٤٦٦هـ:

وابن سنان هو الآخر، كان واحدًا ممن تناولوا موضوع المشاكلة تناولا هامشيًا تحت مسمي الازدواج، فقد تكلم علي ما يختص بالتأليف من الأصول، وأدخل فى الأصل الثانى- وهو المناسبة بين الألفاظ- (الازدواج)، ذلك أن ابن سنان وبعد حديثه عن وجوه الإعجاز فى القرآن، نراه يعرض أولًا لشروط فصاحة المفرد، ثم يثنى بتفصيل الحديث عن فصاحة الكلام، وينتقل إلي ما يختص بالتأليف من الأصول والمقومات، ويذكر أول أصل لذلك: وضع الألفاظ

(١) ينظر: دراسات في علم البديع .د .أحمد محمد على ص١٠٣ ،١٠٤.

موضعها حقيقة أو مجازا، ثم يمضي إلي الأصل الثانى من أصول التأليف عند، ويُبين أن المناسبة بين الألفاظ تأتى إما من طريق الصيغة وإما من طريق المعني، وأدخل فى الطريق الأول ما سماه المتأخرون بمراعاة النظير، وقال: «إن منها السجع، والازدواج».. فواضح أن الكتاب عالج فنون البلاغة والبديع فى ثنايا حديثه عن سر الفصاحة دون تعيق أو دخول فى تفاصيل ذلك.

٣- المشاكلة عند الإمام عبد القاهر ت ٤٧١هـ:

فإذا ما درجنا الخطأ نحو شيخ البلاغيين وإمام اللغويين عبد القاهر لوجدناه يتعرض فى (أسرار البلاغة) لأنواع عدة من البديع، يطبع كل لون منها بطابع الأصالة والتدقيق ويبدو أنه لم يفرق بين الجناس وبين الازدواج، فهذا لا يهمه، إنما يهمه مواقع الكلام.

ولكن نقف علي مبلغ الدقة التى عالج بها عبد القاهر مسائل البديع، ونخص منها جانب التجنيس وهو ما يهم بحثنا، لابد أن نسوق كلامه فى هذا الباب لنري كيف ولج فيه، وكيف أبدع.. يقول عبد القاهر: «أما التجنيس فإنک لا تستحسن تجانس اللفظين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعًا حميدًا، ولم يكن مرمي الجامع بينهما مرمي بعيدًا »[1].

(١) أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني.١/١٠٠

وأردف ذلك بأمثلة، تكشف عن جهات الحسن والقبح مبينًا أن الذى يأتى بالتجنيس من غير أن يستدعيه المعني لم يزد علي أن أسمعك حروفًا مكررة تروم لها فائدة فلا تجدها إلا مجهولة منكرة، وأن الذى يأتى حسبما يطلب المعني كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أُعطاها، ويوهمك كأنه لم يزدك، وقد أحسن الزيادة ووفاها.. ثم مضي يُبيَن أن ما يعطيه التجنيس من الفضيلة أمر لا يتم إلا بنُصرة المعني، ودلل علي ذلك بأن لو كان باللفظ وحده لما كان فيه إلا مستحسن، ولما وُجد فيه معيب مستهجن، ولذلك ذُم الاستكثار منه والولوع به.

فعبد القاهر لا يستحسن الجناس أو غيره من ألوان البديع الأخري إلا إذا كانت واقعة موقعها من الكلام وحُسْن الترتيب والتآليف، وإلا حيث تكون منزلتها من النظم حيث يُضفي عليه ضياء وبهاء وروعة، وذلك ما عهدناه منه فى موقفه إزاء مسائل البيان والمعانى، ويلخص عبد القاهر نظرته فى الجناس فيقول:

«وعلي الجملة فإنك لا تجد تجنيسا مقبولًا ولا سجعًا حسنًا حتي يكون المعني هو الذى طلبه واستدعاءه، وساق -المتكلم ـــ نحوه، وحتي تجده لا تبتغى به بدلًا، ولا تجد عنه حولًا، ومن هنا كان أحلي تجنيس تسمعه وأعلاه وأحقه بالحسن وأولاه: ما وقع من غير قصد من المتكلم إلي

اجتلابه»[1].

وهكذا نجد أن الإمام عبد القاهر ينظر إلي ألوان البديع عامة والجناس بصفة خاصة نظرة كلية، ولا يُعنى بتقسيم أو تفريع، ولعل هذا ما جعله يُعرض عن الحديث عن المشاكلة باعتباره بابًا من أبواب الجناس عند من سبقه، حتي ولو تحت أى مسمي من المسميات.. وإنما دعانا إلي ذكره هنا طريقة عرضه، وبيان مدي تدقيقه واعتنائه بمواقع الكلام ونظمه.

خامسًا: المشاكلة في القرن السادس الهجري :

– المشاكلة عند الزمخشري ت ٥٣٨هـ:

وإذا ما تطرقنا فى الحديث عن المشاكلة لدي الزمخشرى، لوجدناه يسمي أسلوب المشاكلة باسم (الاستعارة) تارة، و(المزاوجة) تارة أخري، و(العقوبة والمجازاة) تارة ثالثة و(المجاز عن السببية) رابعة، و(المقابلة: وإطباق الجواب علي السؤال)[2] خامسة، ولعله فى كل هذا متأثر بكل من سبقوه، ففى قول الله تعالي ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٩٩]، يقول:

---

(١) أسرار البلاغة ص١٠٣/١

(٢) الكشاف ص٢٦٣/١

«ومكر الله استعارة لأخذه العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه، فعلي العاقل أن يكون فى خوفه من مكر الله كالمحارب الذى يخاف من عدوه الكمين والبيات والغيلة»[1] وعن قوله تعالي: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ﴾[النحل: ١٢٦]. يعلق بقوله «سمي الفعل الأول باسم الثانى للمزاوجة، والمعني: من صنع بكم صنيع سوء من قتل ونحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه»[2]، كما يعلق علي قول الله تعالي: ﴿وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٣ وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا﴾[الجاثية: ٣٣، ٣٤]، فيقول: ﴿سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ﴾أى: قبائح أعمالهم أو عقوبات أعمالهم السيئات، كقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشوري: ٤٠]، ننساكم: أى نترككم فى العذاب كما تركتم عدة لقاء يومكم هذا، وهى الطاعة»[3].

وهكذا تظهر سمة التأويل واضحة فى تفسيره لآيات الصفات كما تظهر فيه أيضًا نزعة الاعتزال بجملة صفات المجازاة كالمكر ونحوه علي الاستعارة والمجاز.

---

(١) الكشاف ص٢/٩٨

(٢) الكشاف ص١/٤٣٥

(٣) الكشاف ص٣/٥٣٢

سادسًا: المشاكلة في القرن السابع الهجري :

١- المشاكلة عند فخر الدين الرازي ت ٦٠٦هـ:

والفخر الرازى- محمد بن عمر- له فى مبحث (المشاكلة) جهد عظيم، فلقد حشد فى تفسير أى المشاكلة- كعادته- جهود البلاغين والمفسرين من قبله مجلِّيًا القول فيها ومفصلًا الحديث عنها، وهو علي الرغم من كونه واحدًا من كبار المفسرين لكتاب الله عز وجل إلا أنه فى هذا المجال فاق فى جهوده، جهود المتخصصين فى البلاغة والمتكلمين عن المشاكلة، ولقد تعرض الفخر الرازى لنوعى المشاكلة التحقيقية والتقديرية علي حد سواء، وأماط اللثام عن أسرارها، كما كشف عن مكامن بلاغتها، وبواطن سرها وبواعث سردها، ويمتاز الفخر الرازى فى تفسيره لمواضع المشاكلة أنه يذكر كل الأوجه، التى تحتملها الآية، والتى سُبق إليها متحريا الدقة ومفصلا القول فيها.

فمثلًا فى قول الله تعالي ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥]، يطرح عدة أمثلة، منها وهو ما يهمنا: كيف يجوز وصف الله تعالي بأنه يستهزئ وقد ثبت أن الاستهزاء لا ينفك عن التلبيس، وهو على الله محال، ولأنه لا ينفك عن الجهل لقوله تعالي: ﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾[البقرة: ٦٧]، والجهل علي الله محال؟ ويجيب عن ذلك ساردًا أقوال المفسرين والبلاغيين

قبله قائلًا: وذكروا فى التأويل خمسة أوجه:

أحدها، أن ما يفعله الله بهم جزاء علي استهزائهم، سماه بالاستهزاء لأن جزاء الشيء يسمي باسم ذلك الشيء، قال تعالي ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾[الشوري: ٤٠]، ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾[البقرة: ١٩٤]، ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾[النساء: ١٤٢]، ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾[آل عمران: ٥٤].

وثانيها: أن ضرر استهزائهم بالمؤمنين راجع عليهم وغير ضار بالمؤمنين، فيصير كأن الله استهزأ بهم.

وثالثها: أن من آثار الاستهزاء حصول الهوان والحقارة، فذكر الاستهزاء والمراد: حصول الهوان لهم تعبيرًا بالسبب عن المسبب.

ورابعها: أن استهزاء الله بهم: أن يظهر لهم من أحكامه فى الدنيا مالهم عند الله خِلافها فى الآخرة، كما أنهم أظهروا للنبى صلى الله عليه وسلم- لولىمؤمنين أمرًا، مع أن الحاصل منهم فى السر خلافه- وبيّن ضعف هذا الرأى ووجه الضعف فيه.

وخامسها: أن الله تعالي يعاملهم معاملة المستهزِئ فى الدنيا وفى الآخرة، أما فى الدنيا فلأنه تعالي أطلع الرسول صلى الله عليه وسلم- عىأسرر ارهم مع أن مم لكلن وليالغ ورفي خفاىئاعن ه، وأطي ا رة فقال ابن عباس: إذا دخل المؤمنون الجنة والكافرون النار، فتح الله من

الجنة بابًا علي الجحيم فى الموضع الذى هو مسكن المنافقين، فإذا رأي المنافقون الباب مفتوحًا أخذوا يخرجون من الجحيم ويتوجهون إلي الجنة، وأهل الجنة ينظرون إليهم فإذا وصلوا إلي باب الجنة، فهناك يغلق دونهم الباب، فذلك قوله تعالي ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ﴾ إلي قوله: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ﴾ [المطففين: ٢٩ - ٣٤]. فهذا هو الاستهزاء بهم»[1].

فنلمح هنا كيف عدد القول فى ذكر هذه المسألة وسرد فيها أقوال من قبله من العلماء والمفسرين، كما نلمح كيف سمي المشاكلة (جزاء) علي عادة المتقدمين، وإن كان يصرح أحيانًا بذكر هذا المصطلح البلاغى، كما نري فى كلامه عن المشاكلة التقديرية وفى تفسيره لقول الله تعالي ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ﴾[البقرة: ١٣٨] تلخيص وسرد لكل ما ذكره سابقوه فيقول: «ثم اختلفوا فى المراد بصبغة الله علي أقوال: الأول: أنه دين الله وذكروا فى أنه لم سمي دين الله بصبغة؟ وجوهًا:

أحدها: أن بعض النصاري كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم، وإذا فعل الواحد بولده ذلك قال: الآن صار نصرانيا، فقال الله تعالي (اطلبوا صبغة الله وهو

---

(1) تفسير الرازي ص٢/٧٧

الدين والإسلام لا صبغتهم، والسبب فى إطلاق لفظ الصبغة علي الدين طريقة المشاكلة، كما نقول لمن يغرس الأشجار وأنت تريد أن تأمره بالكرم (أغرس كما يغرس فلان)، تريد رجلًا مواظبًا علي الكرم، ونظيره قوله تعالي ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[البقرة: ١٤، ١٥]، ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾[النساء: ١٤٢] ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾[آل عمران: ٥٤] ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[الشوري: ٤٠] ﴿إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ﴾[هود: ٣٨].

وثانيها: اليهود تصبغ أولادها يهودًا، والنصاري تصبغ أولادها نصاري، بمعني: يلقونهم فيصبغونهم بذلك لما يشربون فى قلوبهم، قال ابن الأنبارى: يقال فلان يصبغ فلانا فى الشيء، أى: يُدخله فيه ويُلزمه إياه، كما يجعل الصبغ لازمًا للثواب وأنشد ثعلب:

دع الشر وانزل بالنجاة تحرزًا

إذا أنت لم يصبغك فى الشر صابغ

وثالثها: سُمِّي الدين صبغة، لأن هيئته تَظْهر بالمشاهدة من أثر الطهارة والصلاة، قال الله تعالي ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩].

ورابعها: قال القاضى: قوله ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾متعلق بقوله: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾إلي قوله ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة: ١٣٦].. فوصف هذا الإيمان

منهم بأنه صبغة الله تعالي ليبين أن المباينة بين هذا الدين الذى اختاره الله وبين الدين الذى اختاره المُبطل ظاهرة جلية، كما تظهر المباينة بين الألوان والأصباغ لذى الحس السليم» [1].

كل هذا يذكره الرازى فى أحد الأقوال التى فسر بها قول الله تعالي ﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِ ﴾ وبمثل هذا يفعل فى سائر الأقوال الأخري التى فسرت بها هذه الكلمة، والتى ذكر فى معناها أنها الفطرة، أو الختان، أو الحُجّة، وهكذا نري أن الرازى قد تعرض تفسيريًا لمعني المشاكلة التى هى: (ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته) وإن لم يصرح بهذا التعريف، وأسماها باسمها ومثل لها وأفاض القول فيها، دون دخول فى فلسفة المصطلحات وكثرة التقسيمات علي نحو ما فعل المتأخرون، بل علي نحو ما فعل هو فى كتابه (نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز)، فقد مهد بهذا الكتاب لمدرسة القواعد والتعريفات والتقسيمات حيث أصبح النص فى ظل منهجه هذا، مجرد شاهد علي القاعدة وتقهقر النص الأدبى.. علي الرغم من أن الكتاب قد لخص فيه كتابى عبد القاهر (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) وقد كان من المتوقع أن يتأثر بأسلوبه الفنى الرائع.

---

(1) تفسير الرازي ٢/٩٥

٢- المشاكلة عند أبي يعقوب السكاكي ت ٦٢٦هـ:

وما نلبث أن نتجاوز الفخر الرازى حتي نلمح للسكاكى ميله إلي التحديد، وبُعدَه عن التحليل الأدبى، وما يهمنا هو الحديث عن موقفه من البديع بصفة عامة، ومن المشاكلة بصفة خاصة، فقد ساق السكاكى من أنواع البديع خمسة وعشرين نوعًا، منها عشرون من المعنوى وخمسة من اللفظى، وقد أدخل المشاكلة فى الأول منهما، وإن كان لم يستقص هذه المحسنات علي نحو ما استقصي فنون علمى (المعانى) و(البيان)، ومن ثَمَّ فقد أضاف اللاحقون إلي مباحثه فى البديع، وإن كانوا قد التزموا بمنهجه فى دراسته وتقسيمه علي حين لم يضيفوا شيئًا ذا بال إلي ما قاله فى علمى (المعانى) و(البيان).

ونستخلص من صنيعه أنه لم يجعل البديع علمًا مستقلًا بل جعله مساوقًا لمسائل العِلْمَين، وملحقًا بهما وتابعًا لهما، لذلك لا نكون مُبعدين حينما نقرر أنه فى ذلك أقر لصنيع عبد القاهر مع الأخذ فى الاعتبار التفاوت الملحوظ بين ما نجده عند السكاكى وما نجد ضده عند عبد القاهر من اختلاف فى الأسلوب.

وعلي الرغم من ذلك فإن صنيعه هذا هو الذى جرا المتأخرين من بعده ولاسيما الخطيب القزوينى علي جعل البديع علمًا مستقلًا، وذلك من جراء صنيع السكاكى أيضًا فى تناول لألوان (البديع) بعيدًا عن

مسائل علمى البلاغة، ذلک أن السكاكى وإن لم يجعل (البديع) علمًا مستقلًا، فإنه لم يدخل المحسنات فى البلاغة علي نحو ما صنع عبد القاهر والفخر الرازى، بل فصلها فصلًا، ولكى يؤكد هذا الفصل جعلها من باب الفصاحة وقسمها قسمين: قسمًا يعو د إلي المعني، وقسمًا يعود إلي اللفظ، واكتفي بعرض الأهم والأعرف منهما، ونقف مع السكاكى وقفه فى حديثه عن المشاكلة لنري كيف عالج هذا الموضوع، مراعيًا فى ذلک القواعد ووضع التعريفات والحدود وتقسيم الأقسام وتغليب الأسلوب المنطقى علي الأسلوب الأدبى، فمن المحسنات المعنوية عنده المشاكلة وفيها يقول: «هى أن تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته»[1].

وهكذا يكون السكاكى بتعريفه للمشاكلة علي هذا النحو أول من وضع يده وأيدينا بكل دقة علي المعني الصحيح لفن المشاكلة، بعد أن عجز من قبله عن التوصل إليه رغم وجود الفكرة وتضافر الأمثلة والنماذج التى تدور حولها، وكأن السكاكى بصياغته لمدلول ومفهوم المشاكلة هكذا حل لغزاً حيّر سابقيه، وإذا كان يحمد للسكاكى تعريفه هذا المحدد والدقيق للمشاكلة، ووقوفه عند هذا اللون باعتباره واحدًا من المحسنات البديعية التى تضيف للأساليب العربية رونقا وجمالًا،

(1) مفتاح العلوم لأبي يعقوب السكاكي ص٢٠٠

فإنه أيضًا ساق من الأمثلة والشواهد لنوعى المشاكلة التحقيقى والتقديرى علي حد سواء، الكثير.. فهو بعد أن يذكر تعريف المشاكلة يُمثِّل له بقول ابن الرقعمق:

(قالوا اقترح شيئًا نُجِدْ لك طبخَه

قلت اطبخوا لى جُبّةً وقميصا [1])

وقوله تعالي ﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِ ﴾[البقرة: ١٣٨]. وقوله ﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾[البقرة: ١٩٤]، وقوله ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾[آل عمران: ٥٤]، وقوله ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ ﴾[المائدة: ١١٦]، وقوله علي لسان يهود: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ ﴾﴿٥٨﴾ ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾[المائدة: ٦٤]، وقوله: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾ [الشوري: ٤٠][2].

وهكذا فقد كان للسكاكى فضل التوصل إلي معرفة هذا المحسن البديعى وتعريفه له تعريفًا محددًا ودقيقًا، ثم ذَكَر من الشواهد ما يُجلِّي هذا التعريف ويوضحه ويبين معالمه وصوره وأنواعه.

---

(1) البيت لابن الرقعمق وقد سبق التعريف به.

(2) مفتاح العلوم لأبي يعقوب السكاكي ص٢٠٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٣- المشاكلة عند ابن الأثير ت ٦٣٧هـ:

وابن الأثير علي الرغم من أنه مسبوق بغيره فى الحديث عن (المشاكلة)، إلا أنه يخلط بين المصطلحات فَيُدخل المقابلة والمطابقة والتناسب بين المعانى، ويخلط كل هذا بالمشاكلة وذلك بدلا من أن يفرد المشاكلة بالبحث أو يبنى علي ما سُبِق إليه، فهو يذكر فى المثل السائر وفى الصياغة المعنوية تحت النوع الرابع والعشرين:

التناسب بين المعانى ويقسمه أقسامًا، وضمن هذه الأقسام يتعرض للمطابقة أو المقابلة فيقسمها بالتالى ثلاثة أنواع: الأول: المقابلة فى اللفظ والمعني، الثانى: المقابلة فى المعني دون اللفظ، الثالث: مقابلة الشيء بما ليس بضده، ويُدخل فيه المؤاخاة بين المعانى والمؤاخاة بين المبانى، أما الثانى من أنواع المقابلة وهو ما يهمنا فهو مقابلة الشيء بمثله، وفيه يقول ابن الأثير:

«الضرب الثانى فى مقابلة الشيء مثله وهو يتفرع إلي فرعين: أحدهما- مقابلة المفرد بالمفرد، والآخر مقابلة الجملة بالجملة، النوع الأول كقوله تعالي ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ﴾[التوبة: ٦٧]، وكقوله تعالي ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا﴾ [النمل: ٥٠]، وقد روعى هذا الموضوع فى القرآن الكريم كثيرًا فإذا ورد فى صدر آية من الآيات ما

يحتاج إلي جوابه، كان جوابه مماثلًا كقوله تعالي ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥ﴾[الروم: ٤٤]، وكقوله تعالي ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾[الشوري: ٤٠] وهذا هو الأحسن، وإلا فلو قيل (من كفر فعليه ذنبه) كان ذلك جائزاً، ولكن الأحسن هو ما ورد فى كتاب الله تعالي وعليه مدار الاستعمال، وهذا الحكم يجري فى النظم والنثر من الأسجاع والآيات»[1].

فابن الأثير يجعل المشاكلة أحد ضربى مقابلة الشيء بمثله ويسميها مقابلة المفرد بالمفرد، وهى عنده: تقابل فى اللفظ والمعني، وهكذا يدخلنا ابن الأثير فى متاهات الاصطلاحات والتقسيمات والتفريعات دون ما دقة فى الأداء، ولا ضبط فى تعريف هذه المصطلحات رغم أنه سبق بأمثال السكاكى وغيره ممن وضعوا أيدينا علي ملامح هذا اللون وصوره وتقسيماته، ولعل فى هذا رد علي من زعم أنه «كان يتشح بأظهر صفات ذلك العصر من النزوع إلي الضبط وإلجائه إلي الحصر»[2].

(١) المثل السائر لابن الأثير.١٥٨/١

(٢) الصبغ البديعي د .أحمد موسى ص.٢٥٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٤- المشاكلة عند ابن أبي الأصبع ت ٦٥٤هـ:

بدأ هذا اللون البديعى يخطو خطوات واسعة، ويطفر طفرة بعيدة المدي علي يد الإمام الأديب: أبى محمد عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر المعروف بابن أبى الأصبع الشاعر المصرى المشهور، فقد ألف كتابًا فى البديع أسماه (البديع فى صناعة الشعر)، وقد عُرف هذا الكتاب باسم (تحرير التحبير) أوصل فيه البديع إلي تسعين نوعًا، وأضاف إليها ثلاثين نوعًا سَلِمَ له فيها عشرون وباقيها مسبوق إليه أو متداخل عليه، وهو أصح كتاب صنف فيه لأنه لم يتكل علي النقل دون النقد، كما أنه جاء خلاصة لكل ما كتب من قبل، يقول ابن أبى الأصبع: «ولقد وقفت من هذا العلم علي أربعة وثلاثين كتابًا منها ما هو منفرد به، وما هذا العلم أو بعضه داخل فى ضمنه»[١]

وكان من الممكن أن يعد ابن أبى الأصبع همزة الوصل بين السكاكى والخطيب القزوينى فى تحديد ما استقر عليه تعريف (المشاكلة)، خاصة من ناحية التطبيق التى يخالف فيها ما ذهب إليه السكاكى وتبعه فيها الخطيب، فابن أبى الأصبع ينقل تعريف العلماء لها- وإن كنت لم أقف علي شيء من ذلك- فيذكر أن «المشاكلة هى:

---

(١) تحرير التحبير لابن أبي الأصبع -المقدمة ص.٤

(أن يأتى المتكلم فى كلامه أو الشاعر فى شعره باسم من الأسماء المشتركة فى موضعين فصاعدًا من البيت الواحد، وكذلك الاسم فى كل موضع من الموضعين مسمَّي غير الأول، تدل صيغته عليه بتشاكل إحدي اللفظتين الأخري فى الخط واللفظ، ومفهومهما مختلف»، أى أنه باختصار: (الإتيان باسم من الأسماء المشتركة فى موضوعين ومفهومهما مختلف) ثم اختار أن تفسر بأن يأتى الشاعر بمعني مشاكلٍ لمعني له فى شعر غير ذلك الشعر أو فى شعر غيره بحيث يكون كل واحد منهما وصفًا أو نسيبًا أو غير ذلك، غير أن كل صورة أبرز المعني فيها غير الصورة الأخري فالمشاكلة بينهما من جهة الغرض الجامع لهما، والتفرقة بينهما من جهة صورتهما اللفظية..

ثم مضي يسوق أمثلة لما شاكل فيه الشاعر نفسه وما شاكل فيه غيره- فمن الأول قول امرئ القيس فى صفة الفرس:

وقد اغتدي والطيرُ فى وُكُناتها

بمنجرد قيد الأوابد هيكل [1].

وقوله فى صفة الفرس أيضًا:

إذا ما جري شوطيه وابتل عطفه

تقول هزيز الريح مرت بأثأب [1].

---

(1) الوكنات :المواضع التي تأوي إليها الطير في رءوس الجبال وغيرها، المنجرد :الفرس القصير الشعر، الآوابد :الوحوش.

فامرؤ القيس فى هذين البيتين قاصد وصف الفرس بشدة العدو، غير أنه أبرز المعني الأول فى صورة الآرداف حيث قال: (قيد الأوابد)، فجعله يدرك الوحش إدراك المطلق للمقيد، وأبرز الثانى فى صورتى وصف وتشبيه، إذ شبه عدوه بعد جريه شوطيه وعرقه بهزيز الريح، تمر بهذا الشجر الذى يسمع للريح فيه هزيز كخفيف الفرس الحاد إذا خرق الريح بشدة عدوه، فكل معني من هذين المعنيين مشاكل لصاحبه، إذ الجامع بينهما وصف الفرس بشدة العدو، وأما ما شاكل فيه الشاعر غيره فقول جرير:

إن العيون التى فى طرفها مرض

قتلننا ثم لم يُحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتي لا حراك به

وهن أضعف خلق الله إنسانا

فإن مشاكله قول عدي بن الرقاع العاملى:

وكأنها بين النساء أعارها

عينيه أحور من جآذر جاسم

وسنان أقصده النعاس فرنقت

فى عينه سنة وليس بنائم [٢]

فالمشاكلة بينهما من جهة كلاميهما، فكل واحد منهما وصف

---

(١) عطفه :ناحية، الأثأب :نوع من الشجر.

(٢) جآذر جمع جؤذر :ولد البقرة الوحشية، جاسم :قرية بالشام، أقصده :أصابه.

العيون بالمرض والفتور، فأبرز معناه فى صورة غير الصورة الأخري بحسب قدرته علي السبك»[1].

فشتان بين صنيع ابن أبى الأصبع هذا فى المشاكلة والتى وازن فيها بين بعض الأبيات المتماثلة فى أغراضها ومعانيها، وبين ما استقر عليه الرأى عند المتأخرين من علماء البلاغة لقد جنح ابن أبى الأصبع بالمشاكلة بعيدًا، وقد كان من المنتظر بعد الجهد العظيم لمن سبقوه أن تنضبط تعريفاته وتطبيقاته، وأن تتقارب إلي حد ما، مع ما جاء بعده خاصة وأن بعض من سبقوه كالسكاكى وغيره قد مهد لهذا الشأن.

والغريب فى الأمر أن يذكر ابن أبى الأصبع هذا كله تحت باب المشاكلة فى الوقت الذى يأتى فيه بأمثلة المشاكلة ليضعها تحت باب الجناس متأثرًا فى ذلك بالرمانى، ذاكرًا كلامه ساردا تعريفه، وأمثلته وتقسيماته، قائلًا بأن «التجنيس هو: بيان المعانى بأنواع من الكلام يجمعها أصل واحد فى اللغة، ثم قسمه إلي جناس مزاوجة وجناس مناسبة، فالمزاوجة: كقوله تعالي ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾[البقرة: ١٩٤]..

(1) ينظر: تحرير التحبير لابن أبي الأصبغ، تحليل د .حفني محمد شرف ص.٣٩٣

وكقول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا» [1].

فابن أبى الأصبع هنا لم يضف جديدًا بل إنه أشكل أمر (المشاكلة) حين استشهد لها بما استشهد من موازنات.

وإذا ما انتقلنا إلي كتابه (بديع القرآن) لما وجدنا كبير فرق عما ذكره فى (تحرير التحبير) فهو أيضًا يذكر أمثلة المشاكلة تحت باب التجنيس مقسمًا إياه قسمين، هما: جناس المزاوجة وجناس المناسبة، تمامًا كمل فعل فى تحرير التحبير ثم يفرعهما لعشرة فروع منها اللفظى ومنها المعنوى، ومن اللفظى «جناس المزاوجة كقوله تعالي: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾[الشوري: ٤٠]، لأن السيئة الثانية ليست بسيئة، وإنما هى مجازاة عن سيئة سُمّيت باسمها لقصد المزاوجة، ومثله قوله تعالي: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٩٤] سمَّي سبحانه جزاء الاعتداء اعتداء ليكون فى نظم الكلام مزاوجة، واشترط المثلية فى الاعتداء جريًا علي قانون العدل وأمرًا بالإنصاف»[2].

---

(1) ينظر: تحرير التحبير لابن أبي الأصبغ، تحليل د .حفني محمد شرف ص١٠٢.

(2) بديع القرآن لابن أبي الأصبع ص٢٨٠

وتحت عنوان المساواة يستشهد ابن أبى الأصبع بقول الله تعالي: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾[الشوري: ٤٠] وبقوله: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا ﴾[الأنعام: ١٦٠]، قائلًا «إن الأول إيجاز والثانى إطناب»[١] واصفًا كلاهما بالمساواة.. كذلك يسرد بعض أمثلة المشاكلة تحت اسم (المناقضة) ويعرفها بقوله: إنها «تعليق الشرط علي نقيضين ممكن ومستحيل، ومراد المتكلم المستحيل دون الممكن ليؤثر التعليق علي عدم وقوع المشروط، فكأن المتكلم ناقض نفسه فى الظاهر إذ شرط وقوع أمر بوقوع نقيضين.. ومن هذا النوع قوله تعالي: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾[البقرة: ١٩٤].. فشرط سبحانه المثلية فى المجازاة آمرًا بالعدل، فناقض فى ذلك الجاهلية فيما كانوا عليه من مدح الظلم كقول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا» [٢]

وإن كان هذا كله ليس له كبير علاقة بموضوع بحثنا، فقد أردنا فقط أن نبين أن ابن أبى الأصبع جنح بأمثلة المشاكلة بعيدًا عن صلب ما استشهد به المتأخرون من أجله، وهو ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى

---

(١) بديع القرآن لابن أبي الأصبع ص٨١،٨٢.

(٢) بديع القرآن لابن أبي الأصبع ٣٢٣ وما بعدها.

صحبته تحقيقًا أو تقديرا، وأنه كذلك رغم كل هذا قد خلي كتابه الثانى (بديع القرآن) عن الحديث فى المشاكلة رغم كثرة ما مثّل بأمثلتها.

ومعلوم أن ابن أبى الأصبع قد خص كتابه (بديع القرآن) فيما جاء فى آيات الذكر الحكيم من الأنواع البديعية التى جمعها من السابقين ليدلل بذلك علي أن الأنواع البلاغية والمحسنات البديعية غير مقصورة علي شعر الشعراء ونثر الكتاب، بل هى موجودة فى القرآن كذلك، بذا نراه يسير علي منهاج كتابه الأول (تحرير التحبير) مع ملاحظة بعض الفروق الجوهرية فى عدد ما سرده من أنواع البديع وفى نوعية الاستشهاد، فالأول جعله فى الشعر والنثر، والثانى فى بديع القرآن.

٥- المشاكلة عند بدر الدين بن مالك ت ٦٨٦هـ:

وفى كتابه (المصباح فى علوم المعانى والبيان والبديع) أراد بدر الدين محمد بن جمال الدين بن مالك، الأندلسى أصلا الدمشقى دارًا، وأبوه ابن مالك العالم النحوى صاحب الألفية المشهورة، أراد أن يلخص القسم الثالث من كتاب المفتاح للسكاكى دون ما التفات أو اهتمام بمصادره الأولي أو رجوع للزمخشرى أو عبد القاهر أو غيرهما من الذين سبقوه.. وفى معني المشاكلة يذكر بدر الدين بأنها:

أن تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه معه، مستشهدًا بقول الشاعر:

قالوا اقترح شيئًا نُجِدْ له طبخَه

قلت اطبخوا لى جُبّةً وقيمصا

وبقول الله تعالي ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ﴾[البقرة: ١٣٨]، وقوله ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾[المائدة: ١١٦]»[1].

هكذا فى إيجاز شديد وعجالة سريعة ودون ما إضافة تذكر، وكذا يفعل فى سائر أنواع البديع الأخري.. وتحت عنوان (المزاوجة) يقول فى تعريفها: «أن تأتى فى غير رد العجز علي الصدر بمتماثلين فى أصل المعني والاشتقاق فحسب، كقوله:

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقال تعالي ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[2].

وهنا يدعنا بدر الدين فى حيرة من شأنه، إذ إن ما أسماه المتأخرون بالمشاكلة هو بعينه ما أسماه المتقدمون عليهم بالمزاوجة، فلمَ إذَنْ

(١) المصباح في علم المعاني والبديع لبدر الدين ص٨٩.

(٢) المصباح في علم المعاني والبديع لبدر الدين ص٨٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يفصلهما بدر الدين، ويذكر لكل منهما أمثلة وتعريفًا خاصا به، رغم أن الأمثلة جميعها تصلح أن تكون داخلة تحت باب (المشاكلة)، وماذا يقصد من ذلك؟ هل أرادهما ألفاظًا مترادفة لمعني واحد؟، فلم إذًا لم يدمجهما معًا؟ ولمَ يضع لكل منهما عنوانًا وتعريفًا غير الآخر، بل ويضع أمثلة؟ أم أنه أراد أن يذكر أنواعًا لمجرد أن يُكَثِّر من أعدادها؟.. لا ندرى!

سابعًا: المشاكلة في القرن الثامن الهجري :

١- المشاكلة عند يحيي بن حمزة العلوي ت ٧٠٥هـ:

يذكر العلوى فى مقدمة كتابه أنه أطلع وتأثر بمن قبله كابن الأثير وابن الزملكانى، والفخر الرازى، وبدر الدين بن مالك، ويشير إلي أنه أطلع علي كتبهم فى البلاغة واستنار ببعض مؤلفات غيرهم، ونراه بعد أن تعرض لمسائل علمى (المعانى) و(البيان) ينتقل إلي علم (البديع)، فيقسمه علي ضوء ما قرأه عند بدر الدين إلي ما يتعلق بالفصاحة اللفظية، ويسلك فيه عشرين محسنًا، مُدخِلًا فيها الطباق، ثم يتحدث عما يتعلق بالفصاحة المعنوية، ويسلك فيها خمسة وثلاثين محسنًا من بينها التشبيه والسرقات الشعرية، ويلخص إبان ذلك ما قاله فيها ابن

الأثير.

كما نلحظ أن يدخل (المشاكلة) ضمن أنواع (الطباق)، كما نلحظ أنه أدخلهما معًا تحت المحسنات اللفظية، بينما الأصل فيهما أنهما يرجعان أولًا وبالذات إلي المعني، وهو ما لم يفُت جل علماء البلاغة قديمًا وحديثًا، ويقسم العلوى (الطباق) أربعة أقسام يجعل الرابع منها مقابلة الشيء بما يماثله، وعن هذا الأخير يقول:

«وذلک يكون علي وجهين: الوجه الأول منهما مقابلة المفرد بالمفرد، وهذا كقوله تعالي ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾[الشوري: ٤٠]، وقوله تعالي: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٖ بِمِثۡلِهَا ﴾[يونس: ٢٧]، وقوله تعالي ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾[الرحمن: ٦٠]، وقوله تعالي ﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥ ﴾[الروم: ٤٤] وغير ذلک من الأمور المفردة.. لأن كل ما ذكرناه فى الأمثلة إما مبتدأ وخبر كقوله تعالي ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾[الشوري: ٤٠] وإما شرط ومشروط كقوله تعالي ﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥ ﴾[الروم: ٤٤] وكله معدود فى خبر المفردات- ويذكر أن- ضابط المماثلة أن كل كلام كان مفتقرًا إلي الجواب فإن جوابه يكون مماثلًا.. وإن كان غير جواب جاز وروده من غير مماثلة

لفظية»[1].

فالقسم الأول المفتقر إلي الجواب من المماثلة، هو فقط الذى يدخل معنا فى المشاكلة، والغريب أنه كان يستخدم مصطلح (المشاكلة) أثناء معالجته بعض النصوص، خاصة النوع الذى جاء غير جواب.. فمرة يقول: (ولو أراد المشاكلة اللفظية لقال: وهو أعلم بما يعملون- فى قوله تعالي ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [الزمر: ٧٠].. وأخري يقول- ولو أراد المشاكلة لقال: أفى الله وآياته ورسوله كنتم تخوضون وتلعبون[2]) فى قوله تعالي: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾[التوبة: ٦٥]»[3]..

فنلحظ من ذلك أنه يطلق علي (المشاكلة): (المماثلة) كما أطلق عليها من قبل (الطباق) وجعلها واحدًا من أنواعه، كما نلحظ أن كلامه كثير الشبه بكلام ابن الأثير بل يكاد يكون هو هو، ثم يقول: «والوجه الثانى: مقابلة الجملة بالجملة وهذا كقوله تعالي: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[آل عمران: ٥٤]، وقوله تعالي ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾

---

(1) الطراز للعلوى.٢/٣٨٧

(2) الطراز للعلوى.٢/٣٨٧

(3) ينظر: دراسات في البديع د .أحمد محمد على ص.١٠٤

[النمل: ٥٠].. كما يطْلَق علي المشاكلة أيضًا (مقابلة اللفظ بمثله)»[1].. وبذا يُلاحظ أن كلام العلوى ليس فيه عن المشاكلة جديد، فضلا عن تداخل المصطلحات عنده بعضها فى بعض.

٢- المشاكلة عند الخطيب القزويني ت ٧٣٩هـ:

دوت شهرة الخطيب فى عصره وبعد عصره، بصنعه تلخيصًا للقسم الثالث من مفتاح العلوم للسكاكى غطي علي (بدر الدين ابن مالك) وأمثاله ممن لخصوه قبله وبعده، إذ كان حسن العبارة واضح الدلالة دقيق الإشارة، وقد عمد إلي ما فى المفتاح من تعقيد فأخلي تلخيصه منه، وناقش السكاكى فى غير ما موضع وطرح بعض تعريفاته الملتوية ووضع مكانها تعريفات أكثر دقة ووضوحًا، وقد أطلع علي دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبد القاهر والكشاف للزمخشرى، مستنيرًا بها جميعًا فى تصنيف ملخصه مما أكسبه تعمقا وبعدًا.

ولم يكد الخطيب يفرغ من عمل هذا التلخيص حتي أحس بالحاجة إلي كتاب آخر يبسط فيه بعض قضاياه غير أنه لم يعمد إلي الطريقة التى كانت مألوفة فى عصره، وهى صنع الشروح علي التلخيصات والمتون بل عمد إلي عرض موضوعاته ثانية فى كتاب مطول يفصل

---

(١) الطراز٢/٣٨٧ :

فيه بعض ما أجمله فى هذا التلخيص، مضيفا إليه زوائد من المفتاح والدلائل والأسرار والكشاف، ومستكثرًا من الأمثلة والشواهد وسماه (الإيضاح) ومضي فى نهاية كتابيه يعرض علم البديع بمحسناته[1].

وفى تناوله للبديع يعمد الخطيب القزوينى للمشاكلة فيعرفها ثم يقسمها ويذكر أمثلة لكلٍّ[2]، فيقول فى تعريف المشاكلة: هى ذكر الشىء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته تحقيقًا أو تقديرًا، أى وقوعًا محققًا أو مقدرًا، ونلاحظ زيادة عبارة تحقيقًا أو تقديرًا علي تعريف السكاكى، ويمثل الخطيب للأول بقول ابن الرقعمق:

قالوا اقترح شيئا نُجِدْ لک طبخَه

قلت اطبخوا لى جُبّةً وقميصا

ويعلق عليه بقوله كأنه قال خيطوا لى، ثم يقول: «وعليه قوله تعالي ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[المائدة: ١١٦]، وقوله تعالي ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[الشوري: ٤٠].. وأما الثانى: فكقوله تعالي ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾[البقرة: ١٣٨]، والمعني تطهير الله، لأن الإيمانٌ يطهِّر النفوس، والأصل فيه أن النصاري كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمونه المعمودية، ويقولون هذا تطهير لهم فأُمر المسلمون بأن

---

(١) الطراز٢/٣٥٩ :

(٢) ينظر: البلاغة تطور وتاريخ ص ٣٣٥وما بعدها.

يقولوا لهم: آمنا بالله وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرًا لا مثل تطهيرنا، وجئ بلفظ الصبغة للمشاكلة، وإن لم يكن قد تقدم لفظ الصبغ، لأن قرينة الحال التى هى سبب النزول من غمس النصاري أولادهم فى الماء الأصفر دلت علي ذلك»[1].

ونلاحظ هنا أنه ساق نفس تعبيرات الرازى فى تفسير هذه الآية دون زيادة، مما يجعلنا نقول: إنه قد تأثر به إلي حد ما، ثم نجد الخطيب بعينه يضع بعض أمثلة المشاكلة قبلًا فى الاستدلال للمجاز المرسل لعلاقة السببية فيقول: «فى قول الله تعالي، ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾[البقرة: ١٣٨]: (سمّي جزاء الاعتداء اعتداء لأنه مسبب عن الاعتداء.. وعليه قول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا

الجهل الأول حقيقة، والثانى مجاز عَبّر به عن مكافأة الجهل، وكذا قوله تعالي ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾[الشوري: ٤٠] تجوز بلفظ السيئة عن الاقتصاص لأنه مسبب عنها»[2]، فالخطيب بذلك له فضل الترتيب والتقسيم والتنظيم والتحديد لمفهوم المشاكلة وغيرها من المصطلحات

---

(1) الإيضاح للقزويني ٣١١/٤ وما بعدها من شروح التلخيص.

(2) الإيضاح للقزويني ٣٧/٤ من شروح التلخيص.

البلاغية والألوان البديعية.

وهو وان كان قد ذكر أمثلة المشاكلة تحت علاقات (المجاز المرسل) تارة، وتحت (المشاكلة) ذلك المحسن العرضى تارة أخري، إلا أنه وعلي الرغم من ذلك فقد أصبح كتاباه: (التلخيص) و(الإيضاح) هما النسج الذى يسير علي منواله من أراد التأليف البلاغى، والمصدر الذى لا غنى عنه فى الدرس البلاغى.

لكن لابد ومع كل هذا من ملاحظة أن الخطيب فيما صنع، هو خير من خلف السكاكى فى تلخيص قواعد البلاغة ووضعها فى إطار من التحديد والتنظيم والتقسيم، وخير من خلف السكاكى أيضًا فى الإكثار من الشواهد والأمثلة المتكررة وقد كان شديد التأثر به فى الابتعاد بالبلاغة عن الصنعة الأدبية والجزالة والإشراق الفنى الذى عهدناه علي يد شيخ البلاغيين الإمام عبد القاهر الجرجانى، حيث امتزاج البلاغة بالروح الأدبية وإحطاتها بالنواحى الفنية، وعلها فى يوم ما ترجع إلي سابق عهدها حتي تكون لها المزية والمتعة، وسط هذا الخضم الهائل من العلوم والفنون الأخري.

وإن كان ذلك لا يحط من قدر السكاكى أو الخطيب ولا ينقص من جهودهما وإرجاع الفضل إليهما فى تحديد المصطلحات البلاغية فى إطار من الدقة والتنظيم.

٣- المشاكلة عند ابن القيم الجوزية ت ٧٥١هـ:

وإذا ما انتقلنا بعد ذلك إلي ابن القيم الجوزية باعتباره يمثل نموذجًا من الذين شُغلوا بعلوم الفقه والحديث والتفسير وأصول الدين، لوجدنا أثر هذه العلوم جميعًا فى تناول أى (المشاكلة) يقول ابن القيم: «وأما المكر الذى وصف به نفسه فهو مجازاته للماكرين بأوليائه ورسله، فيقابِل مكرهم السيء بمكره الحسن، فيكون المكر منهم أقبح شيء ومنه أحسن شيء، لأنه عدل ومجازاة، وكذلك المخادعة منه جزاء علي مخادعة رسله وأوليائه فلا أحسن من تلك المخادعة والمكر.. وقوله ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾[الأعراف: ٩٩] إنما هو فى حق الفجار والكفار، ومعني الآية: (فلا يعصِ ويأمن مقابلة الله له علي مكر السيئات بمكره به إلا القوم الخاسرون)، والذى يخافه العارفون بالله من مكره أن يؤخر عنهم عذاب الأفعال، فيحصل منهم نوع اغترار فيأنسوا بالذنوب فيجيئهم العذاب علي غِرة وفجأة.. وأمر آخر: وهو أن يغفلوا عنه وينسوا ذكره فيتخلي عنهم إذا تخلوا عن ذكره وطاعته فيسرع إليهم البلاء والفتنة.. وأمر آخر: أن يعلم من ذنوبهم وعيوبهم ما لا يعلمونه فى نفوسهم، فيأتيهم المكر من حيث لا يشعرون.. وأمر آخر: أن يمتحنهم ويبتليهم بما لا صبر لهم عليه فيُفتنون به وذلك مكر»[١].

---

(١) الفوائد لابن القيم ص١٤٥،١٤٦

ويلاحظ من كلام ابن القيم هنا أنه يريد أن يُبعد آيات الصفات التى جاءت علي طريق المجازاة والخاصة بالمشاكلة، يريد أن يبعدها عن أن تكون قد جاءت علي سبيل المجاز، وهدفه من كل ذلك أن يثبت هذه الصفات للمولي سبحانه علي الحقيقة وعلي الوجه الذى يليق به جل وعلا.. فهو يشرح ويحلل بطريقته المحببة إلي النفس معني المجازاة فى آيات الصفات الخاصة بالمشاكلة، وكيف يكون المكر السيء والمكر الحسن والفرق بينهما وما يليق منها فى حقه سبحانه وما يستحيل، وكذا الخداع والكيد وغيرها مستبعدًا أن يكون ذلك قد جاء علي طريقة المجاز، هذا هو الجانب النظرى لدي ابن القيم.

فإذا ما انتقلنا إلي الجانب العملى أو التطبيقى عند ابن القيم فإننا نراه يتأثر بمن قبله أيما تأثر فهو يدخل (المشاكلة) تارة فى باب (الازدواج)، ويدخلها تحت (السببية والمسببية) فى المجاز المرسل تارة أخري، وهو فى كل الأحوال لا يتعرض للمشاكلة باعتبارها نوعًا مستقلا أو لونًا من ألوان البديع علي نحو ما فعل السكاكى والخطيب، بل يستعيض عن هذه التسمية بمصطلح (الازدواج) ويعرفها: «بأن يزاوَج بين الكلمات أو الجمل بكلام عذب وألفاظ حلوة»[1]، ويمثل له بقوله تعالي: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾[البقرة:

(1) الفوائد المشوق لعلوم البلاغة لابن القيم ص٢٢٥

١٩٤]، وقوله تعالي: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾[الشوري: ٤٠]، وقوله تعالي: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ ﴾[البقرة: ٩].

وبمثل هذا كان حديثه عن المجاز المرسل وعلاقاته ففى كلامه عن إطلاق اسم السبب علي المسبب يستدل بقول الله تعالي: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾[البقرة: ١٩٤]، ويقول: «سمي عقوبة الاعتداء اعتداء لأنه المسبب عن الاعتداء، ومنه قوله تعالي: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾[الشوري: ٤٠] تجوَّز بلفظ السيئة عن القصاص فإنه مسبب عنها، والتقدير: (جزاء جناية قبيحة عقوبة قبيحة مثلها فى القبح)»، ثم يقول:

«ومنه – أى من مجاز السببية – قوله تعالي: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ ﴾[آل عمران: ٥٤]»، ويعلق علي ذلك بقوله: «تجوز بلفظ المكر عن عقوبته لأنه سبب لها»[1]، ومثل ذلك يذكره فى قول الله تعالي: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ ﴾[النساء: ١٤٢] فيذكره تارة ضمن أوجه الخداع المحتملة فى الآية تحت (المجاز المرسل)، ويذكره تحت (الاستعارة) تارة أخري. فيقول: إن «خداع الله إياهم.. من مجاز التعبير بلفظ السبب عن المسبب، ويجوز أن يكون من مجاز التشبيه معناه

(١) الفوائد المشوق لعلوم البلاغة لابن القيم ص١٦، ١٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أنه عاملهم معاملة المخادع بما أخفاه عنهم فى إرادة إضرارهم وإهلاكهم»[1].

وقد كان من المأمول، بل ومن المتوقع من ابن القيم وهو الذى خص كتابه (الصواعق المرسلة) والواقع فى زهاء ثمان وأربعين وستمائة صفحة يدفع فيها شبهة التجوز عن صفات الله سبحانه فى اثنين وثمانين ومائتى صفحة منها، وليكسر طاغوت المجاز من خمسين وجهًا وذلك فى إحدي وثمانين صفحة، قائلًا: «إن هذا الطاغوت- لهج به المتأخرون، والتجأ إليه المعطلون وجعلوه جُنّة يتترسون بها من سهام الراشقين ويصدون عن حقائق الوحى المبين»[2]- كان من المأمول أن يظل علي رأيه هذا فى جعل هذه الصفات علي جهة الحقيقة لا المجاز فى الجانب التطبيقى والعملى علي نحو ما أفاض فى كلامه من الناحية النظرية، خاصة وأنه أماط اللثام ليرد علي المعطلة القائلين فى قول الله تعالي ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ﴾[آل عمران: ٥٤] بأن «إطلاق المكر علي المعني المتصور من الرب سبحانه يتوقف علي استعماله فى المعني المتصور من الخلق، فهو حينئذ مجاز بالنسبة إليه حقيقة بالنسبة

(1) الفوائد المشوق ص.١٧

(2) الصواعق المرسلة ص.٢٨٤

إليهم»[1]

حيث أخذ فى الرد عليهم قائلًا بأن هذا فاسد، لأن دعوي أن إطلاقه علي أحد مدلوليه متوقف علي استعماله فى الآخر دعوي باطلة مخالفة لصريح الاستعمال، ومنشأ الغلط هى النظر لقوله تعالي: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ ﴾[آل عمران: ٥٤] وقوله تعالي: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا ﴾[النمل: ٥٠] والذهول عن أمثال قوله: ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾[الأعراف: ٩٩] ثم أوضح أن ما ذكره المعطلة، مبنى علي أمرين أحدهما معنوى والآخر لفظى.

فأما المعنوى، فهو: أن مسمي هذه الألفاظ ومعانيها مذمومة، فلا يجوز اتصاف الرب تعالي بها، وأما اللفظى فإنها لا تطلق عليه إلا علي سبيل المقابلة فتكون مجازًا [2].. ثم أجاب عن الأمر المعنوى قائلًا: إنه «لما كان غالب استعمال هذه الألفاظ – المكر والخداع والكيد والنسيان وغيرها، مما هو داخل فى صفات المجازاة المقيَّدة للمشاكلة ـــ فى المعانى المذمومة ظن المعطلون أن ذلك هو حقيقتها فإذا أُطلقت لغير الذم كانت مجازًا، والحق خلاف هذا الظن، وأنها منقسمة إلي محمود ومذموم فما كان منها متضمنًا للكذب والظلم فهو مذموم،

(١) الصواعق المرسلة ص٣٠٦

(٢) ينظر: الصواعق المرسلة ص٣٠٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وما كان منها بحق وعدل ومجازاة علي القبيح فهو حسن محمود.. وجزاء المسيء بمثل إساءته جائز فى جميع الملل مستحسن فى جميع العقول»[1].. ثم قال:

«وعلي التقديرين: -أى سواء جاء ذلك علي سبيل المقابلة أم لا-: فإطلاق ذلك عليه سبحانه علي حقيقته دون مجازه، إذ الموجب للمجاز منتف علي التقديرين، فتأمله فإنه قاطع.

وأما الأمر اللفظى فإطلاق هذه الألفاظ عليه سبحانه لا يتوقف علي إطلاقها علي المخلوق ليُعلم أنها مجاز، لتوقفها علي المسمي الآخر كما قدمنا من قوله.. ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[الأعراف: ٩٩] [2].. وأوضح رحمه الله «أن هاهنا ألفاظًا تطلق علي الخالق والمخلوق.. فإن كانت حقائقها: ما يفهم من صفات المخلوقين وخصائصهم ـــ وذلك منتف فى حق الله تعالي قطعًا ـــ لزم أن تكون مجازًا فى حقه لا حقيقة، فلا يوصف بشيء من صفات الكمال حقيقة وتكون أسماؤه الحسني كلها مجازات فتكون حقيقة للمخلوق مجازًا للخالق، وهذا من أبطل الأقوال وأعظمها تعطيلًا، وقد التزمه معطلوا الجهمية فكان لازم قولهم ألا يكون رب العالمين

---

(1) الصواعق المرسلة ص٣٠٧

(2) الصواعق المرسلة ص٣٠٩

موجودًا حقيقة ولا حيًا حقيقة ولا مريدًا حقيقة ولا قادرًا حقيقة ولا مَلِكًا حقيقة ولا ربًا حقيقة، وكفي أصحاب هذه المقالة بها كفرًا»[1].

ثم ذكر ابن القيم أن «هذا القول لازم لكل من ادعي المجاز فى شيء من أسماء الرب وأفعاله لزوما لا محيص عنه، فإنه إنما فر إلي المجاز لظنه أن حقائق ذلك مما يختص بالمخلوقين وألا فرق بين صفة وصفة وفعل وفعل».. وهذا باطل أيضا لأنه «إما أن يكون الجميع مجازًا أو الجميع حقيقة، وأما التفريق بين البعض وجعله حقيقة وبين البعض وجعله مجازًا، فتحكم محض باطل، فإن زعم هذا المتحكم أن ما جعله مجازًا ما يفهم من خصائص المخلوقين وما جعله حقيقة ليس مفهومه مما يختص بالمخلوقين طولب بالتفريق بين النفى والإثبات»[2].

هكذا وبكل وضوح، ولا أدري كيف غاب عنه قوله هذا عندما تحدث عن المجاز وعلاقاته فى قول الله تعالي: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ﴾[آل عمران: ٥٤] وقوله تعالي ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾[النساء: ١٤٢]، من الناحية التطبيقية من خلال كتابه (الفوائد المشوق إلي علوم القرآن)، بل كيف غاب عنه ما سقناه له هناك من تحليل لصفة المكر وتفسير لها بما يتناسب وكماله سبحانه علي وجه

(1) ينظر: الصواعق المرسلة لابن القيم ص٣١٠

(2) الصواعق المرسلة لابن القيم ص٣١٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الحقيقة، وذلك من خلال نفس الكتاب إن صح نسبته إليه وإن كنت أشك فى ذلك[1].

ثامنًا: المشاكلة فيما بعد القرن الثامن الهجري :

ومن المؤكد أن ما ذهب إليه الخطيب القزوينى هو آخر ما استقر عليه أمر المشاكلة، فكل من جاء بعده لا نكاد نجد أدني فرق بينه وبين ما ذكره، بل نكاد نشعر من خلاله أنه هو هو بتعريفه وتمثيله وتحليله، فصاحبه إما ناقل وإما شارح وإما مختصر وإما ناظم له، وكأنهم رأوا فيه- وهو وأستاذه السكاكى- خير من يجمع تلك القواعد.

وفى الحقيقة يكفى القزوينى والسكاكى فخرًا أنهما رسما الطريق، وأوضحا معالم البلاغة العربية، وحددا الإطار العام لفنونها، وفصّلا القول فى ألوان البديع المتعددة والمشاكلة -بالطبع- واحدة منها.

---

(1) ينظر: الفوائد ص١٤٥،١٤٦.

١- المشاكلة عند أصحاب شروح التلخيص:

ونظرة عابرة إلي كتاب شروح التلخيص وحواشيه- مثلًا - نجد الدقة فى تحديد المقصود، كما نلحظ النزعة المنطقية فى التقسيم والتنويع والتبويب، وذلك بدءا من (مختصر سعد الدين التفتازانى) ومرورًا بـ(مواهب الفتاح) لأبى يعقوب المغربى، و(عروس الأفراح) لبهاء الدين السبكى، وانتهاء (بحاشية الدسوقى علي شرح السعد).

ومن الجدير بالذكر أن هذه الشروح والحواشى جميعها من أحسن ما كتب فى هذا المضمار، لأن أصحابها من خيرة من تخصصوا فى الدرس البلاغى، وزاد من أهمية ما سطروه: كثرة ما جاء فيه من تحليلات وإضافات، خاصة من صاحب (مواهب الفتاح) الذى فاق غيره فى ظاهرة التعمق فى فهم الشواهد وتحليلاتها، كما تميز بسوقه آراء السابقين واللاحقين فى كثير من المسائل البلاغية، بما يجعل كتابه هذا من أوفي وأفضل ما يمكن أن يعتمد عليه فى الدرس البلاغى، فضلًا عما غلب علي (مواهب الفتاح) من أسلوب فلسفى ومنطقى أكسب البلاغة دقة وتحديدًا، فمعلوم أنه لا يستخرج الروح الفلسفية من العلم ومن شواهد الشعر وغيره، إلا من خبر العلم والشعر وتعمق فى معرفتها، واستطاع أن يستخرج ما فى أعماقها من مكنون البلاغة وأسرار ألوانها، لمقدرته الفائقة علي الغوص والإبحار إلي

دواخلها، وهذا الشيء يبحث عنه ويعرف قدره أصحاب العلوم والفنون والأدب.

وننظر إلي موضوع كموضوعنا لنقف علي تعريف أصحاب شروح وحواشى التلخيص للمشاكلة وكيفية معالجتهم لهذا الصبغ البديعى كنموذج مما سطروه.. يقول سعد الدين التفتازانى صاحب المختصر: «و(منه) أى ومن المعنوى (المشاكلة، وهى ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه) أى: ذلك الشيء (فى صحبته تحقيقًا أو تقديرًا)، أى: وقوعا محققا أو مقدرًا »[1].

ويقول صاحب مواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح: «(ومنه) أى من البديع المعنوى: (المشاكلة) أى النوع المسمي بالمشاكلة، وهو أى وذلك النوع من البديع المعنوى المسمي بالمشاكلة هو: (ذكر الشيء بلفظ غيره)»، ثم يوضح هذا التعريف ويبين معني الباء فى قوله بلفظ قائلًا: «ذكر المعني ملتبسًا فى ذلك الذكر بالإتيان بلفظ غير ذلك المعني، فالباء فى (بلفظ) للملابسة، ولا يخفى أن تعلق الذكر بالمعني كما هنا صحيح من باب نسبة ما للدال للمدلول، وخرج بقوله (بلفظ غيره) الذكر المتعلق بالحقيقة، ودخل فيه جميع أنواع المجاز، لأن الذكر فيها واقع فى معانيها فى ألفاظ غيرها علي ما تقدم من البحث

(1) مختصر سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح٣٠٩ ، ٣١٠/٤ من شروح التلخيص.

فى الاستعارة بالكناية، قوله (لوقوعه فى صحبة غيره)، يتعلق (بذكر) أى ذكره لأجل وقوعه... الخ، أو وقعت وقوعه».

ويعدد المغربى من الأمثلة ما يوضح به كلامه، فيقول: «وذلك كما لو قيل لك: (أسقيك ماء)، فقلت: (بل اسقنى طعامًا)، فقد ذكرتَ الإطعام بلفظ السقى لوقوعه فى صحبة السقى، ومعني الوقوع فى صحبة الغير: أن ذلك الشىء وجد مصاحبًا للغير، بمعني: أنه ذكر هذا عند ذكر هذا، كما فى المثال، أو عند حضور معناه فشملت الصحبة الذِّكرية والصحبة العلمية، لأنها فى التقدير كالمذكور وإلي ذلك أشار بقوله (تحقيقًا أو تقديرًا)»، ويوضح ذلك بقوله: «أى: ذكره بلفظ الغير لوقوعه فى صحبة ذلك الغير) صحبة تحقيق، بأن يذكر عند ذكره، أو صحبة تقدير للعلم به فصار مقدر الذكر كالمذكور»، ويحدد المغربى دلالة المشاكلة وهل هى من قبيل المجاز أم لا؟ مبينًا نوع اللام فى قول المصنف (لوقوعه) فيقول:

«وإذا كان معني الوقوع فى الصحبة ما ذُكر، خرج جميع أنواع المجاورة، لأن شيئًا منها لا تكون علي ذكره وقوعه فى صحبة الغير ذكرا أو تقديرًا، أما ما سوي المجاز الذى علاقته المجاورة كالظرف مع المظروف، والملازمة كالجزء مع الكل فظاهر، وأما الذى علاقته المجاورة أو الملازمة فلى العلة فيها صحبة الذِّكر بل صحبة ستقرره

قبل الذكر، هذا إن جُعِلَت اللام فى (لوقوعه) للتعليل، وإن جُعِلَت توقيتية كما تقدم أيضًا، فالإخراج حينئذ أظهر لأن شيئًا منها ليس من شرطه أن يذكر وقت صحبته للغير»[1].

وبمثل هذه التحليلات الدقيقة والإضافات اللطيفة وقريبًا منها، نلحظه فيما كتبه بهاء الدين السبكى فى عروس الأفراح والدسوقى فى الحاشية، وهذه الشروح والحواشى وإن كانت فى جوهرها فى الحقيقة بعيدة عن الروح الأدبية والتحليلات الفنية خاصة فيما يتعلق بالشواهد، كما يغلب عليها طابع التكرار، إلا أن عذر أصحابها هو اختصاصهم وتفرغهم الكامل للدرس البلاغى، شأنهم فى ذلك شأن أصحاب العلوم والفنون الأخري فى اهتمام الجميع بتحديد المقصود مما يراد الحديث عنه والتخصص فيه، ولعل ذلك ما جعل أصحاب الشروح يميلون إلي إضفاء واختيار الروح المنطقية والفلسفية علي نحو ما رأينا، وذلك عن طريق الغوص فى أعماق هذه التعريفات واللجوء إلي تحديدها تحديدًا دقيقًا واعيًا بصيرًا.

علي أن المعرفة الإسلامية لجأت إلي التحديد والضبط عن طريق تفهم لغة العلم فى حقبة زمنية ظهرت فيها هذه الشروح وهذه الحواشى، وكان هذا طورًا حضاريًا ضروريًا لضبط المعرفة العربية

---

(1) مواهب الفتاح لأبي يعقوب المغربي ٤/٣١٠ الشروح.

الإسلامية التى اتسعت وتشعبت واستفاضت فى القرون السابقة.

كما أن هذه الشروح والحواشى تمثل طورًا فكريًا له ملامحه الخاصة وله منهجه الخاص فى ضبط المعرفة وتنظيمها، والذى يقرأ هذه الشروح بدقة يكتسب الروح العلمية المدققة التى تعين علي تحرير الأفكار وتلخيصها واستقامتها.

وما ذكرناه هنا عن أصحاب الشروح والحواشى، نجده متوفرًا عند أصحاب المطولات ففى تعريفه للمشاكلة وتحديده لماهيتها مثلًا يقول السعد فى مطوله: «(ومنه) أى: ومن المعنوى: (المشاكلة، وهى: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته)، أى: لوقوع ذلك الشيء فى صحبة ذلك الغير (تحقيقًا أو تقديرًا)، أى: وقوعًا محققًا أو مقدار»[1].. ونظن أن صاحب الأطول أحسن حالًا ممن سبقه لكثرة تحليلاته ولإضفائه الروح الفلسفية والمنطقية علي كتابه: (الأطول) بصورة أعمق وبطريقة أوسع، وتلمح من خلال ما كُتِبَ فيما بعد، أن شروح المفتاح وتلخيصاته لم تتوقف عند قرونها الأولي السابع والثامن والتاسع بل إنها امتدت حتي وصلته بتحديداتها هذه وبدقة أقسامها إلي وقتنا الحاضر، دون ما إضافة جديدة يعتد بها أو زيادة ذات بال يستفاد منها.

(1) المطول لسعد الدين التفتازاني ص٤٢٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٢- المشاكلة لدى السيوطي ت ٩١١هـ:

وها هو ذا السيوطى فى عقود الجمان، ورغم هذه المسافات الزمنية الشاسعة بينه وبين القزوينى ت ٧٣٩هـ – مائتى عام تقريبًا – كان من الممكن أن تُثري فيها البلاغة إلا أنه جاء بعد هذا المتسع من الوقت مخيبًا للآمال، جاء ليكرر كلام من سبقوه ولا نجد عنده إلا التكرار، يقول السيوطى فى تعريف المشاكلة ومحترزاته أنها: «لغة المماثلة، واصطلاحا: ذكر الشىء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته تحقيقًا أو تقديرًا، وقال بعضهم ذِكْره بلفظ مصاحبه لوقوعه فى صحبته، قال: واحترزنا بقولنا: لوقوعه فى صحبته، عن الجناس التام والمجاز»[١].

وإن كان له من فضل فهو اعتباره المصاحبة هى العلاقة المصححة لهذا الاستعمال، وقد جعلها من علاقات المجاز المرسل، وبذا يكون قد خرج فى هذه الجزئية عن كلام سابقيه، فهو يقول: «وإذا قلتَ: (قَتَل الأسد من كان أسدًا)، وأنت تعنى بالأول السبع وبالثانى الشجاع، فقد عبرت عن الثانى بلفظ الأول لا للمصاحبة بل لوجه من وجوه المجاز»[٢] وسيأتى تفصيل ذلك فى الحديث عن المشاكلة بين الحقيقة

---

(١) شرح عقود الجمان للسيوطي ص١١٠.

(٢) السابق.

والمجاز إن شاء الله تعالي.

٣- المشاكلة عند الشيخ عبد المتعال الصعيدي وغيره من المعاصرين:

ونتقل بعد ذلك لواحد من أرباب البلاغة المعاصرين لنري طريقة تناوله لموضوع المشاكلة، ففى كتابه (بغية الإيضاح) يعرض الشيخ عبد المتعال الصعيدى للمشاكلة إبان شرحه بكتاب (الإيضاح) للقزوينى، فنلحظ أنه لا يزيد علي أن يحلل الأبيات والشواهد ويشرحها شرحًا أدبيًا ويحاول أن يميط اللثام عن بعض الألفاظ الغامضة فيعرج عليها ويحوم حولها ويفك غموضها، ولكن دون ما إضافة تذكر الصلب موضوعات البلاغة اللهم إلا ما ندر، وذلك علي طريقة شراح التلخيص التى سبق وأن أشرنا إليها، وبمثل هذا صنع د. محمد عبد المنعم خفاجى فى تحقيقاته علي (الإيضاح) وكذا غيره من المعاصرين فى تناولهم لموضوع المشاكلة.

وأظن بعد هذا العرض المستفيض، أنه قد أتضح لنا مدي تأثر هؤلاء جميعًا بالدراسات البلاغية السابقة كما ظهر لنا- بما يقطع الشك باليقين- أن هذه الدراسات جميعها فى موضوع كموضوع المشاكلة- الذى نحن بصدده- ما هى إلا صورة طبق الأصل لما خلص إليه الخطيب القزوينى، وأن هذا التحديد الذى انتهي إليه الخطيب القزوينى، وحرره ودققه من جاء بعده، يُمثل الصورة الأخيرة فى

الدراسات البلاغية لموضوع المشاكلة، وأن المحاولات التى جاءت بعده لا تربو عن كونها إضافات لشرح ما غمض وتجلية ما دق، وذلك باستثناء بعض الاجتهادات التى خرجت إلي الحياة لإضافة جديد إلي مبحث المشاكلة، أو محاولة ذلك كما عند د. محمد أحمد علي فى تحليلاته عن المشاكلة فى صفحات كتابه[1] والتى وقعت فى حوالى أربعين صفحة وقف فيها علي مفهوم المشاكلة وتطوره حتي وصل إلي صورته الأخيرة ثم أفاض فى تعداد أقسام المشاكلة وصورها حتي أوصلها إلي خمسة أنواع، وأدخل فيها عشر صور تكلمنا عنها بإفاضة فى الفصل الأول، ثم حديثه المستفيض بعد ذلك فيما إذا كانت المشاكلة من الحقيقة أم من المجاز؟ وأظن أن ماعدا ذلك وإلي يومنا هذا، هو كما قلنا محاولات لا تربو عن كونها إضافات لشرح ما غمض وتجلية ما دق. والله تعالي أعلي وأعلم.

(1) ينظر: دراسات في علم البديع د .أحمد محمد على من ص١٤١ :١٠٢

المبحث الثاني
تطور المشاكلة من الناحية الفنية
ومن حيث الاستخدام البياني

وبعد الكلام عن تطور المشاكلة من ناحية ظهورها والتأريخ لها وكيفية تناول علماء البلاغة لمصطلحها، بقى أن نتناول تطور هذا الصبغ البديعى من حيث استخدامه البيانى، للوقوف علي مظاهر وطريقة استخدام هذا اللون البديعى، ومواضع الاتفاق والاختلاف بينه وبين غيره، وذلك عن طريق عمل مقارنة لكيفية سوق هذا الفن فى الشعر الجاهلى ثم فى أحاديث النبى صلي الله عليه وسلم ثم بعد ذلك فى نموذج من شعر العباسيين ولنتخير من ذلك واحدًا من أبرز شعرائها وهو المتنبى، لنقارن بعد ذلك بين أساليب المشاكلة فى كل ولنتعرف علي خصائص هذا اللون فى هذه العصور المختلفة هذا أولًا، ولنقف ثانيًا علي مراحل وتطور المشاكلة من الناحية التطبيقية والعملية والفنية وذلك من حيث الاستخدام البيانى، ولنبدأ أولًا بالمشاكلة فى شعر الجاهليين:

أولًا –المشاكلة في الشعر الجاهلي:

ونظرة إلي شعر شعراء الجاهلية فى المعلقات، وهى مفخرة العرب فى الجاهلية، وقد وضعوا فيها من الشعر أحسنه ومن القريض أجوده، حتي

وصلت درجة تعظيمهم لها أن علقوها علي أستار الكعبة، وقد حوت هذه المعلقات سبعًا من قصائد أبرز شعراء الجاهلية وبلغ عدد أبياتها زهاء الستمائة بيت[1].. وعلي الرغم من هذا الكم الهائل من أبيات الشعر الجيد، فإن المشاكلة لم تأت فيها إلا بصورة نادرة، ولم أكد أجد من شواهدها علي قدر اجتهادى سوي صورتين اثنتين من صور المشاكلة: أحدهما فى بيت لبيد بن ربيعة العامرى:

فعلا فروع الأيهقان وأطفلت

بالجهلتين ظباؤها ونعامها

أما الصورة الثانية فقد جاءت فى قصيدة عمرو بن كلثوم فى بيته المشهور:

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا

مما يدل علي أن المشاكلة قد جاءت فى شعر الجاهلين علي ما اقتضته الفطرة ولم يعمد إليها عمدًا.

فإذا ما نظرنا إلي معلقة لبيد[2] بن ربيعة العامرى – وهو من الشعراء

---

(1) وجد بالإحصاء أن عدد أبيات المعلقات السبع في طبعة صبيح ٥٩٩ بيتًا مع نقص بيت في معلقة عمرو بن كلثوم، أما في طبعة المكتبة التجارية فوجدت أن عدد أبيات المعلقات السبع ٥٩٤ بيتًا مع نقص ستة أبيات في معلقة عنترة بن شداد.

(2) هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر العامري الصحابي رضي الله عنه وأرضاه ..ينظر: قصيدته في

المعدودين فى الجاهلية ومعلقته هى الرابعة فى المعلقات – نجد أن أسلوب المشاكلة الذى جاء فى قوله:

فعلا فروع الأيهقان وأطفلت

بالجهلتين ظباؤها ونعامها

جاء عفوًا، فالنعام –وهو مما يبيض – وقع فى صحبة ما يلد وهو الظباء ولذا صح التعبير عنهما بالفعل (أطفلت) فالفعل (أطفلت)، ومعناه: ولدت وصارت ذات طفل، لا يقال إلا لما يلد من الإنسان والحيوان- قد تلبس بالفاعل (ظباؤها) الذى عطف عليه (نعامها) فشاركه فى الحكم، والظباء ما يلد فيصح تلبس الفعل به، أما النعام فهو مما يبيض فلا يصح تلبس الفعل به بحال ـــ لا حقيقة ولا مجازًا ـــ علي جهة الاستقلال.

ولكن الذى سوغ تلبس هذا الفعل به، هو: وقوعه فى مصاحبة ما يصح أن يتلبس ذلك الفعل به وهو الظباء، وهذا النوع من المشاكلة هو من قبيل ملابسة الفعل بما لا يصح أن يتلبس به، لوقوعه فى صحبة ما يصح أن يتلبس به ذلك الفعل، وهو أحد أنواع المشاكلة وصورها التى سبق الحديث عنها أثناء التعريف بالمشاكلة وأنواعها، ونلحظ أن المشاكلة قد جاءت هنا بلا أدني تكلف أو تعمد.

شرح المعلقات السبع ص.١٠٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أما الصورة الثانية -وهى من قبيل ما اشتهر فى باب المشاكلة- فهى قول عمرو بن كلثوم التغلبى فى معلقته:

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا [1]

وقد ذكر عمرو بن كلثوم هذا البيت فى معرض المدح والفخر لنفسه ولقومه، وإذا علمنا أن ذلك هو غرضه ومبتغاه عرفنا منذ الوهلة الأولي أنه لم يقصد إلي البدء بظلم أو أن يجهل علي غيره دون مبرر، فإن هذا لا يتناسب مع ما ذكر البيت لأجله، لأن العاقل لا يفخر بالجهل ولا يُمتدح به.. وإنما أراد المجازاة علي الجهل لكونه سببه، ففى هذا التعبير إشارة حاسمة من الشاعر إلي أن الجهل عليهم إنما هو جهل علي من جهل، لأن الجزاء عنده لا يتخلف، بل إنهم سيجدون عنده جهل فوق الجهل[2].

قال الزوزنى فى معني البيت: «أى: لا يسْفَهَن أحد علينا، فنسفه عليهم فوق سفههم، أى نجازيهم بسفههم جزاء يربي عليه، فسمي جزاء الجهل جهلًا لازدواج الكلام وحسن تجانس اللفظ كما قال الله

---

(1) أحد شعراء الجاهلية البارزين والبيت من معلقته وهو في شرح القصائد العشر بشرح التبريزي ص ١٤٨وأمالي المرتضى ص ٢/٨و»ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن للمبرد ص١٤، وأساس البلاغة ص١٠ /١٤٥

(2) ينظر: التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان د .محمد أبو موسى ص٣٤٩

تعالي: ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾[البقرة: ١٥]. وقال: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾ [الشوري: ٤٠]، وقال: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾[آل عمران: ٥٤]، وقال: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ ﴾[النساء: ١٤٢]. حيث سمّي سبحانه جزاء (الاستهزاء والسيئة والمكر والخداع)، (استهزاء وسيئة ومكرًا وخداعًا) لما ذكرنا من أمر الوقوع فى الصحبة[1].

وإن كان يعاب علي عمرو بن كلثوم تجاوز العدل وتناسي الفضل فى عدم تحريه المثلية فى قوله: فنجهل فوق جهل الجاهلينا.

وذلك علي خلاف المثلية التى ذكرت فى غير ما موضع من كتاب الله والتى تدل علي مدي عدل الله حتي علي العاصين له والمتطاولين علي رسوله صلي الله عليه وسلم وأوليائه، يقول جل وعلا: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾[البقرة: ١٩٤]، ويقول: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ ﴾[النحل: ١٢٦]، ويقول: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾[الشوري: ٤٠]، ففى هذه الآيات وغيرها حث علي تحرى المماثلة والعدالة فى الجزاء دون ما زيادة، بل إنها أحيانًا نفيض بالبر والرحمة والعفو وكظم الغيظ ومواجهة المكر والكيد بالصبر والحلم، رغم عظيم ما بدأ به أو ارتكبه أعداء الحق للنيل من

(1) شرح المعلقات السبع للزوزني ص ١٧٨دار الجيل بيروت.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الإسلام والمسلمين، ولا قياس بين كلام البشر وكلام رب البشر فالبون شاسع والفارق عظيم.

فبيت عمرو بن كلثوم «حسن فى البلاغة ولكنه دون بلاغة القرآن، لأنه لا يُؤذِن بالعدل كما أذنت بلاغة القرآن وإنما فيه الإيذان براجع الوبال فقط»[1].

وهذا لا يعنى أن ما صرح به عمرو بن كلثوم هو السمة البارزة فى عادات العرب وشعر الجاهليين، فنظرة تأمل لما قاله أكثم بن صيغى (الجزاء بالجزاء)، نري الفارق بين قولة حكيم العرب هذه وبين بيت عمرو بن كلثوم، فقول عمرو بن كلثوم يذهب إلي تقرير مبدأ الرد علي العدوان بالمثل وبما هو فوق المثل، وإذا كان الرد بما هو فوق المثل لا يقره عليه شرائع السماء، فإن الرد بالمثل مما هو مقبول ومقرر فى شرائع السماء وقوانين الأرض وأعراف الناس علي السواء ولا خلاف عليه بين البشر.

ومع ذلك، فإن ما ذهب إليه أكثم بن صبغى وإن كان يحمل معني المثلية، إلا أن ما يذهب إليه إنما هو تقرير لمبدأ العدوان نفسه والبدء به، ذلك أن الجزاء الأول فى قولة (الجزاء بالجزاء) قصد به العدوان،

---

(1) النكت في إعجاز القرآن لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني ص ١٠من ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.

وإنما سمي بذلك للمقابلة بين الألفاظ علي عادة العرب من جواز تسمية الجزاء علي الذنب باسمه، توسعًا منهم فى اللغة، فما عاب مقولة أكثم: أنه ما قصد بها الرد علي العدوان بالمثل وإنما قصد بها البدء بالعدوان، ذلك أن مبدأ الجزاء لا خلاف عليه بين البشر ولا تنكره- كما قلنا- شرائع السماء.

ويفوق هذا وذاك استخدامات القرآن للفظ (العدوان) فى الرد والجزاء والعقوبة، فهذه الاستخدامات إنما جاءت فى القرآن لترغب الناس فى الصفح والعفو خاصة، لاسيما أنه سبحانه اشترط المثلية فى الرد علي العدوان، وذلك أمر بعيد المنال ويصعب تحقيقه إلا بشق الأنفس، يقول تعالي: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾[البقرة: ١٩٤]، ويقول: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ﴾[الحج: ٢٦٠]، ويقول جلت حكمته: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦]، والذى سوغ استخدام العقوبة هنا فى العدوان هو مصاحبتها للفظ نفسه ﴿عَاقَبَ﴾ و﴿عَاقَبۡتُمۡ﴾ و﴿فَعَاقِبُواْ﴾ فإنه فضلًا عن اشتراطها المثلية فى العقوبة والاعتداء بما يجعله أمرًا صعب المرام، فإنه سبحانه يفتح بابًا للعفو والصفح والمودة لتتراحم القلوب وتتصافي النفوس وتزداد حبًا وثقة وإخاء، وذلك ما يعنيه أمثال قوله

تعالي: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾[النحل: ١٢٦].

فأين ذلك إذا من بيت عمرو بن كلثوم أو حكمة حكيم العرب أكثم بن صيفى؟، لا شك أن ذلك كله ينزوى حياء وخجلًا أمام عظمة الوحى المبين وكلام رب العالمين.

ثانيًا :المشاكلة في كلام رسول الله صلي الله عليه وسلم:

فإذا ما نحينا الشعر الجاهلى جانبًا، وتطرفنا لجانب المشاكلة فى أحاديث النبى صلي الله عليه وسلم، فإننا نقف أمام أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء، وندع عملية المقارنة بعد تتبعنا لبعضٍ من جوانب العظمة فى كلامه صلي الله عليه وسلم، ولنختر من ذلك أصح كتب الحديث بعد كتاب الله وهو صحيح البخارى لنستجلى ونستوضح منه ما جاء فيه من مشاكلة، وهذه هى مواضع المشاكلة فى صحيح البخارى.

١- المشاكلة في إطلاق الملل على انقطاع فضل الله سبحانه:

وقد جاء ذلك فى ثلاثة مواضع فى الصحيح، فتحت باب: (أحب الدين إلي الله أدومه)، يسوق البخارى حديثًا عن عائشة أن النبى صلي الله عليه وسلم دخل عليها وعندها امرأة قال: من هذه؟ قالت: فلانةٌ ـــ تَذْكر من صلاتها ـــ قال: مَهْ، عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله

حتي تملوا، وكان أحب الدين إليه ما دام عليه صاحبه)[1].

وفى باب (ما يكره من التشديد فى العبادة) روايةٌ مشابهةٌ، ونصها عن عائشة رضى الله عنها قالت كانت عندى امرأة من بنى أسد، فدخل عليّ رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال من هذه؟ قلت: فلانة لا تنام بالليل، فذُكر من صلاتها، فقال: مه، عليكم ما تطيقون من الأعمال، فإن الله لا يمل حتي تملوا)[2].

وتحت باب (الجلوس علي الحصر ونحوه) عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلي الله عليه وسلم كان يحتجز حصيرًا بالليل فيصلى ويبسطه بالنهار، فيجلس عليه، فجعل الناس يثوبون إلي النبى صلي الله عليه وسلم فيصلون بصلاته، حتي كثروا، فأقبل فقال: (يا أيها الناس خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتي تملوا، وإن أحب الأعمال إلي الله ما دام وإن قل)[3].

ففى هذه الروايات نسبةُ الملل إلي الله سبحانه، ومعناه: (إن الله لا يقطع عنكم فضله حتي تملوا عن مسألته)، فوضع (لا يمل) موضع: (لا

---

(1) صحيح البخاري، ١ /٦٧

(2) نفس المصدر، ١ /٢٠١

(3) سبق تخريجه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يقطع الثواب) علي جهة المشاكلة)[1].. هذا وقد عدد الشريف المرتضي لوصفه عليه السلام الله بالملل وجوهًا أربعة، ذكر فى الوجه الثالث منها: «أن يكون المعني أنه تعالي لا يقطع عنكم فضله وإحسانه حتي تملوا من سؤاله، ففعْلهم ملل علي الحقيقة، وسمي فعله تعالي مللًا، وليس بملل علي الحقيقة، للازدواج ومشاكلة اللفظين فى الصورة، وإن اختلفًا فى المعني، ومثل هذا قوله تعالي: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ﴾[البقرة: ١٩٤]، ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ﴾[الشوري: ٤٠].. ومثله قول الشاعر وهو عمرو بن كلثوم التغلبى:

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا

فتجهل فوق جهل الجاهلينا

وإنما أراد المجازاة علي الجهل، لأن العاقل لا يفخر بالجهل ولا يتمدح به»[2].

فذكر (الملل) فى معني انقطاع فضله سبحانه، مشاكلة لوقوعها فى صحبة انقطاع العبد عن اتصاله بالله جل وعلا، وهذا وإن كان من قبيل التفسير بلازم المعني إلا أنه لا يمنع من أن يتصف سبحانه بذلك علي وجه يليق بجلاله وعلي خلاف ما يقع من المخلوقين، وقل مثل هذا

---

(١) ينظر خزانة الأدب لابن حجة الحموي ص٣٥٥

(٢) الآمالي للشريف المرتضى٥٦ ،١٠ /٥٧

فى اتصافه تعالي بـ (الإعراض والإيواء والحياء والغيرة) إلي يخر ذلك مما سيأتى ذكره.

٢- إطلاق صفة الإعراض على الجزاء مشاكلة:

فقد جاء فى صحيح البخارى تحت باب: (من قعد حيث ينتهى به المجلس ومن رأي فرجة فى الحلقة فجلس فيها)، حديث روي عن أبى واقد الليثى أن رسول الله صلي الله عليه وسلم بينما هو جالس فى المسجد والناس معه، إذْ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم وذهب واحد.. قال: فوقفنا علي رسول الله فأما أحدهما فرأي فرجة فى الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفه، فأما الثالث فأدبر ذاهبًا فلما فرغ رسول الله صلي الله عليه وسلم قال:

(ألا أخبركم عن النفر الثلاثة، أما أحدهم فأوي إلي الله فآواه الله وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه)[1].

فإطلاق صفة الإعراض إنما يعني فى حقه سبحانه: انقطاع رحمته عمن استحق ذلك بالابتعاد عن مواطن نزول هذه الرحمات وأماكن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم باب ٨ وكتاب الصلاة باب ٨٤ ومسلم في كتاب السلام ٢٦١، والترمذي في كتاب الاستئذان باب ٣٩ والموطأ في كتاب السلام ٤ والمسند . ٢١٩/٥ صحيح البخاري ١ /٢٣

تنزل السكينة والطمأنينة والخير، فقد جاء فى الحديث: (ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتابه ويتدارسونه فيما بينهم، إلا حفتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وصلت عليهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده)[1]، فإعراض العبد عن هذه الأماكن وعن خيرها لا يقابل من الله سبحانه إلا بمثل ذلك، بانقطاع هذا الفضل الذى لا يؤتيه سبحانه إلا لمن يستحقه وذلك قوله صلي الله عليه وسلم: (أما أحدهم فآوي إلي الله فآواه الله)، وفى ذلك مشاكلة أيضًا مثل سابقتها، ولكنها علي العكس من ذلك تمامًا.

وعلي أى فإطلاق الإيواء، وهو بمعني: نزول الرحمة واستحقاق الساعى إليها، علي الله سبحانه، مشاكلة.. لأنها وقعت فى مقابلة إيواء العبد واستمراره علي عهده بربه وصلته بخالقه، والعكس بالعكس فإن إطلاق الإعراض علي انقطاع رحمته، إنما هو فى حقه أيضًا مشاكلة لوقوعها فى صحبة إعراض العبد، ومثل ذلك يقال فى حق من قال فى شأنه صلي الله عليه وسلم (وأما الآخر فاستحيا الله منه)، وفى ذلك نفصل القول ونقول: إن

---

(1) (رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء حديث ٣٧، ٣٨وأبو داود في كتاب الوتر باب ١٤ والترمذي في كتاب القرآن باب ١٠وابن ماجة في المقدمة باب ١٧وأحمد في المسند ٢٥٢، ٤٠٧/٢.

٣- إثبات صفة الحياء في حقه سبحانه مشاكلة:

جاء فى حديث أبى واقد الليثى سالف الذكر الذى فيه قوله صلي الله عليه وسلم: (أما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه)، جاء إطلاق صفة الحياء فى حق المولي سبحانه علي طريق المشاكلة.. كما جاء فى حديث أم سلمة أم المؤمنين رضى الله عنها مع صاحبتها أم سليم امرأة أبى طلحة حين جاءت تسأل رسول الله صلي الله عليه وسلم عند احتلامها وكيفية الاغتسال منه، وقد جاء هذا الأخير فى صحيح البخارى بخمس روايات أولاها تحت باب (الحياء فى العلم) وفيه:

(عن أم سلمة قالت: جاءت أم سليم إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن الله لا يستحيى من الحق فهل علي المرأة من غسل إذا احتلمت؟: قال النبى صلي الله عليه وسلم: إذا رأت الماء، فغطت أم سلمة -يعنى: وجهها منه- وقالت يا رسول الله: وتحتلم المرأة؟ قال: نعم، ترتبت يمينك، فبم يشبهها ولدها)[1].

أما الرواية الثانية فهى تحت باب «إذا احتلمت المرأة» وفيها.. (وقالت يا رسول الله فهل علي المرأة من غسل إذا هى احتلمت؟ فقال

---

(١) صحيح البخاري١ /٣٧ .. أخرجه البخاري باب العلم ٥٠ وباب الأنبياء باب ١ وباب الأدب ٦٨، ٦٩ ومسلم باب الحيض٣٢ ، ٣٣ والنسائي باب الطهارة باب ٣١ وابن ماجة باب الطهارة باب ١٠٧ والمسند٩٢، ٢٩٢، ٣٠٢، ٣٠٦، ٤٠٩/٦ .

رسول الله صلي الله عليه وسلم: نعم إذا رأت الماء)[1].

والثالثة فى باب «قول الله تعالي: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ وفيها: (عن أم سلمة أن أم سليم قالت: يا رسول الله، إن الله لا يستحيى من الحق، فهل علي المرأة الغسل إذا احتلمت، قال نعم، إذا رأت الماء)، فضحكت أم سلمة وقالت: تحتلم المرأة؟ فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم (فيما يشبه الولد)[2].

أما الرواية الرابعة فهى ما جاء فى باب (التبسم والضحك)، وفيها قول أم سلمة: (يا رسول الله إن الله لا يستحيى من الحق.. إلي أن قالت أم المؤمنين أم سلمة: أتحتلم المرأة؟ فقال النبى صلي الله عليه وسلم فيم شَبَهُ الولد)[3].

ونص الرواية الخامسة وهى فى باب (ما لا يستحيى من الحق للتفقه فى الدين) وفيها عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: جاءت أم سليم إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقالت: (يا رسول الله، إن الله لا يستحيى من الحق، فهل علي المرأة غسل إذا احتلمت؟ فقال نعم إذا رأت الماء).

---

(1) نفس المرجع، ١ /٦١

(2) صحيح البخاري، ٢ /٢٢٨

(3) نفس المرجع، ٤ /٦٤

وقد ذهب المفسرون فى ذلك مذاهب شتي من ذلك ما حكاه ابن جرير الطبرى عن بعض اللغويين أن الاستحياء والخشية ينوب كل واحد عن الآخر، وفى ذلك نظر، والصواب: إثبات الصفة لله علي الوجه الذى يليق به، علي أن تفسير الحياء بالخشية وإن قال به بعض أهل العربية، كالذى يظهر أنه صفة بها الإنسان، ومن لوازم الصفة: الخشية ولا ينبغى أن تفسر الصفة بالخشية[1].

ومجيء الشيء علي سبيل المقابلة وإن لم يكن من جنس ما قوبل به شائع فى لسان العرب، وتفسيره هاهنا أن الحياء: تغير وانكسار يعترى الإنسان من خوف ما يعاب ويذم، وحاشا لله أن ينطبق عليه شيء من ذلك علي أى وجه من الوجوه، وبأى حال من الأحوال، لأن الحياء تغير يلحق البدن، وذلك لا يعقل إلا فى حق البشر، واستعماله فى حق الله سبحانه علي الوجه اللائق به: مشاكلة، لوقوعه فى صحبة اتصاف البشر به، وحاشا لله سبحانه أن يكون حياؤه كحياء خلقه.

يقول الشنقيطى: «من اعتقد أن وصف الله يشابه صفات الخلق فهو مشبِّه ملحد ضال، ومن أثبت لله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله مع تنزيهه جل وعلا عن مشابهة الخلق فهو مؤمن جامع بين الإيمان بصفات الكمال والجلال، والتنزيه عن مشابهة الخلق، سالم من ورطة

(1) ينظر: المفسرون بين الإثبات والتأويل للمغراوي ١ /١٣٥

التشبيه والتعطيل، والآية التى أوضح الله بها هذا هى قوله تعالي: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾»[1].

ونخلص من هذا إلي أن هذه الصفة، تثبت لله سبحانه علي النحو الذى يليق به جل وعلا، وهى مع ذلك قد جاءت علي وجه المقابلة، ومجيء الشيء علي سبيل المقابلة وإن لم يكن من جنس ما قوبل به، هو ما يطلق عليه المشاكلة، إذ هى من قبيل ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته.

وكما سبق أن قلنا: إن ما يقال فى صفة مشتركة بين الخالق والمخلوق، فإن كلًا يكون بحسبه وبحب ما أضيف إليه، وعليه فما قيل هنا فى الحياء، يقال مثله فى سائر أحاديث الصفات التى جاءت عنه صلي الله عليه وسلم فى شأن الصفات التى أثبتها الله لنفسه وأثبتها له رسوله، علي نحوٍ يليق بجلاله وعظمته من غير تكييف ولا تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تأويل.

---

(1) الشورى آية ١١ :ينظر: أضواء البيان للشنقيطي٢٧٢ ،٢٠ /٢٧٣

٤- إطلاق اسم الشجرة على النخلة مشاكلة:

وفى حديث ابن عمر وهو فى الصحيح، استعمال اسم الشجرة علي النخلة علي سبيل المشاكلة.. ونص الحديث كما رواه ابن عمر إن رسول الله قال: (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم فحدثونى ما هى؟)، فوقع الناس فى شجر البوادى، قال عبد الله: ووقع فى نفسى أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا، حدِّثنا ما هى يا رسول الله، قال: (هى النخلة)[1].

ففى ذكر الشجرة وإطلاقها علي النخلة مشاكلة، إذ عبر عنها بغير لفظها لوقوعها فى صحبة ما استعمل فيه اللفظ، من كونه واقعًا فى البوادى وله أوراق وسيقان ويُسقي بماء واحد وله ثمار كالأشجار.. وعليه ففى استعمال اللفظ بلفظ غيره هنا مشاكلة.

٥- إطلاق اسم العقوبة على الجزاء مشاكلة:

وقد جاء ذلك فى صحيح البخارى فى باب (قصاص المظلوم إذا وجد مال ظالمه)، وقال ابن سيرين يُقَاصُّه وقرأ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا

(١) أخرجه البخاري باب العلم٤ ،٥ ،١٥ ، ٥٠ بيوع باب٥٤ ، تفسير سورة ١٤ وباب الأطعمة ٤٢ وباب الأدب ٨٩ والبخاري والمنافقين٦١ ،٦٢ ، ٦٤ والترمذي باب الأدب٧٩ ، ٨٩ المسند١٢ ،٣١ ،٦١ ،٩١ ،١١٥ ،١٢٣ ،١٥٧/٢ ، ومواضع أخرى.

بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾[النحل: ١٢٦][1].. «كما جاء تحت باب بيعة النساء (عن أبى إدريس الخولانى أنه سمع عبادة بن الصامت يقول: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا فى معروف، فمن وفى منكم فأجره علي الله، ومن أصاب عن ذلك شيئًا فعوقب فى الدنيا فهو كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله، فأمره إلي الله، إن شاء الله عاقبه وإن شاء عفا عنه، فبايعناه علي ذلك)[2].

ففى قوله صلي الله عليه وسلم فعوقب فى الدنيا، وقوله: إن شاء عاقبه، وفى قوله سبحانه ﴿عَاقَبْتُمْ﴾ و﴿فَعَاقِبُوا۟﴾ استعمال للفظ (العقاب) علي (الجزاء)، فهو ذكر للفظ بغير لفظه لوقوعه فى صحبة ما ارتكب العبد فى حق نفسه أو غيره بما يستحق عليه العقاب، وفى ذلك مشاكلة لكونه ذكرٌ للفظ بغير لفظه لوقوعه فى الصحبة.

---

(١) صحيح البخاري ٢ /١٦٩

(٢) صحيح البخاري٤ /٢٤٧ .. أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٤٣ وباب الإيمان ١١٨ وكتاب الأحكام باب ٤٩ وكتاب الأحكام باب ٤٩ وكتاب الحدود باب ١٤ وكتاب التوحيد ٣١، وأخرجه النسائي بيعة النساء باب٩ ،١٧ ، ١٨ والدارمي باب السير ١٦ والمسند ٥/٣٢٣ – والموطأ بيعة٣

٦- إطلاق الغيرة في حقه سبحانه مشاكلة:

والغيرة فى الأصل مأخوذة من تغير القلب وهيمان الغضب بسبب المشاركة فيما به الاختصاص، وذلك علي الله حال إذ لا يجوز ذلك فى حقه سبحانه، وقد جاء نسبة هذه الصفة إلي الله سبحانه خمس مرات فى صحيح البخارى، ثلاث روايات جاءت تحت باب (الغيرة) وهى ما روي عن المغيرة قال: قال سعد بن عبادة: لو رأيت رجلًا مع امرأتى لضربته بالسيف غير مصفح، فقال النبى صلي الله عليه وسلم (أتعجبون من غيرة سعد؟ لأنا أغير منه، والله أغير منى..)[١]، وما جاء عن أسماء أنها سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: (لا شيء أغير من الله)، وحديث أبى سلمة أنه سمع آبا هريرة عن النبى صلي الله عليه وسلم أنه قال: (الله يغار، وغيرة الله أن يأتى المؤمن ما حرم الله»[٢].

والحديث الرابع جاء تحت باب (من رأي مع امرأته رجلًا فقتله) وهو مروى عن المغيرة أيضًا، قال: وذكر نحوًا مما جاء فى الرواية الأولي[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح باب ١٠٧وكتاب الحدود باب ٤٠وكتاب التوحيد باب ٢٠، و مسلم في باب اللعان ١٦، ١٧والدارمي في باب النكاح ٣٧والمسند ٢٤٨/٢.

(٢) صحيح البخاري٣ /٢٦٤

(٣) صحيح البخاري٤ /١٨٣

أما الرواية الخامسة والأخيرة فهى داخلة فى الصحيح تحت باب (قول النبى صلي الله عليه وسلم لا شخص أغير من الله)، وهو مروى كذلك عن المغيرة قال: (قال سعد بن عبادة: لو رأيت رجلًا مع امرأتى لضربته بالسيف غير مصفح، فبلغ ذلك رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال: تعجبون من غيرة سعد؟ والله لأنا أغير منه والله أغير منى، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرين المنذرين، ولا أحد أحب إليه المدحة من الله ومن أجل ذلك وعد الله الجنة)[1].

فذِكرُه صلي الله عليه وسلم الغَيرة واستعمالها فى حقه سبحانه، فى مقابلة غيرة سعد أو غيرته صلي الله عليه وسلم مشاكلة ومقابلة، إذ إن الغيرة فى حقه سبحانه غيرُها فى حق البشر، وإطلاقها فى حقه سبحانه إنما كان من قبيل وقوعه فى صحبة من تتأتي منه صفة الغيرة حقيقة مع ذكرها لفظًا، فمعناها فى حق البشر: تغير القلب وهيمان الغضب، بينما هى فى حق المولي سبحانه يُقصد بها كما جاء فى بعض روايات الحديث: تحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وإنما جىء بها كذلك علي سبيل المقابلة والمشاكلة.

---

(1) سبق تخريجه.

٧- إطلاق النَّفْس على الله سبحانه مشاكلة:

جاء ذلك فى صحيح البخارى فى باب (ما يذكر فى الذات والسموات وأسامى الله) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: يقول الله تعالي: (أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه إذا ذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى)[١].

«وإطلاق النَّفْس علي ذاته تعالي لا يصح إلا للمشاكلة، لوقوعه فى صحبة من النَّفْس حقيقة مع ذكره لفظًا، وهذا بناء علي أن النفس موضوعة بالحيوان أو بالحادث الحى مطلقًا، ويدل عليه قوله تعالي: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[آل عمران: ١٨٥][٢].

ويقول السبكى: «ويمكن أن يقال: النفس إن أطلقت علي الذات فى حق غير الله تعالي فلا تطلق فى حقه، لما فيه من إيهام معناها الذى لا يليق بغير المخلوق، فلذلك احتيج إلي المشاكلة، وقيل لابد من الإقرار بالمشاكلة، لأن ما فى النفس إن أريد به المضمرات فلا مطابقة من جهة الله تعالي فوجب المشاكلة، وإن أريد بهما الحقيقة والذات

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ينظر: مواهب الفتاح للمغربي٣١١ ، ٤ /٣١٢ من شروح التلخيص.

فالمشاكلة من حيث إدخاله فى الظرفية»[1].

وأيًا ما كان الأمر فحديث: (إن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى) وإن عُدَّ من قبيل المشاكلة لذكر صفة النفس فى حق الله سبحانه وإطلاقها ووقوعها فى صحبة من له النفْس من المخلوقين، إلا أن ذلك لا يمنع من اتصافه تعالي علي الحقيقة بما وصف به نفسه، وعليه فلا مجال للقول بأن نفسه تعالي وقعت فى صحبة من له النفس حقيقة لأن نفسه تعالي هى الأخري جاء علي سبيل الحقيقة اللائقة بجلاله وعظمته، ويساعد علي هذا أمثال قوله تعالي ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨، ٣٠]، حيث «يرجح – هذا النظم الكريم – جواز إطلاق هذه الصفة علي الله علي الإفراد وبدون مشاكلة، لعدم وجود الصحبة الذِّكرية أو التقديرية فى هذه الآية وأمثالها، كقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[الأنعام: ٥٤]، والمهم فى ذلك كله جواز أن تثبت هذه الصفة فى حق المولي سبحانه علي الوجه الذى يليق به جل وعلا.

---

(1) عروس الأفراح للسبكي ٤ /٣١٢ من شروح التلخيص.

٨- إطلاق صفات القرب والذكر وحب اللقاء وكراهيته في حقه سبحانه مشاكلة:

هذا وقد جاء فى باقى الحديث سالف الذكر ونصه: (أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه، وإن تقرب إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إلى ذراعًا تقربت إليه باعًا وإن أتانى يمشى أتيته هرولة)[١].

وكذا ما جاء فى الصحيح تحت باب «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه» من حديث (عبادة بن الصامت عن النبى صلي الله عليه وسلم قال: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه.. قالت عائشة أو بعض أزواجه إنا لنكره الموت، قال: ليس ذاك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضره الموت بُشِّر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، كره لقاء الله وكره الله لقاءه)[٢].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح البخاري.٤ /١٣٠ . أخرجه البخاري في باب الرقائق ٤١ ومسلم باب الذكر ١٤ ـــــ ١٨والترمذي باب الزهد٦ ، والنسائي باب الجنائز ١٠ وابن ماجة باب الزهد ٣١ والدارمي باب الرقائق باب ٤٣ والمسند٢/ ٤٢٠، ١٠٧/٣، ٢٥٩/٤، ٣١٦، ٣٢١/٥ .

ففى إطلاقات القرب والذكر وحب اللقاء وكراهته إنما جاء فى حق المولي سبحانه لأجل المقابلة والمشاكلة مع ما لذلك فى حق العباد، وإنما جاءت جميعها علي سبيل المجازاة، يقول المرتضي فى بيان ذلك أن تأويل الحديث «ظاهر.. وهو خارج علي مذهب للعرب فى مثل هذا الباب معروف، ومعناه أن من ذكرنى فى نفسه جازيته علي ذكره لى، وإذا تقرب إلىّ شبرًا جازيته علي تقربه إلى، وكذلك الخبر إلي آخره فسمي المجازاة علي الشىء باسمه اتساعًا كما قال تعالي ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشوري: ٤٠]، ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠]، و﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾[البقرة: ١٥] وكما قال الشاعر:

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ونظائر هذا كثير فى كلام العرب، ولما أراد الله تعالي المبالغة فى وصف ما يفعله به من الثواب والمجازة علي تقربه بالكثرة والزيادة، كنَّي عن ذلك بذكر المسافة المتضاعفة فقال: باعًا وذراعًا، إشارة إلي المعني من أبلغ الوجوه وأحسنها»[1].

وهكذا نجد أسلوب المشاكلة فى أحاديثه صلي الله عليه وسلم قد جاءت علي غرار ما تكلم العرب دون ما قصد إليه، بل إنها كانت

---

(1) الآمالي للشريف المرتضى.١ /٣٢٧

تجرى علي لسانه صلوات الله وسلامه عليه علي نحو ما اعتاد القوم وبأسلوب سلس عذب، وإن كان يلاحظ أن أسلوب المشاكلة فى كلامه صلي الله عليه وسلم كثير، ولعل السبب يرجع إلي أنه عليه السلام يريد أن يوضح ويفصِّل ما أمره الله به ليقيم الحجة وينير الطريق لأمته.

ويدعونا ما سبق، لأن نذكر جوانب الحسن فى المشاكلة من أشعار العرب والمتأخرين حتي نقف علي الفروق الجوهرية فى الأساليب المتنوعة لفن المشاكلة، وذلك بعد أن تسوق جانبًا من المشاكلة عند المتنبى باعتباره ممثلًا لبداية القرن الرابع الهجرى وباعتباره من أشهر الشعراء المجيدين للشعر والضاربين فيه بسهم وافر.

ثالثًا :المشاكلة في العصر العباسي (المتنبي ت٣٥٤) نموذجًا:

والمتنبى أحد الشعراء المجيدين من شعراء العصر العباسى الثانى- ٣٣٤: ٦٥٦هـ- المجيدين والذى يعد بحق أقل شعراء هذا العصر تكلفًا وأكثرهم بعدًا عن الصنعة اللفظية، قصد إلي المشاكلة قصدًا، وجاءت المشاكلة فى شعره وفيها شىء من التعمد علي الرغم من قلتها عنده إلي حد ما.. وإنما القصد من الاستشهاد بمواطن المشاكلة فى شعره هو أن نقارن بين هذه الفترة التى عاشها وبين غيرها من الفترات

الأخري السابقة عليها لنبحث ولندرک أوجه الاتفاق والاختلاف بين هذه الأساليب من المشاكلة وكيف تم تطورها من ناحية الاستخدام البيانى والفنى.

وقبل أن نسوق للمتنبى شواهد، فى المشاكلة، فإن ثمة أمر تجدر الإشارة إليه وهو أنى قد عمدت إلي قدر معين من ديوانه تناسب الكم الذى يبلغه شعر المعلقات، فاخترت من ديوانه ما يقرب من الستمائة بيت وذلک لتحسن عملية التوازن ثم المقارنة، ولنحاول أن نقف بدقة علي معرفة الفروق الجوهرية بين أساليب المشاكلة فى العصر العباسى وما قبله لمعرفة مدي تأثرها من الناحية العملية والتطبيقية بما قبلها وتأثيرها فيما بعد وها هى ذى شواهده فى المشاكلة:-

(١) يقول المتنبى:

(لتعلم مصر ومن بالعراق

ومن بالعواصم أنى الفتي

وأنى وفيت وأنى أبيت

وأنى عتوت علي من عتا [1])

وهذان البيتان جاءا ضمن قصيدة غرضها التهديد والإنذار والوعيد لعضد الدولة، وفيها نقف أمام نفحة من نفحات الصدق، وصورة من

([1]) ديوان المتنبي ١ /٤١ ط دار صادر بيروت.

قوة العزيمة وكرم العنصر وعزة نفس، صورة تتميز فى ألفاظها بحيث لا تقبل لأحد أن يجعلها تهتز أمامه أو تضعف، فهنا مجازاة من المتنبى علي أعدائه عامة، وعلي عضد الدولة بصفة خاصة، وقوله: (عتوتُ علي من عتا)، أى: عاقبته وجازيته فاستعمل ذلك فى العتو لوقوعه فى صحبة ما فُعل به من عتو وقسوة أيضًا، وذلك عن طريق المشاكلة حيث «أرغَم أبو الطيب أنوف أعدائه جميعًا وأراهم أن عزمه لا يزال باغيًا متقحمًا لا يُرَدُّ علي بعد الشقة وتطاول الأيام»[1].

(٢) وعندما خرج المتنبى من اللاذقية قاصدًا حلب، لم يبق بها طويلًا وقصد أنطاكية حين نزلها المغيث بن على بن بشر العجلى فمدحه، وكان ضمن ما قاله:

لما أقمت بأنطاكية اختلفت

إليّ بالخبر الركبان فى حلبا

فسرت نحوك لا ألوي علي أحد

أحث راحلتى: الفقر والأدباء

أذاقنى زَمَنى بلوي شرقتُ بها

لو ذاقهَا لبكي ما عاشَ وانتحبا[2]

فقد ذكر الراحلة واستعملها فى غير ما وضعت له حيث أسندها

---

(١) المتنبي) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا (محمود محمد شاكر ص٣٧٤

(٢) ينظر: ديوان المتنبي بشرح العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان ط الحلبي ص٩٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والفعل (أحثُّ)إلي الفقر والأدب، وهو ما لا يمكن أن يقع ذلك منه، وإنما ساغ ذلك عنده لوقوعه فى صحبة ما يصح ذلك منه، وهو راحلة المسير التى قصد عليها أنطاكية، ويكشف قوله بعدها: (والبر أوسع لى) عن سر «تقلقله بين بلاد كثيرة فى فترة وجيزة، فإنه كان يريد أن ينال نيلًا عظيمًا بكثرة التجوال، حتي إذا ما جمع ما يريد، استطاع أن يفعل ما قال وما أنذر بقوله: (والدنيا لمن غلبًا)»[1].

(٣) وفى قول المتنبى يمدح نفسه:

فسرت إليك فى طلب المعالى

وسار سواى فى طلب المعاش[2].

أيضًا مشاكلة من نوع تلبس الفعل بالجار والمجرور الذى لا يصح أن يتلبس به لوقوعه فى صحبة ما يصح أن يتلبس ذلك الفعل به، فقد أرجع متعلق الجار والمجرور إلي الفعل «سرت» رغم أن هذا الجار والمجرور مما لا يصح أن يتلبس به، ولكن صح منه ذلك لوقوعه فيما يصح أن يتلبس به نفس الفعل، وذلك فى قوله: (وسار سواى فى طلب المعاش)، والبيت قال فى معرض الحديث عن أبى العشائر على بن الحسن بن حمدان يمدحه ويقول له: «سرت لأخدمك وأكسب

(١) المتنبي محمود محمد شاكر.٢٥٥

(٢) ينظر: ديوان المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان ط الحلبي ص.٢٤٥

بخدمتى لک المعالى، وسواى سار إليک يطلب المعيشة بما تعطيه»[1].

(٤) ويقول فى قصيدة له أخري:

(يا أعدل الناس إلا فى معاملتى

فيک الخصام وأنت الخصم والحكم

أعيذها نظرات منک صادقة

أن تحسب الشح فيمن شحمه ورم[2]

فإطلاق لفظ الشحم علي الورم لوقوعه فى صحبة الشحم الحقيقى، وهو الدهن المتراكم علي الجسم مشاكلة، وقد قصد المتنبى بهذين البيتين وغيرهما أبا فراس الحمدانى، فلما علم الأخير أنه يعنيه قال: (ومن أنت يا دعى كِندةَ حتي تأخذ أعراض أهل الأمير فى مجلسه؟)، فاستمر المتنبى فى إنشاده ولم يرد عليه.

(٥) ومن شواهد المشاكلة عند المتنبى قوله يمدح الفضل بن العميد:

(من مبلغ الأعراب أنى بعدما

شاهدت رسطاليس والاسكندرا

ومللت نحر عشارها فأضافنى

ومن ينحر البدر النضار لمن قري [3]

---

(1) ديوان المتنبي ط دار صادر بيروت.٢ /٢١٦

(2) ديوان المتنبي ط الحلبي ص.٣٣٢

(3) ديوان المتنبي ص ٥٢٥ط الحلبي، والعشار :النياق الوالدات، والبدر جمع بدرة :كيس فيه ألف أو

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فالبدر النضار لا ينحر بخلاف العشار، فنحر العشار حقيقة، أما نحر البدر (جمع بدرة) – وهو الكيس فيه كم معين من الأموال – فليس من الحقيقة فى شىء، لأن بدرة النضار يعطيها الممدوح لقصّاده ولا ينحرها ولا يذبحها، فالمعني هنا مُعَبَّرٌ عنه بغير لفظه لوقوعه فى صحبة ذاك اللفظ تحقيقًا، ولما وضع بدر النضار موضع العشار حسن أن تنزل منزلتها، وهذان البيتان من قصيدة وصف فيها المتنبى ابن العميد، وكان من رجال عصره فى السياسة وتدبير الملك، ومن شيوخهم فى العلم والفلسفة وما إليهما، ومن أفذاذ البلغاء والأدباء، يصفه فيها بأرسطاطيس فى حكمته وبالإسكندر فى سعة ملكه[1].

ونقف عند هذا الحد مما جاء من مشاكلة فى أشعار المتنبى، لننظر وجه المقارنة بين تناول الجميع للمشاكلة فى هذه الفترات المتعاقبة وذلك للوقوف علي مظاهر التطور التاريخى لفن المشاكلة من الناحية الفنية والاستخدام البيانى.

والمدقق لهذا يلحظ أن من أهم سمات ملامح المشاكلة فى شعر أصحاب المعلقات فيما سبق أن سقناه لبيتى لبيد وعمرو بن كلثوم، أن المشاكلة جاءت فى أشعارهم من فيض الفطرة ووحى السليقة، جاءت

عشرة آلاف دينار.

(1) ينظر: ديوان المتنبي ص٥٢٥ط الحلبي ودراسات في علم البديع ص١١٥.

فى أشعارهم من غير أن يعمدوا إليها متكلفين، ومن غير أن يعرفوا لها اسمًا سوي أنها من ألوان كلامهم الذى به يؤدون أغراضهم، وذلك ما عبر عنه ابن رشيق بقوله: «والعرب لا تنظر فى أعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق أو تقابل، فتترك لفظة للفظة أو معني لمعني كما يفعل المحدثون، ولكن نظرها فى فصاحة الكلام وجزالته وبسط المعني وإبرازه وإتقان بنية الشعر، وإحكام عقد القوافى وتلاحم الكلام بعضه ببعض»[1].. ويقول الجرجانى:

«وكانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء فى الجودة والحسن بشرف المعني وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، وتُسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب وشبَّه فقارب، ولم تعبأ بالتجنيس والمطابقة ولا تحفل بالإبداع والاستعارة، إذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض، وقد كان يقع ذلك من خلال قصائدها ويتفق لها فى البيت بعد البيت علي غير تعمد وقصد»[2].

وهذا ما نلحظه جيدًا فيما استشهدنا به من مشاكلة، فقد لوحظ أن لبيد وعمرو بن كلثوم- وهكذا جميع شعراء الجاهلية- كانوا يحرصون علي المعني قبل أن يحرصوا علي الصياغة، وكل ما يهمهم ويعنيهم،

---

(1) العمدة لابن رشيق١ /١٠٨

(2) الوساطة لعبد العزيز الجرجاني ص٣٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

إنما هو بسطه وإبرازه فى قوة وجلاء وظهور ورضوخ، مطابقًا للواقع مجانبًا للمبالغة والغلو والإغراق الذى يُخرجه عن معروف عقولهم، ويبعده عن مألوف طباعهم من حب الصراحة وإيلاف الصدق فى تصوير الأشياء علي ما هى عليه لا يزيدون ولا ينقصون، مستمدًا عناصره الخيالية من الصحراء وما فيها- كما فى بيت لبيد حيث فروع الأيهقان والظباء والنعام- مصورًا للحقيقة معتمدًا علي الحس أكثر من غيره ومعبرًا عن عاداتهم وحبهم للأنفة وإظهار الشجاعة، التى يبالغ فيها أحيانًا فيتجاوز العدل ويتناسي الفضل، ويرد فيها الظلم بمثله وبما هو فوق المثل، متجاوزًا فيه صاحبه تحرى المماثلة والعدالة علي ما تقتضيه طبائعهم علي نحو ما أفضنا فيه القول.. ولك أن تستشعر هذه المعانى وأنت تتأمل قوله:

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فإذا ما قارنا ذلك بشعر المتنبى وما سقناه له، فإننا نفتقد فيه كل هذه المعانى فنجد فى شعره أثر الصنعة وذلك أمر طبيعى بعد أن جاء العصر العباسى الأول وظهر فيه من شعراء البديع قبل المتنبى: بشار بن برد، ومسلم بن الوليد، وأبو تمام، وابن الرومى، والبحترى وعبد الله بن المعتز، وقد تنبهت الأذهان إلي ما فى شعرهم من طرائف الصنعة

البديعية، واندفع فيها بعضهم إلي درجة الإفراط كأبى تمام، ووقف فيها بعضهم عند حد القصد كالبحترى وابن المعتز.

إن ما ذهب إليه المتنبى من الإتيان والقصد إلي المشاكلة أمر طبيعى بعد أن بدأت ملامح المشاكلة تظهر فى كتابات من سبقه كالفراء سنة ٢١٠هـ والذى بدأت فكرة المشاكلة تظهر علي يديه فى كتابه (معانى القرآن) بقوله: «فلا يكون القصاص ظلمًا وإنما كان لفظه واحدًا»[١]، وبعد أن حشد لذلك من الأمثلة ما يجلِّى ويوضِّح من خلاله مفهوم المشاكلة، ليأتى بعده الجاحظ سنة ٢٥٥هـ ويتحدث عن البديع ويريد به الجديد الطريف من هذه الصور والتعبيرات البلاغية، ثم ابن قتيبة سنة ٢٧٦هـ يعرض للمشاكلة علي أنها واحدة من علاقات الاستعارة، ثم يأتى المبرد سنة ٢٨٥هـ فى كتابه (ما اتفق لفظه واختلف معناه)، ويسمِّي ذلك: (مزجًا أو تزاوجًا)، ثم ابن المعتز ت ٢٦٦هـ الذى بدأ يفصِّل القول فى البديع من خلال كتابه الذى أسماه بذلك، وتحدث فيه ضمن ما تحدث عن التجنيس وأفاض فيه.

وإذا ما قارنا كل ذلك بما جاء فى كلام أفصح العرب صلي الله عليه وسلم نجد أن المشاكلة فى كلامه جاءت بمثل ما نطق به العرب، أى: كان لبسط المعني وإظهاره دون قصد إليه.. ولتتأمل ذلك فى قوله

---

(١) معاني القرآن للفراء ١ /١١٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

صلوات الله وسلامه عليه: (إن الله لا يمل حتي تملوا)[1]. وقوله عن النفر الثلاثة: (أما أحدهم فآوي إلي الله فآواه الله، وأما الأخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه)[2].

كما تجد عنده الحرص علي المعني دون الصياغة أيضًا فى أمثال قوله صلي الله عليه وسلم: (أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم وإن تقرب إلى شبرًا تقربت إليه ذراعًا..)[3].. وقوله (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه)[4]. هذا من ناحية الكيف.

ونظرة تأمل فى وجوه المقارنة بين أساليب المشاكلة هنا، من ناحية الكم، نجد كذلك أن المشاكلة عند العرب كانت قليلة، تكاد تُعدّ علي أصابع اليد، ففيما يقرب من ستمائة بيت هى أبيات المعلقات، بما لها من عظيم المكانة وشرف المنزلة وجليل الفضل لا نجد فيها إلا عدة مواضع من مواضع المشاكلة، فهى قليلة جدًا فى الشعر الجاهلى، ثم كثرت فى القرآن الكريم وكلام الرسول صلي الله عليه وسلم، وهنا

---

(1) سبق تخريجه.

(2) سبق تخريجه.

(3) سبق تخريجه.

(4) سبق تخريجه.

ندرك أن من فنون الكلام فنونًا خالف القرآن والحديث فيها المألوف من كلام الجاهليين، ويمكن إرجاع السبب فى ذلك إلي كثرة الأغراض والمقامات التى جاءت فيها المشاكلة فى القرآن والسنة، فنجد قدرًا عظيمًا منها قد جاء فى ذكر صفات ذى الجلال سبحانه ﴿وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾عَزَلْتَ. إلخ.

وهذا مقام جديد لم يألفه الجاهليين، ومنها كثير قد جاء فى القصاص مثلًا، ليعدِّل من طبائعهم، ويقوِّم من سلوكهم، وهذا مقام وإن كان غير جديد علي الجاهليين إلا أنه جديد فيما يتعلق بالتحرى وعدم الظلم علي ما سيأتى.

ومن هذه الأغراض التى جاءت المشاكلة فى البيان النبوى لتضفى عليها نوعًا من التوضيح ومسحة من تقريب المعانى للأذهان: ما جاء فى أحاديث النبى صلي الله عليه وسلم لبيان اتساع فضل الله علي عباده، وعدم انقطاع رحمته عنهم (إن الله لا يمل حتي تملوا).. واستظهار غيرة الله سبحانه وبيان معناها وأن الله يغار، وغيرة الله أن يأتى المؤمن ما حرم الله.

ومن ذلك: فتح باب الأمل وحث المؤمن علي اتصاله بالله وثقته بما عنده علي نحو ما جاء فى حديث: (إن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى

نفسى.. إلخ).. كل هذه المقامات والأغراض لابد أن تتضح معالمها وتظهر ملامحها وتبسط معانيها وتبرز صورها، ولا يكون ذلك إلا عن طريق المشاكلة، ومن هنا كانت كثيرة فى كلامه صلي الله عليه وسلم ومتعددة ومتنوعة.

فإذا جاوزنا ذلك إلي ما ولى عصر النبوة فى القرون الأولي للهجرة، وتحديدًا فى القرنين الثالث والرابع، ألفينا الشعراء يمشون متوسعين فى هذه الأصباغ لا يتجاوزون مقدار ما يوصلهم إلي محاكاة السابقين فى الظرف والتسامح.

وعلي الرغم مما شاب المتنبى – علي سبيل المثال – من بعض تكلف فى تناوله المشاكلة كما فى قوله: (من ينحر البدر النضار لمن قري) إذ لا معني أن ينسب (النحر) إلي (البدر النضار)، وليس ثمة علاقة قوية تربط ما سبق بنحر العشار من الإبل.. أقول: علي الرغم من ذلك فقد كان خير شاعر فى القرن الرابع، فلم تسقط شعره الصناعة البديعية التى استخدمها فى شعره- علي ندرتها- بل كان لها علي يديه جانب من الروعة والطرافة لا ينبغى لنا أن نغفله خلافًا لمعاصريه ومن جاءوا بعده، فقد ألفيناهم يتخلفون عنه فى هذه الصناعة، ويسلكون لها طريق التكلف والتصنع بصورة واضحة وبطريقة يشوبها الالتواء والتعقيد والمبالغة حتي أضحت ظاهرة من مظاهر هذا العصر.

نخلص من هذا إلي أن المشاكلة فى كلام عمرو بن كلثوم وغيره من شعراء الجاهلية كانت عادة، وهى أن يسمي الشيء باسم ما يقاربه، ويصاحبه ويشتد اختصاصه وتعلقه به إذا انكشف المعني وأمن الإيهام- بل- وربما غلَّبوا أيضًا اسم أحد الشيئين علي الآخر لقوة التعلق بينهما وشدة الاختصاص فيهما، كقولهم للبعير الذى يحمل المزادة (راوية)، وللمزادة المحمولة علي البعير (راوية)..، وقولهم: (صرعته الكأس واستلبت عقله).. كذا بما يعنى أن لغة العرب تتسع لتسمية الشيء باسم غيره سواء كان ذلك لوقوعه فى صحبته أو للتغليب، وبتعبير آخر للدلالة علي جواز التسمية للجزاء علي الذنب باسمه، ولجواز إطلاق أحد الأمرين علي الآخر للمقارنة فى الاختصاص التام بين هذا وذاك فى كل منهما.

وهكذا نري أنه قد اشتهر عند العرب فى لغتهم أشياء وألوان عديدة- والمشاكلة واحدة منها- وبذا تميزت لغتهم وأصبحت بين لغات الأمم نسيج وحدها وفريدة نوعها.

وبمثل ذلك جاء القرآن والحديث يقول ابن قتيبة: «إن القرآن نزل بألفاظ العرب ومعانيها ومذاهبها فى الإيجاز والاختصار والإطالة والتوكيد والإشارة إلي الشيء وإغماض بعض المعانى حتي لا يظهر

شبكة الألوكة - قسم الكتب

إلا اللّقِن»[1].. ولو كان القرآن كله ظاهرًا مكشوفًا حتي يستوى فى معرفته العالم والجاهل، لبطل التفاضل بين الناس وسقطت المحنة وماتت الخواطر»[2].. ويقول:

«وللعرب المجازات فى الكلام، ومعناها: طرق القول ومآخذه، ففيها الاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير والحذف والتكرار وإلاخفاء والإظهار، والتعريض والإيضاح والكناية والإفصاح[3].

وبكل هذه المذاهب نزل القرآن»[4] وجاءت أحاديثه صلى الله عليه وسلم فما جرى على لسان النبي لا تجد أحدا من أئمة الكلام إلا وقد وجدته يتكلم على مذهب من هذه المذاهب، ولا تجد أحدا من الخطباء والبلغاء إلا وهو يتوخى هذه الطرق في خطبه ورسائله، ولا تجد أحدا من الشعراء المفلقين إلا وهو يقتفي هذه المناهج في شعره، فلما كان التباين فى الصياغة وفنون القول فإن الجميع يسقي من رحيق واحد ويصدر عن مورد واحد، وذلك ما لم يتوفر مع شعراء العصر العباسى علي سبيل المثال، وإن كان يحمد للمتنبى أنه لم يصل إلي درجة الإفراط شأن غيره من شعراء العصر العباسى الأول ولا حتي شعراء العصر

---

(1) اللقن :أي سريع الفهم.

(2) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص٦٢، ص١٦٠

(3) في الأصل :الإيضاح ولعل ما ذكر هو الصواب.

(4) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص٦٢، ص١٦٠

العباسى الثانى من أمثال أبى فراس الحمدانى والصاحب ابن عباد وابن نباتة وأبى العلاء وغيرهم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المبحث الثالث
خصائص ومميزات (المشاكلة)
إبان المراحل التي مرت بها

وبعد أن عرضنا لمراحل تطور المشاكلة نستطيع إن نُجمل ما سبق، وأن نقسم هذه الفترات المتعاقبة التى مرت بها المشاكلة إلي خمس مراحل هى:-

١- مرحلة المشاكلة الفطرية.

٢- مرحلة اختلاط المشاكلة بمسائل البيان وألوان البديع الأخري.

٣- مرحلة تداخل المصطلحات البديعية وبداية فصلها عن مسائل البيان.

٤- مرحلة تداخل المصطلحات البديعية مع ظهور مصطلح (المشاكلة) واعتباره من البديع اللفظى.

٥- مرحلة الاستقرار وإدخال المشاكلة فى المحسنات المعنوية.

المرحلة الأول.. مرحلة المشاكلة الفطرية:

وهى التى كانت تجرى فيها المشاكلة علي ألسنة العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام والتى نزل بها القرآن الكريم وجرت علي لسان نبى الله محمد صلي الله عليه وسلم.. ذلك أن القرآن والسنة جاءا علي السنة العرب وما اعتادوه، وقد كان العرب أهل سليقة جاءت ألوان البديع وفى مقدمتها المشاكلة فى أدبهم، واتفقت لهم اتفاقًا عن

عفو الخاطر وفيض الفطرة ووحى السليقة من غير أن يُعمد إليها، ومن غير أنى يعرفوا لها أسماء سوي أنها من ألوان كلامهم الذى به يؤدون أغراضهم.

ولئن فرق الدين بين الجاهلية والإسلاميين فلقد وحدت بينهما الفطرة السليمة وجمعتها السليقة الصحيحة، وإنهما لم يندفعا إلي القول إلا بباعث من الوجدان الصادق وحافز من الشعور الحقيقى وإملاء من الإحساس النفسى فمهما اختلفت مشارب الجاهلين والإسلاميين، ومنهما تباينوا فى المذهب والطريقة والصياغة وفنون القول، فإنهم جميعًا يصدرون عن مورد واحد ويتقاربون تقاربًا تامًا فى منازع التفكير ومناحى التعبير[1].

يقول ابن رشيق: «والعرب لا تنظر فى أعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق أو تقابل فتترك لفظة للفظة أو معني لمعني كما يفعل المحدثون، ولكن نظرها فى فصاحة الكلام وجزالته، وبسط المعني وإبرازه، وإتقان بنية الشعر وإحكام عقد القوافى وتلاحم الكلام بعضه ببعض»[2].

ذلك أن «من أوضح المميزات التى امتاز بها العرب وامتاز به كلامهم وأحاديث نبيهم صلي الله عليه وسلم، أنهم يحرصون علي

---

(1) ينظر: الصبغ البديعي د .أحمد موسى ص١٥،١٦.

(2) العمدة لابن رشيق ١٠ /١٠٨

المعني قبل أن يحرصوا علي الصياغة وكل ما يهمهم ويعنيهم -كما سبق أن قلنا -إنما هو بسطه وإبرازه فى قوة وجلاء وظهور ووضوح، مطابقًا للواقع، مصورًا للحقيقة معتمدًا علي الحس أكثر من غيره.. فطريًا سمحًا لا أثر فيه للتعقيد ولا للتفكير العميق.. بل إن شعرهم -امتاز بإرساله علي حسب ما اقتضته بلاغتهم الفطرية دون ما تكلف ولا مراعاة لما تستدعيه الصناعة البديعية، فلم يتعمدوا جناسًا ولم يتكلفوا طباقًا، ولم يقصدوا إلي تورية، ولم ينقبوا عن مجاز، ولم يفتشوا عن كتابة وما وقع لهم من ذلك -علي ندرته -فإنما كان عفوًا صفوًا لا أثر فيه لتعمل».[1]

ولعل ما سقناه لعمرو بن كلثوم بن ربيعة ثم ما جاء فى الصحيح من كلام النبى صلي الله عليه وسلم لدليل صدق علي ذلك.

المرحلة الثانية: مرحلة اختلاط المشاكلة بمسائل البيان وألوان البديع الأخرى.

وقد امتدت هذه المرحلة إلي أواخر القرن الثالث، والمتتبع لجهود سيبويه وأبى عبيدة والفراء والجاحظ وابن قتيبة يلحظ ذلك، فسيبويه ت ١٨٠هـ يورد فى ثنايا كتابه كلمات الاتساع أو الاختصار علي سعة الكلام مشيرًا بها إلي المجاز، وهو وإن عدَّ المجاز فيما قابل الحقيقة إلا أنه لم يصرح بذلك، لكن يفيده فحوي كلامه، وبالتأمل فى ضربه

(١) الصبغ البديعي د .أحمد موسى ص٢٢٠

لأمثلة المجاز نراها عنده قد شملت أنواع المجاز كلها كالمجاز العقلى والاستعارة المكنية والاستعارة فى الحرف والمجاز المرسل والتقديم والتأخير والقلب[1].. و(مجاز القران) عند أبى عبيدة ت ٢٠٨هـ لم يَعنِ به أبو عبيدة ما هو قسيم الحقيقة، إنما عني به ما يعبر عن الآية من تأويل وتفسير، وبمعني آخر أراد به طُرق التعبير المختلفة فى القرآن الكريم بما فيها أساليب المجاز علي ما فهمه من كلام سيبويه.

وعلي الرغم من أن الفراء ت ٢١٠هـ هو الذى أطلق علي (المشاكلة) (جزاء) وكان أول من وضع يده علي مدلول المشاكلة، إلا أننا نراه يدخل المشاكلة فى الكناية ففى تأويله لقول الله تعالي ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ﴾[النور: ٤٥] يقول: «وقوله: ﴿كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾لما قال ﴿خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ﴾ فدخل فيهم الناس، كني عنهم فقال: ﴿وَمِنْهُم﴾ لمخالطتهم الناس ثم فسرهم بـ﴿مَن﴾ لما كني عنهم كناية الناس خاصة، وأنت قائل فى الكلام: (منَ هذان المقبلان؟)، لرجل ودابته أو رجل وبعيره فتقول: بمن وبما لاختلاطهما»[2].

ويأتى بعد ذلك الجاحظ ت سنة ٢٥٥هـ ليطلق اسم (البديع) علي

---

(1) ينظر: الكتاب لسيبويه٣٣٥ ،١٠ /٢١١

(2) معاني القرآن للفراء٢ /٢٥٧

بعض الفنون التى صارت فى المراحل التالية تحت علم البديع، كالالتفات والمذهب الكلامى، كما يطلقه علي (التشبيه) كما فعل فى تعليقه علي بيت الأشهب بن رميلة:

هم ساعد الدهر الذى يتقي به

وما خير كف لا تنوء بساعد

حيث يقول: «قوله: هم ساعد الدهر: إنما هو مثل، وهذا الذى تسميه الرواة (البديع)»[1].. «ولعل الجاحظ كان أول من اعتني بالبديع وصوره وأطلقه علي فنون البلاغة المختلفة، ولكنه لم يعرِّفه أو يشر إلي فنونه بل كان يطلق هذا المصطلح إطلاقًا»[2].

وهذا ابن قتيبة ت سنة ٢٧٦هـ يعدُّ من باب (مخالفة ظاهر اللفظ معناه): الجزاء عن الفعل بمثل لفظه والمعنيان مختلفان، ويمثّل له بقول الله تعالي: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[البقرة: ١٤، ١٥]، فيقول: «أى يجازيهم جزاء الاستهزاء وكذلك ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾[آل عمران: ٥٤]، ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[الشوري: ٤٠]». إلخ.. فالمشاكلة عنده جزاء، وفى بحثه عن الاستعارة نري أنه أطلقها أيضًا علي لون من ألوان الاستعارة فى تعريفه لها، وأدخل كل ذلك فى باب

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ.١ /٥١

(٢) مصطلحات بلاغية د .أحمد مطلوب ص.٨٢

المجاز، حيث توسع فى المجاز حتي شمل عنده كل ما ذكره سابقوه وها هى (الاستعارة) تدخل تحت النوع الثالث من المجاز عنده، و(المشاكلة التقديرية) لديه، هى واحدة من علاقات الاستعارة، علي الرغم من أنه تحدث عن نوعى المشاكلة وسماهما: مجازاة أو جزاء[1].

وخلاصة الأمر أن هذه المرحلة شهدت إدماج البديع- ومنه المشاكلة- فى البيان، وأُطلق فيها علي المشاكلة أسماء متعددة كالمجاز والاتساع والجزاء والمجازاة والاختصار علي سعة الكلام والاستعارة، كما دخلت تحت باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه باسم الجزاء علي الفعل بمثل لفظه والمعنيان مختلفان، كما رأينا ذلك عند ابن قتيبة.

المرحلة الثالثة: مرحلة تداخل المصطلحات وبداية فصلها عن مسائل البيان

وقد استمرت هذه المرحلة إلي بدايات القرن الرابع تقريبًا، حيث جاء المبرد ت ٢٨٥هـ فكان أول من فصّل بين أبحاث علم البديع وأبحاث علم البيان، علي نحو ما فصّلنا إلا أنه أدخل المشاكلة تحت اسم التزاوج أو المزج، وخلط بين كل هذا وبين الجناس تحت اسم «ما اتفق لفظه واختلف معناه» مخالفًا بذلك علماء اللغة والبلاغة[2]، ويأتى دور ابن المعتز ت ٢٩٦ وهو أول من بدأ التأليف فى البديع، ويبدو أنه أدخل

(١) ينظر: أهم المصطلحات البلاغية دكتوراه ص٤٦٠: ٤٥٤

(٢) ينظر: الصبغ البديعي د .أحمد موسى ص٢٢،٥٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المشاكلة أيضًا فى التجنيس الذى أطلقه علي: (ما اتحد فى المعني أو اختلف من غير تفرقة بينهما مع التشابه بينهما فى تأليف الحروف)، فهو متأثر بالمبرد حتي فى ألفاظ كتابه.

وتجدر الإشارة إلي أنه من الصعب تحديد بدايات ونهايات لتلك المراحل المتعددة علي نحو حاسم دقيق، إذ كثيرًا ما تتداخل المراحل بحيث تختلط بداية كل مرحلة بنهاية المرحلة السابقة وتحمل بعض ملامحها.. كما نلاحظ أن ابن المعتز كان يُعدُّ علي حد قوله: «أول من بدأ التأليف فى البديع عادًّا لأنواعه، وهو وإن أوجد فكرة الفصل، وذلك بعنوان كتابه (البديع): إلا أنه مع ذلك يعتبر الاستعارة من البديع، بل إنه يعتبرها الباب الأول منه ويعالجها فى أول الكتاب، لكن يبقي للكتاب بعد ذلك موقفه من اعتبار البديع هدفًا يُقصد لذاته، كما يبقي لصاحبه قوله أنه أول من بدأ التأليف فى البديع، وإن كان فى ذلك مبالغًا.

هذا، وقد أثرت جهود البلاغيين فى هاتين المرحلتين علي الشعراء والأدباء، فبعد أن كانوا ينشئون الطباق والجناس والمشاكلة وغيرها، شاعرين بطرافتها وقوتها وجمالها من غير أن يضعوا لها اصطلاحًا أو يولوا لها اهتمامًا سوي أنها من ألوان كلامهم الذى به يؤدون أغراضهم، أخذت أصباغ البديع عامة والمشاكلة واحدة منها تمضى

بسرعة فى طريق الابتعاد عن مورد الشعر الصافى حتي بلغت شأنًا بعيدًا علي يد شعراء العصر العباسى الأول أمثال بشار بن برد ت ١٦٧هـ ومسلم بن الوليد ت ٢٠٨هـ وأبو تمامَّ ت ٢٣١هـ وابن الرومىَّ ت ٢٨١هـ وعبد الله بن المعتز ت ٢٩٦هـ وقد تنبهت الأذهان إلي ما فى شعرهم من طرائف الصنعة البديعية، واندفع فيها بعضهم إلي درجة الإفراط كأبى تمام، ووقف فيها بعضهم عند حد القصد كالبحترى وابن المعتز والمتنبى، وقد ترسم المحدثون آثار الأقدمين فوجدوا أن أهم شىء ينبغى أن تتسامي إليه نفوسهم إنما هو الصياغة وأصبح همهم أن يبرزوا أشعارهم محلاة بأبهي حلل البيان، موشاة بأربع سمات الكلام، وذلک لا يتأتي إلا بالتزخرف فى العبارة والتنميق فى الصياغة، وكلما تقدم الزمن بالمحدثين وجاءت منهم طبقة أربت علي سابقتها فى هذه الأصباغ وتفننت فى هذا البديع، حتي أضحي الشعر فنًا وصنعة تعلوها الكلفة.. ولهذا كان التكلف أول ظاهرة فى شعر المحدثين، وعن هذه الظاهرة يقول الجرجانى: فلما أفضي الشعر إلي المحدثين ورأوا مواقع تلک الأبيات من الغرابة والحسن، وتميزها عن أخواتها فى الرشاقة واللطف، تكلفوا الاحتذاء عليها فسمّوه (البديع)، فما بين مُحْسنٍ ومسىء، ومحمود ومذموم، ومقتصد ومفرِّط.

المرحلة الرابعة: مرحلة تداخل المصطلحات البديعية مع ظهور مصطلح (المشاكلة) واعتباره من البديع اللفظي

وتبدأ هذه المرحلة من منتصف القرن الرابع الهجرى علي يد الرمانى، وإلي نهاية القرن السادس، والرمانىَّ ت ٣٨٦هـ هو صاحب الحلبة فى هذه المرحلة، لتأثر من بعده به إلي حد ما، والمتتبع للرمانى وما سطره فى ذلك يلاحظ أنه أطلق علي المشاكلة (تجانس المزاوجة) وهو أحد قسمي الجناس إذ الجناس عنده مناسبة ومزاوجة وأسمي، هذا الأخير (الجزاء)، وأطلق عليها (الاستعارة) متأثرًا فى ذلك بمن قبله، وفى نفس الوقت أطلق علي بعض أنواع الجناس المشاكلة، فيكون قد عني بها: المعني اللغوى لها، وممن استعمل هذا المصطلح البديعى: أبو على الفارسى سنة ٤٢١هـ ويبدو أنه استعمله فى البديع المعنوى لا اللفظى، فيكون بذلك أول من وضع يده علي هذا المصطلح بمعناه وفحواه، ويكون بذلك قد مهد لمرحلة الاستقرار للمشاكلة، والتى تمت علي يد السكاكى والخطيب القزوينى وظلت عليه إلي يومنا هذا.

علي أن المرتضي ت ٤٣٦هـ كان يطلق علي المشاكلة – إلي جانب تسميته لها بالمجازاة والازدواج والجزاء –: (المشاكلة اللفظية فى الصورة وإن اختلفا فى المعني)، رغم أنه مسبوق بأبى على

الفارسى الذى مهد لجعل المشاكلة من البديع المعنوى يقول المرتضي فى تعليقه علي قول النبى صلي الله عليه وسلم: (فإن الله لا يمل حتي تملوا): «وسمَّي فعله تعالي مللًا وليس بملل علي الحقيقة للازدواج ومشاكلة اللفظين فى الصورة وإن اختلفا فى المعني»[1].

ويأتى ابن رشيق القيروانى ت٤٦٠ هـ فينقل كلام الرمانى ويُدخل المصطلحات بعضها ببعض، وبدلًا من أن يزيل شيئًا من الغموض عند الرمانى، زاد الأمر تعقيدًا وتداخلًا، فهو يطلق المشاكلة علي الجناس المضارع أو جناس المضارعة، ومن ثم يعتبرها داخلة فى المحسنات اللفظية.

وعند هؤلاء – الذين أشرنا إليهم فى هذه المرحلة -تداخلت المصطلحات والمدلولات فابن فارس سنة٣٩٥ هـ يسمي المشاكلة: (محاذاة)، وأبو هلال العسكرى ت٣٩٥ هـ يطلق عليها: (المقابلة فى المعني)، والرضى ت٤٠٦ هـ يعرض لها تحت اسم: (الاستعارة) تارة، و(الجزاء) أخري و(المقابلة فى اللفظ) ثالثة، وابن سنان يعيرها اسم (الازدواج).

وهكذا أصحاب هاتين المرحلتين يستخدمون تلك المصطلحات بمدلولات عامة أقرب ما تكون إلي دلالتها اللغوية الوضعية، أى أن

---

(١) الآمالي للمرتضى٥٦ ،١٠ /٥٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هذه الكلمات كانت بالنسبة لهم مفردات لغوية عادية أكثر منها مصطلحات بلاغية ذات مدلول علمى محدد، وإن كان بعضهم قد حاول أن يُضفى علي هذه الكلمات نوعًا من الدلالة الخاصة التى تبتعد به قليلًا عن دلالته اللغوية، غير أن هذه المحاولات كانت جهودًا فردية لم يقدر لها أن تنال حظًا من الاتفاق والذيوع يرقي بها إلي مستوي المصطلح العلمى، وعلي هذا فقد ظلت هذه المصطلحات فى تلك المرحلة مضطربة الدلالة، يختلط مدلولها ما بين مؤلف وآخر، بل لدي المؤلف الواحد وفى الكتاب الواحد ما بين موضع وآخر[1].

المرحلة الخامسة: مرحلة الاستقرار وإدخال (المشاكلة) في المحسنات المعنوية

وفى هذه المرحلة بدأت ملامح المشاكلة تتبلور، ومعالمها تتحدد، وعن امتزاجها بسائر أنواع البديع الأخري تبتعد، ليصبح لها مباحثها وأقسامها، ويمكن التأريخ لبداية هذه المرحلة بفخر الدين الرازى سنة ٦٠٦هـ أى بداية القرن السابع الهجرى إذ نراه يطلق علي المشاكلة التقديرية اسم المشاكلة ففى تفسيره لقول الله تعالي: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ﴾[البقرة: ١٣٨]. يقول: «ثم اختلفوا فى المراد بصبغة الله علي أقوال: الأول أنه دين الله والسبب فى إطلاق لفظ الصبغة علي الدين طريق

(1) ينظر: البلاغة العربية د .علي زايد ص٣٧،٣٨

المشاكلة»[1].

وفى إطلاقه المشاكلة علي النوع التقديرى منه بالذات دليل علي تفهمه للمعني الاصطلاحى للمشاكلة علي نحو ما استقر عليها الأمر أخيرًا، فهو إلي جانب جهده العظيم فى تفسير المشاكلة التى فاقت جهود البلاغيين أنفسهم مجليًا القول فيها ومفصلًا الحديث عنها، مهد لاستقلال المشاكلة بنوعيها واستقرار هذا المصطلح بعيدًا عن هذه المصطلحات الأخري التى بدأت تحمل أنواعًا أخري من ألوان البديع، وما أن ندع الرازى حتي نلمح السكاكى سنة ٦٢٦هـ يجلي القول ليحسم هذه المسألة التى كثر فيها الكلام، فيذكر أن من المحسنات المعنوية المشاكلة وفيها يقول: «هى أن تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته»، ثم يمثل لها بالعديد من الأمثلة، وذلك كله بطريقة تغلب عليها الروح الفلسفية والمنطقية علي ما سبق ذكره.

وصحيح أن السكاكى بلغ ما يريد من تقنية البلاغة وتبويبها تبويبًا واضحًا ولكنه ضحي فى سبيل ذلك بأهم ما يميز البلاغة كعلمٍ وظيفته الأولي أن يبحث عن جوانب الجمال الفنى فى العمل الأدبى قبل أن يبحث عن القاعدة أو التقسيم وإن كان القانون والقاعدة لازمين للبلاغة لزومها لأى علم آخر.

---

(1) تفسير الرازي ١ /٧٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعلي دربه سار الخطيب القزوينى ت سنة ٧٣٩هـ مع زيادة عبارة «تحقيقًا أو تقديرًا» علي تعريف السكاكى، ومن قبله بدر الدين ابن مالك سنة ٦٨٦هـ ومن بعده سار علماء البلاغة علي هذا المنوال وإلي يومنا هذا.. وقد رأينا ذلك جليًا واضحًا فيما سقناه لأصحاب الشروح ومن بعدهم.

الفصل الثالث

المشاكلة بين الحقيقة والمجاز

۞ المبحث الأول: آراء البلاغيين في حقيقة المشاكلة وبيان الراجح منها.

۞ المبحث الثاني: المشاكلة في مقام الحديث عن ذات الله وصفاته .. وموضع المشاكلة عمومًا من البلاغة العربية.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المبحث الأول

آراء البلاغيين في حقيقة المشاكلة وبيان الراجح منها

تعارف البلاغيون واستقرار أمرهم علي أن المشاكلة: «ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته تحقيقًا أو تقديرًا، وكان أول من توصل لهذا التعريف برسمه ولفظه هو: السكاكى، وتبعه فى ذلك الخطيب القزوينى بعد إضافة الأخير لعبارة «تحقيقًا أو تقديرًا» علي نحو ما أشرنا آنفًا، ثم تتابع الشارحون علي ما استقر عليه أمر الخطيب وكان ضمن هؤلاء مَنْ شرح تعريف الخطيب للمشاكلة ثم علق يقول: «سواء كان بينهما شيء من العلاقات المعتبرة فى المجاز، كإطلاق السيئة علي جزاء السيئة المسبب عنها، المترتب عليها.. أم لا.. ومن هنا قوي إشكال المشاكلة بأنها ليست بحقيقة وهو ظاهر، ولا مجاز لعدم العلاقة، فلا محيص سوي التزام قسم ثالث فى الاستعمال الصحيح»[1].

وقد زكَّي هذا الإشكال أنه «قد لوحظ أن بعض الاستعمالات فى هذا الإطار تختلف أقوال الدارسين فى تحديداتها حقيقة أو مجازًا، فالزمخشرى- مثلًا- يذكر من الحقيقة قولهم: (ما به طرق أى شحم[2]

---

(1) حاشية الشيخ عبد الحكيم السيالكوشي على المطول ص٤٩٥.

(2) سمى الشحم طرقًا :لأنه يركب بعضه بعضًا كما قالوا) :ريش طراق (أي :يركب بعضه بعضًا.

وقوة).. بينما يذكر الآمدى أن (الطَّرق) حقيقة فى (الشحم) مجاز فى (القوة).. ومثل هذا إطلاق (الظعينة) علي (الهودج أو البعير الذى يحمله)، فقط ذكر الآمدى أنه مجاز فيهما، وأنه حقيقة فى (المرأة)، وذكر الزمخشرى: أن الظُّعُن- بضمتين والأظعان والظعائن: هى الجمال عليها الهوادج، ثم قال: ومن المجاز: (هى ظعينة فلان)، «لامرأته وهؤلاء ظعائنه، وهذا راجع إلي شدة التباس المعنيين وكثرة استعمال اللفظ فيهما من غير أن يضيف إلي أحدهما شيئًا من معني الآخر»[1].. وبغض النظر عن ترجيح أحدهما علي الآخر فالمحصلة من ذلك اختلاف الباحثين والدارسين فى كثير من عبارات العربية، أمن قبيل الحقيقة هى أم من قبيل المجاز؟

ومن أشهر هذه الأبواب التى اختلف فى تحديد هويتها، مصطلح (المشاكلة) فمن قائل: إنها من قبيل (مجاز الاستعارة)، ومن قائل: إنها واسطة بين الحقيقة والمجاز، ومن منكر للمجاز علي الإطلاق، ومن قائل بأنها من قبيل (المجاز المرسل)، وهؤلاء انقسموا أيضًا فمن قائل بأن علاقة المجاز فيها هى (السببية)، ومن قائل: إنها (المجاورة)، ومن قائل: إنها (التضاد).. فما هى وجهات نظر هؤلاء، وما هى أدلتهم؟ وما هو القول الفصل فى ذلك؟ وكيف نوفق بين هذه الآراء جميعها؟

---

(1) التصوير البياني د .محمد أبو موسى ص٣٤٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بداية لابد من عرض هذه الآراء كلٍّ علي حدة، لمعرفة وجه الصواب والخطأ ولمناقشة هذا الأمر بشيء من التعمق والدراسة.

أولًا: آراء البلاغيين في حقيقة المشاكلة:

(١) مذهب القائلين أن المشاكلة من (المجاز المرسل):

يذهب كثير من البلاغيين وعلي رأسهم الخطيب القزوينى إلي جعل أغلب شواهد المشاكلة من قبيل المجاز المرسل، وقد اختلفوا فيما بينهم فى نوعية العلاقة المصححة للانتقال، وهى عندهم علي كلٍّ لغير المشابهة.

أ- فيذكر الخطيب ومن لف لفه أنها هى السببية: وقد ضمَّن هذه العلاقة الكثير من أمثلة المشاكلة ومن ذلك قول الله تعالي: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾[الشوري: ٤٠]. وعلق علي ذلك بقوله: «تجوز بلفظ السيئة عن الاقتصاص لأنه مسبب عنها»[١].. ثم نراه فيما بعد يذكر هذه الآية نفسها ويسوقها فى إيضاحه، وذلك أثناء حديثه عن النوع الأول من نوعى المشاكلة وهو النوع التحقيقى[٢]، مشيرًا فى ذلك إلي أنه سبحانه عبر بلفظ السيئة عن الاقتصاص لوقوع الاقتصاص فى صحبة

---

(١) الإيضاح للخطيب القزويني ٤ /٣٧ من شروح التلخيص.

(٢) الإيضاح للخطيب القزويني ٤ /٣١١ من شروح التلخيص.

السيئة، وكونها من المجاز المرسل لعلاقة السببية علي أساس أن (السيئة) مستعملة بمعناها الشرعى الذى هو المقابل للحسنة، وإلا فتكون من باب الحقيقة، وعلي ذلك فالخطيب يري الآية ويجعلها من شواهد البابين.

وما قيل فى هذه الآية قيل فى غيرها، ففى قول الله تعالي: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٩٤]. يقول الخطيب وكذا فى صار علي دربه أنه «سمي جزاء الاعتداء اعتداء لأنه مسبب عن الاعتداء، من إطلاق اسم السبب علي المسبب»[1] وقوله ﴿فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ﴾ أى: جازوه علي اعتدائه، ولكنه عبر عن المجازاة بالاعتداء، لأنه سببها وقد سوغت هذه السببية لأن تقيم الاعتداء مقام ما يترتب عليه وتنيب عنه فى الدلالة، ووراء هذا المجاز: إبرازٌ لقوة السببية بين الاعتداء وجزائه وأنه- أعنى الجزاء- يجب أن يكون نتيجة محصلة لازمة للاعتداء، فهو لا يتخلف عنه وكأن هذه الفاء أيضًا مشعرة بسرعة المكافحة، وضرورة الترتب وليس هذا.. متناقضًا مع الدعوة إلي العفو والحث عليه، لأن المقام فى الآية الكريمة ليس مقام تسامح، لأنه يحدد الموقف بين المسلمين وغير المسلمين، وحينئذ لا

(١) الإيضاح وعروس الأفراح للسبكي٣٧ ، ٤ /٣٨ الشروح.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عفو ولا تسامح حتي تظهر الشوكة والغلبة»[1].. وهذه الآية بعينها من شواهد المشاكلة ففيها عبر عن المجازاة بالاعتداء لوقوعه فى صحبته.

وفى قول الله تعالي ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ ﴾[آل عمران: ٥٤]، يقول الخطيب وكذا شراح تلخيصه فى كلامهم عن علاقة السببية فى المجاز المرسل: «إنه تجوز بلفظ (المكر) عن عقوبته لأنه سببها، من إطلاق المسبب علي السبب»[2]، والآية أيضًا من شواهد المشاكلة، فمكره مجازاة للماكرين بأوليائه ورسله فيقابل مكرهم السيء بمكره الحسن فيكون المكر منهم أقبح شيء، ومنه أحسن شيء لأنه عدل ومجازاة وسمي كذلك لوقوعه فى صحبة مكرهم.. أما عن قول «عمرو بن كلثوم:

ألا لا جهلن أحد علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فالجهل الأول حقيقة، والثانى مجازه، عبر به عن مكافأة الجهل، وإن كان الجهل فوق جهل الجاهلين ليس مكافأة لأنه ليس مثله، يل زائد عليه والزيادة علي مقدار القصاص جهل»[3].. وعلي أى حال فتعبير

---

(1) ينظر: التصوير البياني د .محمد أبو موسى ص.٣٥١ :٣٤٨

(2) الإيضاح للخطيب وعروس الأفراح للسبكي ٣٧، ٤ /٣٨ من شروح التلخيص.

(3) الإيضاح للخطيب وعروس الأفراح للسبكي٣٧ ، ٤ /٣٨ من شروح التلخيص.

الشاعر بقوله «فنجهل» تعبير عن جزاء الجهل عليهم لأنه سببه، وفى هذا التعبير إشارة حاسمة من الشاعر إلي أن الجهل عليهم إنما هو جهل علي من جهل، لأن الجزاء لا يتخلف، بل إنهم سيجدون عنده جهلًا فوق الجهل الذى جهله عليه وعلي قومه.. والبيت من قبيل المشاكلة أيضًا فقد عبر عن جزاء جهلهم بالجهل لوقوعه فى صحبته.

والحقيقة أن علاقة السببية أى تسمية السبب باسم السبب «من أشهر العلاقات التى تواردت عليها الكتب.. وإنما يكون ذلك حين يقوي فى تصورهم تأثير السبب فى المسبب ويريدون البيان عن ذلك، وأن السبب لا يختلف عنه حتي كأنه هو، كإطلاقهم (الغيث) علي (النبات).. فيقولون:

(رعينا الغيث) يشيرون بذلك إلي أن النبات المرعي كان من الغيث، ويبرزون بذلك أهمية الغيث»[1]، وهكذا.. وهذا كله يشير إلي قوة السببية فى معتقدهم.

ب- وقيل أن المشاكلة من قبيل المجاز المرسل وعلاقته المجاورة أو الملازمة:- التى هى هنا الوقوع فى الصحبة، ولكن ثمة اعتراض ساقه بعض شراح التلخيص مؤداه: أن صحبة ذلك الغير- الواقع فى تعريف المشاكلة ـــ سواء كان صحبة تحقيق بأن يذكر عند ذكره أو صحبة

(1) التصوير البياني د .محمد أبو موسى ص٣٤٧.

تقدير للعلم به، يخرج جميع أنواع المجاورة والملازمة، لأن شيئًا منها لا تكون علة ذكره: وقوعه فى صحبة الغير تحقيقًا أو تقديرًا، فليس العلة فيهما صحبة الذكر، بل صحبة ستقرره قبل الذكر، أى: لابد من ذكر المعني الذى هو بلفظ غيره قبلًا لتتم الصحبة ولتجوز علاقة المجاورة..

وقد رد أبو يعقوب المغربى هذه الشبهة وذاك الاعتراض بقوله: «إن العلاقة الحاصلة بالصحبة الذِّكرية والتقديرية ولو لم يذكرها القوم، يؤخذ اعتبارها فى المجاورة، وكون علاقة المجاز لابد فيها من التقدم إنما ذلك فى الأغلب أو- أنها- سيقت هنا أيضًا، فإن الإتيان به وإيقاعه فى صحبة غيره سابق علي ذكره بلفظ غيره مصاحبًا له، وهذا هو الذى يراعيه من يقول أن فيه مجاورة التقارن فى الخيال، وإلا فلا يخفى أن ليس هناك لزوم خيال سابق عن القصد والذكر»[1].

ويرجح الدسوقى فى حاشيته علي شرح السعد كون (المجاورة) هى ما أرادها الخطيب فى كلامه عن المشاكلة، فبعد كلامه عن بيت ابن الرقعمق يقول الدسوقى: «ثم إن المتبادر من المصنف أن المشاكلة مجاز لغوى، لأنها كلمة مستعملة فى غير ما وضعت له لعلاقة، بناء علي أن اللام فى قوله «لوقوعه فى صحبته» تعليلية، وأن الوقوع المذكور، من العلاقات المعتبرة لرجوعها للمجاورة.. وعليه فقوله: (ذكر الشىء بلفظ

(1) مواهب الفتاح للمغربي ٤ /٣١٠ شروح التلخيص.

غيره)، شامل لجميع أنواع المجازات والكنايات، وقوله: (لوقوعه فى صحبته)، مخرج لما سوي المشاكلة، والقوم وإن لم ينصُّوا علي أن الوقوع فى الصحبة من العلاقات فقد نصُّوا علي ما يرجع إليه وهو (المجاورة)، فإن قلتَ: إن وقوع الشيء فى صحبة غيره متأخر عن الذكر فكيف يكون علة للذكر، قلتُ: المراد بالوقوع فى الصحبة قصد المتكلم الوقوع فى الصحبة، والقصد متقدم علي الذكر[1]ا.هـ

علي أن صاحب (البغية علي الإيضاح) لم يقنع بهذا الرأى، فجعل يردّ القائلين بأن المشاكلة من المجاز المرسل والعلاقة هى المجاورة ويقول: «وقد قيل: أن المشاكلة مجاز مرسل علاقته المجاورة، والحق أنها ليست منه لأن علاقة المجاورة تكون بين مدلول اللفظين لا بين اللفظين كما فى المشاكلة، فهى تصح بمجرد وقوع اللفظ فى صحبة آخر، ولو لم توجد علاقة بين مدلوليهما كما فى قوله- قالوا اقترح شيئًا نُجِد لك طبخَه- البيت.. وقد توجد علاقة بين مدلوليهما كما فى قوله تعالي: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾[الشوري: ٤٠]، فإن السيئة الأولي المعصية والثانية جزاؤها وبينهما علاقة السببية»[2].. فهذه الآية رغم وجود علاقة بين مدلولى لفظيها، إلا أنه قد ترجح أن تكون هذه العلاقة

(1) حاشية الدسوقي ٤ /٣٠٩ شروح.

(2) بغية الإيضاح للشيخ عبد المتعال الصعيدي ٤ /٢٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هى السببية كما سبق أن قلنا.. وعليه فلا مجال لجعلها من المجاورة، ومن باب أولي لو لم توجد علاقة بين مدلولى اللفظين كما فى بيت ابن الرقعمق:

قالوا اقترح شيئًا نُجِد لک طبخَه

قلت اطبخوا لى جُبّةً وقميصا

ولعل هذا يكون ردًا حاسمًا علي من ذهب من البلاغيين لجعل المشاكلة من المجاز المرسل لعلاقة المجاورة ومن أشهر هؤلاء: أبو يعقوب المغربى والدسوقى من شراح التلخيص وغيرهما، خاصة وأن ردها علي عدم اشتراط تقدم الصحبة فى الذكر، لكونها مقدرة فى الخيال حجة واهية ويتنافي مع تعريف المشاكلة نفسه.

جـ- ويري العلوى أن العلاقة هى التضاد:

فبعد أن يقسم المجاز ويجعله إما واردًا فى مفردات الألفاظ، أو فى مركباتها أو فيهما جميعًا يجعل ف بالمرتبة الأولي منها: تسمية الشىء باسم ضده، ويمثل لذلک بقول الله تعالي ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشوري: ٤٠]، وقوله: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٩٤] وقوله: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ﴾ [النحل: ١٢٦]، ثم يعلق علي ذلک بقوله: «يمكن أن يقال: إن وجه المجاز هاهنا: تسمية الشىء باسم ضده، وإذا جاز إطلاق اللفظة

الواحدة علي الضدين فى لسانهم، كإطلاق (الحنيف) علي المعوج والمستقيم، و(السُّدْفَة) علي الضوء والظلام، جاز إطلاق السيئة علي جزائها كما يطلق عليها نفسها»[1].

ومعلوم أن تسمية الجزاء بالسيئة والاعتداء والمعاقبة، هو من قبيل ذكر المعني بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته، لا ذكر اللفظ بلفظ غيره- أو ضده- وعليه فلا تصلح علاقة التضاد أن تكون هى المصححة للانتقال.

د- وتارة أخري يدخل العلوى المشاكلة تحت علاقة المماثلة:-

ففى ذكره لأنواع البديع وبيان أقسامه، يُعدِّد صاحب الطراز منها عشرين نوعًا، ويذكر فى رابع هذه الأنواع: (التطبيق) مقسمًا إياه أربعة أضرب: منها (مقابلة الشيء بما يماثله)، وعنه يقول: وذلك يكون علي وجهين: الوجه الأول منهما: مقابلة المفرد بالمفرد، وهذا كقوله تعالي ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾[الشوري: ٤٠]» وقوله تعالي: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا ﴾[يونس: ٢٧] ثم يقول: «وإنما أوردنا ما ذكرناه من أمثلة المفردات لأن كل ما ذكرناه فى الأمثلة إما مبتدأ وخير كقوله تعالي: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾[الشوري: ٤٠] وإما شرط ومشروط..»، ثم يقول: «فضابط المماثلة: أن كل كلام كان مفتقرًا إلي الجواب فإن

(1) الطراز العلوي ١ /٧١

جوابه يكون مماثلًا كما قررناه، وإن كان غير جواب جاز وروده من غير مماثلة لفظية..».

ثم يعرض الوجه الثانى وهو عنده: «(مقابلة الجملة بالجملة) ويمثل له بقوله الله تعالي: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾[آل عمران: ٥٤] وقوله تعالي ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا ﴾ [النمل: ٥٤]»[1].

ويؤكد العلوى علي فكرته وتقسيماته هذه، فيكرر ما ذكره هنا أثناء حديثه فيما يتعلق بالفصاحة اللفظية، ومشاكلة الكلم وازدواج الألفاظ، فيُدخل فى ذلك عشرة أضرب: والضرب التاسع منها يسميه بـ(المقابلة)، وحاصلها: (مقابلة اللفظ بمثله)، ثم هى عنده تأتى علي وجهين:

أحدهما: مقابلة المفرد بالمفرد، ومثاله قوله تعالي: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ۖ ﴾[الشوري: ٤٠] وثانيها: مقابلة الجملة بالجملة ومثاله قوله تعالي ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾[آل عمران: ٥٤] ثم يُثنى علي هذا النوع فيقول: إن «المقابلة فى الوجهين جميعًا لها حظ فى البلاغة ومقصد عظيم، لا يخفي علي من له أدني ذوق مستقيم»[2].

---

(1) الطراز العلوي ٢ /٣٨٧

(2) الطراز العلوي ٣ /٣٥٩

وسواء سميت المشاكلة: بمقابلة الشيء بما يماثله، أو بمشاكلة الكلم وازدواج الألفاظ، وسواء كان ذلك من قبيل المفرد بالمفرد، أو من قبيل الجملة بالجملة فالمحصلة فى النهاية واحدة، وهو أنه قد جعل للمشاكلة علاقة، وأسمي هذه العلاقة بالمماثلة، فتكون من قبيل المجاز المرسل، وإن كان ذلك يتناقض مع ما ذكره لهذه الأنواع ضمن أنواع البديع الأخري.

هـ- علاقة المصاحبة:

والسيوطى يسمي العلاقة فى المشاكلة «بعلاقة المصاحبة» ويجعل ذلك بالطبع من قبيل المجاز المرسل، وقد حرر السيوطى نفسه من ربقة التقليد، ومن براثن التبعية للخطيب القزوينى، وصدع برأيه هو، فقرر أن المشاكلة مجاز، وأن العلاقة فيها هى ما ذكرناه له[1].. وقد كان غيره متأثرًا أشد ما يكون التأثر بكلام الخطيب فى عده لأمثلة المشاكلة تحت هذا المحسن البديعى والعرضى، وفى عدِّه المشاكلة نفسها ضمن أنواع المحسنات المعنوية، والخطيب بذلك يحاول ما وسعه الجهد، أن يسلب المشاكلة حظها البلاغى بإبعادها عن المجاز، وادعاء أنها تفارقه من حيث العلاقة، ومن حيث إنها ليست نقلًا للكلام عن

(1) ينظر: عقود الجمان للسيوطي ص١١٠، ١١١ ومعترك الأقران له١ /٤١١ ، وينظر: الدكتوراه في الجهود البلاغية لجلال الدين السيوطي .د .عبد الرزاق محمد محمود فضل.

أصل معناها الوضعى، علي الرغم من أنه هو نفسه قد مثل بقوله تعالي: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾[آل عمران: ٥٤] للمجاز المرسل الذى علاقته السببية[1].. سيأتى تفصيل القول فى هذه العلاقة بالذات.

(٢) مذهب القائلين بأن المشاكلة من قبيل الاستعارة:

يقول بهاء الدين السبكى: «الذى يظهر فى قوله (اطبخوا) من قول ابن الرقعمق:

قالوا اقترح شيئًا نجد الله طبخَه

قلت اطبخوا لى جُبّةً وقميصا

أنه ليس من مجاز المقابلة، بل من الاستعارة لمشابهة الطبخ للخياطة والإطعام للكسوة فى النفع»[2].

وعند كلامه عن النوع الثانى للمشاكلة وهو النوع التقديرى ساق كلام القاضى فى قول الله تعالي: ﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ ﴾[البقرة: ١٣٨]: «صبغنا الله صبغته: وهى فطرته، كأنها حلية الإنسان إذ هدانا بهدايته، وطهر قلوبنا بطهره، وسماه صبغة لأنه ظهر

---

(١) ينظر: الإيضاح للخطيب ٤ /٣٧ من شروح التلخيص.

(٢) عروس الأفراح للسبكي.٤ /٣١١

أثره عليه ظهور الصبغ.. قال الطيبى: فعلي هذا القول لا تكون مشاكلة بل استعارة مصرحة تحقيقية.. ورد السبكى: أن كونها استعارة لا ينافى أن تكون من قبيل المشاكلة، فقال: وفيما قاله الطيبى نظر، لأن كل مشاكلة فهى استعارة، فكونها استعارة لا ينافى المشاكلة»[1].

وعليه فإطلاق مادة (الصِّبغ) علي (التطهير) من الكفر مجاز تشبيهى، وذلك أنه شبه التطهير من الكفر بالإيمان، بصبغ المغموس فى الصبغ الحسى، ووجه الشبه ظهور أثر كل منهما علي ظاهر صاحبه، فيظهر أثر التطهير علي المؤمن حسًا ومعني بالعمل الصالح والأخلاق الطيبة، كما يظهر أثر الصبغ علي صاحبه، ويكشف أبو يعقوب الغطاء عن إطلاقات الصبغة فيقول: «إن أصل التطهير: التنقية من الأثر المحسوس، لكن كثرًا استعماله فى المعانى حتي صار حقيقة عرفية، فباعتبار الأصل يكون إطلاق الصبغ علي معني التنزيه عن رزيلة الكفر مجازًا مرتبًا علي مجاز، وباعتبار كثرة الاستعمال يكون مجازًا محضًا عن أصل.

فلفظ الصبغة إنما عبر به عن معني التطهير علي وجه التجوز، ولا ينافى ذلك كونه مشاكلة باعتبار صحبته لما يعبر به عنه حقيقة أو مجازًا كما تقدم.. وكذا إطلاق الصبغة المقدرة علي التغطيس مجاز،

---

(1) عروس الأفراح للسبكي ٤ /٣١١ من شروح التلخيص.

سواء أريد نفسه إذ لا يصغ حقيقة، أو أريد لازمة عندهم وهو التطهير من سائر الأديان، وكذا التعبير بالصبغة عن التطهير بالإيمان مجازه، وهو: هيئة مخصوصة لكونه تطهيرًا مخصوصًا عن شيء مخصوص، ولما كان هذا حالهم ونزلت الآية للرد عليهم فى ذلك، صار التعبير بـ(الصبغة) عن (الإيمان الحقيقى) للرد عليهم إيمانهم التغطيس وتطهيرهم الكفر مشاكلة، لأنه يقدر هذا اللفظ كأنه صادر منهم بقرينة النزول فى شأن الرد عليهم فيما يستحق أن يسمي صبغًا، فهنا مصاحبة المعنيين ومصاحبة اللفظين، إلا أن أحدهما مقدر وهو كالمذكور كما بينا»[1].

وبذلك عُرِف كيف يكون الجمع فى هذه الآية وأمثالها بين جعلها من قبيل الاستعارة وبين جعلها فى نفس الوقت من المشاكلة، فهى من ناحية مصاحبة المعنيين هى من المجاز التشبيهى، حيث شبه التطهير من الكفر بالإيمان، بالصبغ الذى يصبغ به المغموس، فالتعبير بلفظ (الصبغة) عن معني (التطهير)، وكذا إطلاق (الصبغة المقدرة علي التغطيس)، إنما جاء علي وجه التجوز، والقرينة: هى نزول هذه الآية فيمن يفعل ذلك والرد عليهم، وهى قرينة الحال التى هى سبب النزول

(1) مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لأبي يعقوب المغربي٤ /٣١٤ /٢١٣ ، وينظر: حاشية الدسوقي ٤ /٣١٣ من شروح التلخيص.

من غمس النصاري وأولادهم فى الماء الأصفر، هذا من ناحية مصاحبة المعنيين وهو ما يخص المعني الاستعارى، أما عن مصاحبة اللفظين وهو ما يدخل فى المشاكلة، فهو: مجىء لفظ (الصبغة) بدلًا عن لفظ (التطهير) وإن لم يكن قد تقدم لفظ (الصبغ) فهو مقدر، لذا كانت المشاكلة تقديرية.

وسواء كان هذا أمرًا للمؤمنين أن يقولوا: (أيها النصاري آمنا بالله وصُبغنا بالإيمان صبغة لا مثل صبغتكم.. فإن فعلتم ذلك أصبتم وإلا ضللتم)، أو كان ذلك خطاب للمؤمنين بأن يقولوا ذلك لأنفسهم، حتي يدرءوا عنها شبه التشبه بهم، فالمحصلة فى النهاية واحدة وهى أن «النصاري لما اقتضي فعلهم صبغًا، ونزلت الآية للرد عليهم، عبَّر عن المراد بالصبغة للمشاكلة التقديرية حيث صاحب المعني المستحق للتعبير بالصبغ ولو لم يقع إذ هو مقدر، فهو كالمذكور فكانت الصحبة تقديرية.

وهذا مثل ما لو رأيت إنسانًا يغرس شجرًا وقلت لآخر: (اغرس إلي الكرام كهذا)، وأنت تُرِيد بـــ(أغرس): اصنع المعروف إلي الكرام وأهل المعروف، وعبَّرت عن الصنع بالغرس لمصاحبته للغرس الحاضر ولو لم يُذكر، فكأنك قلت: (هذا يغرس الأشجار فاغرس أنت الإحسان مثله)، فإن قدرته مجازاً للتشبيه فى رجاء النفع كان مجازاً

للتشبيه ومشاكلة للصحبة، وإن لم تقدره كان مشاكلة محضة»[1].. وكذا يقال فى كل مشاكلة.

والحق أن كثيرًا من البلاغيين ممن سبقوا الخطيب وشراح تلخيصه، ذهبوا إلي جعل المشاكلة.. من باب الاستعارة، فهذا ابن قتيبة فى بحثه عن الاستعارة نراه يطلق الاستعارة ضمن ما يطلقها، علي: لون من ألوان المشاكلة لدي المتأخرين، وهو اللون التقديرى منه، ولا عجب فقد جعل المشاكلة من علاقات الاستعارة حيث إنه توسع فيها[2]، ولعل فى اختصاص النوع التقديرى بالذات ما يجعلنا نؤكد أن أصحاب الشروح وغيرهم قد تأثروا بابن قتيبة فى ذلك إلي حد كبير، كما يجعلنا نظن أن الشريف الرضى أيضًا ممن تأثر به، وقد جعل إطلاق الصبغ علي الدين من محض الاستعارة[3].

علي أن الاستعارة قد شملت عند بعضهم نوعى المشاكلة، فهذا هو الرمانى يعبر بالاستعارة عن قول الله تعالي: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾[آل عمران: ٥٤] فيقول: «أى: جازاهم علي مكرهم فاستعير للجزاء علي المكر، اسم (المكر) لتحقيق الدلالة علي أن وبال

---

(1) مواهب الفتاح وعروس الأفراح ٤ /٣١٤ شروح التلخيص، وينظر: الكشاف للزمخشري.

(2) ينظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص٧٨،٨٢

(3) ينظر: تلخيص البيان ص١١٨

المكر راجع عليهم ومختص بهم»[1].

وهكذا قال فى سائر أمثلة المشاكلة، كما ذهب إلي ذلك الزمخشرى حين علق علي قول الله تعالي ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الأعراف: ١٩] بقوله: «ومكر الله: استعارة لأخذه العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه»[2].. وغير هذا وذاك كثير.

(٣) مذهب القائلين إن المشاكلة من قبيل الحقيقة لا المجاز:

وذهب آخرون إلي جعل المشاكلة من قبيل الحقيقة لا المجاز، ذلك أن المجاز لابد فيه من وجود علاقة بين المعني الأصلى، والمعني الذى استعملت فيه الكلمة، فإن كانت هذه العلاقة مبنية علي المشابهة فهى الاستعارة وإن كانت مبنية علي غير المشابهة فهى المجاز المرسل، والمشاكلة علي خلاف ذلك، فهى «لا تقوم علي علاقة بين المعني الأصلى والمعني الذى استعملت الكلمة فيه، فالذى يقول: (إنى بنيت الجار قبل المنزل)، إنما ذكر اختيار الجار بلفظ البناء لوقوعه فى صحبة البناء، وليس ثمة علاقة بين الاختيار والبناء، وإنما هو شىء يجرى فى كلامهم حبًا للمشاكلة، واعتمادًا علي وضوح المعني، وهو من العناصر

---

(١) النكت للرماني ص٩٩.

(٢) الكشاف ٢ /٩٨

التى يحلو بها الكلام ويحسن ديباجته»[1].

وعلي ذلك فالمشاكلة من قبيل الحقيقة، وقولهم فى تعريفها: إنها «(ذكر الشيء بلفظ غيره) شامل لجميع المجازات والكنايات، وقولهم: (لوقوعه فى صحبته) مخرج لما سوي المشاكلة»[2] وهى- كما قلنا- لا تقوم علي علاقة بين المعني الأصلى والمعني الذى استعملت فيه الكلمة، كما أن القول بكونها مجازًا ينافى كونها من المحسنات البديعية، وأنه لابد فى المجاز من اللزوم بين المعنيين فى الجملة، فتعين الوجه الأول وهو: أن يكون أسلوب المشاكلة من قبيل الحقيقة، فيكفيه الوقوع فى الصحبة، ولعل السر فى ذلك أن فى المشاكلة نقل المعني من لباس إلي لباس، فإن اللفظ بمنزلة اللباس، ففيه إيراد المعني بصورة عجيبة، فكيفيه الوقوع فى الصحبة فيكون محسنًا معنويًا، وفى المجاز نقل اللفظ من معني إلي معني، فلابد من علاقة مصححة للانتقال[3]، فتعين عند القائلين بهذا، أن تكون المشاكلة من باب الحقيقة لا المجاز.

---

(1) التصوير البياني د .محمد أبو موسى ص.٣٥١

(2) حاشية الدسوقي على شرح السعد ٤/ ٣٠٩ شروح التلخيص.

(3) ينظر: تقرير الأنبابي على شرح السعد لتلخيص المفتاح ٣٦٥/٤ وحاشية الشيخ عبد الحكيم السيالكوتي على المطول ص.٤٩٥

(٤) مذهب القائلين أنها واسطة بين الحقيقة والمجاز:

وإلي ذلك ذهب بعض البلاغيين وعلي رأسهم الشيخ عبد الحكيم السيالكوتى فى حاشيته علي المطول، وأبى يعقوب المغربى فى شرحه علي التلخيص، وكذا السيوطى وغيرهم.

والسبب عندهم فى هذا يفهم من تعريف المشاكلة وهى (ذكر الشىء، بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته) فقد خرج بقوله: (بلفظ غيره) الذِّكر المتعلق بالحقيقة، ودخل فيه جميع أنواع المجاز، لأن الذكر فيها واقع فى معانيها فى ألفاظ غيرها، وأما قوله: (لوقوعه فى صحبته)، فمُخرج لجميع أنواع المجاورة والملازمة، «لأن شيئًا منها لا تكون علة ذكره: وقوعه فى صحبة الغير ذِكرًا أو تقديرًا، أمّا ما سوي المجاز الذى علاقته المجاورة كالظرف مع المظروف، والملازمة كالجزء مع الكل، فظاهر، وأما الذى علاقته المجاورة أو الملازمة، فليس العلة فيها صحبة الذِّكر، بل صحبة ستقرره قبل الذكر، هذا إن جعلت اللام فى (لوقوعه) للتعليل، وإن جُعلت توقيتية.. فالإخراج حينئذ أظهر لأن شيئًا منها ليس من شرطه أن يُذكر وقت صحبته للغير، ولهذا قيل المشاكلة ليست من الحقيقة ولا من المجاز»[1].

يقول الدسوقى فى حاشيته علي شرح السعد لتلخيص المفتاح

---

(1) مواهب الفتاح للمغربي ٤ /٣١٠ من شروح التلخيص.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

موضحًا ذلك: «وقيل المشاكلة قسم ثالث لا حقيقة ولا مجاز، أما كونها غير حقيقة فظاهر لأن اللفظ لم يستعمل فيما وضع له، وأما كونها غير مجاز فلعدم العلاقة المعتبرة، لأن الوقوع فى الصحبة ليس من العلاقات، ولا يرجع إلي المجاورة المعتبرة علاقة، لأنها المجاورة بين مدلول اللفظ المتجوَّز به وبين مدلول اللفظ المتجوز عنه أى تقارنهما، إنما هو فى الخيال والمشاكلة ليست كذلك، لأن المشاكلة أن يعدل عن اللفظ الدال علي المعني المراد إلي لفظ غيره، من غير أن تكون هناك مجاورة بين مدلولى اللفظين وتقارن بينهما فى الخيال، فليس فيهما إلا مجرد ذكر المصاحب بلفظ غيره لاصطحابهما فى الذِّكر، ولو كان هذا القدر يكفى فى التجوز، لصح التجوز فى نحو قولنا، (جاء زيد وعمرو) بأن يقال: (جاء زيد وزيد) مرادًا به عمرو، لوقوعه فى صحبته، وهو ما لا يصح»[1].

هذا علي اعتبار كون اللام تعليلية، أما إن جعلناها توقيتية أى ذِكر الشىء بلفظ غيره وقت وقوعه فى صحبته، فخروج الكنايات والمجازة أظهر، ويقول الدسوقى معللًا: «لأن شيئًا منها ليس من شأنه أن يذكر وقت صحبته للغير، وعلي هذا القول، فمعني الوقوع فى صحبة الغير: أن ذلك الشىء وجد مصاحبًا للغير، بمعني أنه: ذكر هذا عند ذكر هذا،

---

(1) حاشية الدسوقي ٤ /٣٠٩ شروح التلخيص.

وليس المراد وقوعه فى صحبته فى قصد المتكلم، كما يقوله الأول»[1].

وممن ارتضي ذلك وعلل له الشيخ عبد الحكيم السيالكوتى، فذكر أن «القول بكونها- أى المشاكلة- مجازًا فى كونها من المحسنات البديعية، وأنه لابد فى المجاز من اللزوم بين المعنيين فى الجملة، والمعنيان فى المشاكلة تارة يكون بينهما علاقة من العلاقات المعتبرة فى المجاز، كإطلاق اسم السبب علي جزء المسبب عنه، المترتب عليه كما فى قوله تعالي ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾فإن السيئة الأولي عبارة عن المعصية، والثانية عبارة عن جزاء المعصية وبينهما علاقة السببية، فأطلق السبب وأريد المسبب، وتارة لا يكون بينها علاقة كإطلاق (الطبخ) علي (خياطة الجُبَّةً والقميص)، وإن فى المشاكلة نقل المعني من لباس إلي لباس، فإن اللفظ بمنزلة اللباس، ففيها إيراد المعني بصورة عجيبة فيكون محسنًا معنويًا، وفى المجاز نقل اللفظ من معني لمعني آخر فلابد من علاقة مصححة للانتقال»[2].

وهو بالطبع لا يجعل المشاكلة من قبيل الحقيقة أيضًا، لكون اللفظ غير مستعمل فيما وضع له، وعليه فالمشاكلة عنده واسطة بين الحقيقة والمجاز.

---

(1) السابق.

(2) حاشية الدسوقي ٤ /٣٠١ شروح التلخيص.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وهكذا فإن السيالكوتى قد ذهب فى شرحه علي المطول إلي جعل المشاكلة واسطة بين الحقيقة المجاز، ويكاد يكون كلامه وتعليله هو نفس ما ذكره الدسوقى وعلل له[1].. بل إن بعض المؤيدين لأن تكون المشاكلة واسطة، ردّ علي القائلين بأنها من المجاز بأمرين:

«الأول: أن جعل ذلك الوقوع علاقة، ينافى عدَّه من المحسنات البديعية فكان عليهم أن يذكره فى فن البيان.

الأمر الثانى: أنهم قالوا: لابد فى المجاز من اللزوم ولو تأويلًا، وهذا ليس بهذه المثابة فالمتعين هو... أنه قسم رابع خارج عن الحصر»[2]، فلا هى من الحقيقة ولا هى من المجاز المرسل ولا هى من الاستعارة إنما هى قسم آخر، أى أنها واسطة بين المجاز والحقيقة.. ومن القائلين بأن المشاكلة واسطة: السيوطى، والسيوطى حينما يقرر ذلك هو فى الحقيقة لم يأت بجديد، إنما هو فى كلامه متأثر بالسابقين، فهو يفرد فى (معترك الأقران) فصلًا بعنوان: (فى الواسطة بين الحقيقة والمجاز)، ويُدخل فيها ثلاثة أشياء، آخرها: ما عبر عنه بقوله «اللفظ المستعمل فى المشاكلة نحو ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤] ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾[الشوري: ٤٠]، ويقول: «ذكر بعضهم أنها

(1) ينظر: السيالكوتي على المطول ص٤٩٥.

(2) حاشية الأنبابي الشهيرة بالتجريد ٤ /٣٦٥

واسطة بين الحقيقة والمجاز.. لأنه لم يوضع فيما استعمل فيه فليس حقيقة، ولا علاقة معتبرة فليس مجازًا»[1]..وإن كان السيوطى بعد ذلك يرجح أن تكون مجازًا- مرسلًا- والعلاقة فيه المصاحبة[2].

ويرجح أحد الباحثين فى جهود السيوطى البلاغية: أن السيوطى لم يكن يقصد بالمجاز: المرسل منه فقط، إنما قصد إطلاقه حتي يشمل الاستعارة أيضًا، ويبرهن علي ذلك بأن السيوطى لم يورد كلمة المرسل، لا فى (الإتقان فى علوم القرآن) ولا فى (معترک الأقران)، وإنما ذكر كلمة (المجاز) فقط فقال:

«الوجه الثالث والعشرون من وجوه إعجاز القرآن وقوع الحقائق والمجاز فيه»، ثم سار فى الشرح فذكر فى بداية البحث: (المجاز العقلى)، وسماه: (المجاز فى التركيب ومجاز الإسناد)، ثم ذكر بعد ذلک (المجاز اللغوى) وسماه (المجاز فى المفرد)، وتكلم فيه وأسهب فى التوضيح وأورد كثيرًا من الأقسام والشواهد ولم يقسِّم المجاز اللغوى إلي مجاز مرسل واستعارة[3] وأكد الباحث بعد ذلک أن السيوطى كان يسير فى ذلک سيرة متقدمى علماء البلاغة الذين لم

(1) معترك الأقران للسيوطي٢٦٧ ،١٠ /٢٦٨

(2) ينظر: عقود الجمان ص١١٠، ١١١ والمعترك١٠ /٢٦٨

(3) ينظر: الإتقان ص ٣٦ومعترك الأقران١٠ /٢٤٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يقسموا المجاز اللغوى إلي مجاز مرسل واستعارة[1].

وإن كان ذكر السيوطى لعلاقة المصاحبة يؤكد لنا جعله لها- المشاكلة- من المجاز المرسل، إذ الفرق بين المجاز المرسل والاستعارة وجود مثل هذه العلاقة وهى لغير المشابهة.

وعلي أى حال فعلاقات المجاز سواء كان مرسلًا أو استعارة- عند القائلين أن المشاكلة واسطة بين الحقيقة والمجاز- علاقات محددة فى كل أنواعه، ولم ير العلماء أن العلاقة فى المشاكلة هى العلاقة المعتبرة فى المجاز، ومن هنا لم يُدخلوها فى المجاز، لأنه لو صح فيه هذا، لصح انفراده، بنفسه بدون مشاكلة، ومعظم هذه الصور إنما صح فيها الاستعمال مع المشاكلة لا دونها، ومن هنا ذهب الكثير من العلماء إلي أن المشاكلة ليست من الحقيقة كما أنها ليست من المجاز، وإنما هى واسطة بينهما، جاء فى كشاف اصطلاحات الفنون: «من الألفاظ ما هو واسطة بين الحقيقة والمجاز، وعدَّ من ذلك: اللفظ المستعمل فى المشاكلة نحو ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ ﴾[آل عمران: ٥٤].. ثم علق علي ذلك بقوله: «ذكره البعض وقال: لأنه لم يوضع لما استعمل فيه فليس حقيقة، ولا علاقة معتبرة فليس مجازًا»[2].. فترجح عندهم لهذه

(1) ينظر: الجهود البلاغية للسيوطي دكتوراه /عبد الرزاق فضل ص.٣٨٤

(2) كشاف اصطلاحات الفنون ترجمة .د .عبد المنعم حسنين.١/٣١٥

الأسباب أن تكون المشاكلة واسطة بينهما.

ثانيًا: التوفيق بين آراء البلاغيين في كون المشاكلة من الحقيقة أو المجاز والرأي الراجح في ذلك

والذى يظهر من أقوال البلاغيين وما ساقوه من أمثلة متكررة تحت المجاز المرسل تارة، فتكون من علم البيان، وتحت المشاكلة أخري فتكون داخلة فى أنواع البديع، أمر يثير الانتباه.

ففى قول الله تعالي: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾[الشوري: ٤٠]، ساق الخطيب فى إيضاحه هذه الآية شاهدًا علي المجاز المرسل الذى تكون علاقته السببية وقال تعليقًا عليها: «تجوز بلفظ السيئة عن الاقتصاص، لأنه مسبب عنها»[1].. ثم نراه يسوقها شاهدًا علي المشاكلة[2] قائلًا بلسان حاله: إنه سبحانه عبر بلفظ السيئة عن الاقتصاص لوقوع الاقتصاص فى صحبة السيئة.. وهكذا فى أغلب أمثلة المشاكلة كما فى بيت عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا

الذى يسوقه الخطيب هو الآخر فى المجاز المرسل، ويعلق عليه بقوله:

---

(1) الإيضاح ٤ /٣٧ من شروح التلخيص.

(2) ينظر: الإيضاح ٤ /٣١١ شروح.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

«الجهل الأول حقيقة، والثانى: مجاز عبر به عن مكافأة الجهل»[1]. ويعلق غيره بأن فى البيت تعبير عن جزاء الجهل بالجهل لوقوعه فى صحبته، فكيف إذن يكون التوفيق بين جعل هذه الأمثلة وغيرها من المشاكلة تارة وبين جعلها من المجاز المرسل تحت أيٍّ من العلاقات تارة أخري؟

الذى أميل إليه فى حقيقة المشاكلة وهو: أن أساليب المشاكلة من المجاز، لكون اللفظ فى المشاكلة غير مستعمل فى حقيقته، وهذا يكفى لإدخال هذا الأسلوب فى المجاز، ومن الملاحظ أن هذا ما ذهب إليه أغلب المفسرين والبلاغيين قديمًا، وإن كانوا أحيانًا يعبّرون عنه بالاستعارة، وهم حين يعدون المشاكلة من قبيل المجاز أو حتي الاستعارة لا يعمدون إلي تقسيم المجاز إلي مجاز مرسل واستعارة، فإن أحدًا لم يقسم المجاز هذا التقسيم قبل أبى يعقوب يوسف السكاكى.

فهذا أبو هلال العسكرى يطلق علي المجاز المرسل والاستعارة اسم «الاستعارة»[2]، وهذا ابن رشيق يخص المرسل باسم (المجاز) فقط دون الاستعارة[3]، وهذا ابن سنان لم يحاول التفريق بين الاستعارة

---

(1) الإيضاح ٤ /٣٧ شروح.

(2) ينظر: الصناعتين لأبي هلال العسكري ص.٢٦٥

(3) ينظر: العمدة.١/٢٦٦

والمجاز المرسل[1]، أما ابن الأثير فقد جعل المجاز قسمين: توسع فى الكلام، وتشبيه.. وجعل التوسع شاملًا للمجاز العقلى والمجاز المرسل، وجعل التشبيه شاملًا للتشبيه والاستعارة[2].

أما صاحب الطراز فقد ذكر المجاز المفرد، وأورد منه خمسة عشر ضربًا، منها الاستعارة والباقى من علاقات المجاز المرسل وقال عن الاستعارة «إطلاقهم الاسم أخذاً له من غيره لاشتراكهما فى معني من معانيه كما أطلقوا لفظ الأسد علي الشجاع، وهذا هو الذى يقال: إنه من باب الاستعارة»[3] وأول من سمي المجاز المرسل باسمه هو أبو يعقوب يوسف السكاكى فيما يبدو[4]. أما قبل يوسف السكاكى فلم يكن ثمة تقسيم للمجاز.

فالشريف الرضى – علي سبيل المثال – أدخل آيات المشاكلة فى المجاز بدون أن تعترضه أية مشكلة من تقسيم أو غيره، وهى عنده مستقيمة علي أساس المجاز، ففى قوله تعالي: ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي

(1) ينظر: سر الفصاحة ص١٣٧.

(2) ينظر: المثل السائر١. /٣٧٣ :٣٥٦

(3) الطراز١. /٧٣ :٦٩

(4) ينظر: الجهود البلاغية للسيوطي دكتوراة :عبد الرازق فضل ص٣٨٥، والبيان عند الخفاجي د . النكلاوي، البلاغة القرآنية د .أبو موسى.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ قال: «وهاتان استعارتان فالأولي منهما: إطلاق صفة الاستهزاء عليه سبحانه والمراد بها أن يجازيهم علي استهزائهم بإرصاد العقوبة لهم، فسمي الجزاء علي الاستهزاء باسمه إذا كان واقعًا فى مقابلته، والوصف بحقيقة الاستهزاء غير جائزة عليه تعالي لأنه عكس أوصاف الحكيم وضد طريق الحكيم[1].. وقال فى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ﴾[البقرة: ١٣٨]: «وهذا من محض الاستعارة»[2]، وقال فى قوله تعالي: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[آل عمران: ٥٤]: وهذه استعارة لأن حقيقة المكر لا تجوز عليه تعالي»[3]، وقال فى قوله تعالي: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾[المائدة: ١١٦]: «وهذه استعارة»[4].

والرمانى هو الآخر يَعدُّ هذا النوع من الاستعارة حتي وإن أطلق عليه (جناس مزاوجة) وهكذا علي نحو ما أفضنا القول فيه عند حديثنا عن (التطور التاريخى للمشاكلة) وعليه فيكون أسلوب المشاكلة من المجاز سواء أطلق عليه لفظ (المجاز)أو (الاستعارة) دون ما قصد

---

(1) تلخيص البيان في مجازات القرآن ص١١٣،١١٤

(2) تلخيص البيان في مجازات القرآن ص١١٨

(3) تلخيص البيان في مجازات القرآن ص١٢٣

(4) تلخيص البيان في مجازات القرآن ص١٣٥

للتقسيم.

فإن كان لابد من إيضاح وتبيين لحقيقة هذا المجاز، وتحديد علائقه علي ما استقر عليه أمر البلاغة أخيرًا علي يد السكاكى والخطيب فلابد للتوفيق بين آراء البلاغيين فى حقيقة المشاكلة من واحدة من اثنتين:-

أولًا: اعتبار أن أساليب المشاكلة ما يندرج تحت المجاز المرسل لعلاقة السببية، ومنها ما يندرج تحت الاستعارة لعلاقة المشابهة، وكلاهما من المجاز ولا يمنع ذلك من اعتبار المشاكلة.. وعليه فالمشاكلة تجامع المجاز المرسل والاستعارة إن لوحظت علاقتها، ومن الأمثلة علي ذلك: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾[الشوري: ٤٠]، فإطلاق السيئة علي جزاء السيئة المسبب عنها المترتب عليها مجاز مرسل علاقته السببية حيث عبر بلفظ السيئة عن معني الجزاء لأنه يؤلم ويسوء، سواء بعد ذلك ألحقتَ نقل كلمة السيئة إلي الجزاء، أو معني الجزاء إلي السيئة، فالمؤدي واحد لا تبدل فيه ولا اختلاف.. ومثال ذلك أيضًا: قوله تعالي: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾[البقرة: ١٩٤]، فقوله: ﴿فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ﴾أى: جازوه علي اعتدائه، ولكنه عبر عن المجازة بالاعتداء لأنه سببها، وقد سوغت هذه السببية أن تقيم الاعتداء مقام ما يترتب عليه وتنيب عنه فى الدلالة، ووراء هذا المجاز إبراز لقوة السببية بين الاعتداء وجزائه وأنه- أعنى: الجزاء-

يجب أن يكون نتيجة ومحصلة لازمة للاعتداء، فهو لا يختلف عنه وكأن هذه «الفاء» أيضًا مشعرة بسرعة المكافحة وضرورة الترتب»[1]، وإن كان ذلك لا بمنع إجراءها علي أسلوب المشاكلة والوقوع فى الصحبة.

أما ما ينضوى تحت المجاز بالاستعارة من أمثلة المشاكلة فكقول أبى الرقعمق:-

إخواننا قصدوا الصَّبوح بسحرةٍ

فأتي رسولهم إلىّ خصوصا

قالها اقترح شيئًا نُجِد لک طبخَه

قلت اطبخوا لى جُبّةً وقميصا

حيث عبر الشاعر عن الخياطة بالطبع تشبيهًا لها به، فى كونها مما ينبغى أن تكون موضع رغبتهم ومحل عنايتهم، فإذا كانت رغبتهم قد اتجهت إلي الطبخ ليطعموه فينبغى أن تكون منهم مثل تلک الرغبة، فى: خياطة جُبّةً وقميص بهما يتقى قارس البرد ويعتصم من أذاه، وليس ثمة غضاضة ولا حرجًا فى تطبيق الاستعارة التى أساسها المشابهة علي هذا الأسلوب[2].

يقول السبكى: «والذى يظهر فى قوله (اطبخوا)، أنه ليس من مجاز

---

(1) التصوير البياني .د .محمد أبو موسى ص٣٤٨.

(2) ينظر: الأنبابي.٤ /٣٦٣

المقابلة بل من الاستعارة لمشابهة الطبخ للخياطة، والإطعام للكسوة فى النفع»[1].. وعلي ذلک فمن غير المستساغ اعتبار المثال الواحد شاملًا لعلاقتى المشابهة والسببية، علي نحو ما ذهب إليه بعض البلاغيين حين أراد أن يجمع بين نوعى المجاز ـــ (الاستعارة) و(المرسل) ـــ وعلي رأسهم أبى يعقوب المغربى وذلک قوله: «وكونها مجازًا إما باعتبار حكاية اللفظ المجازى عن المصاحب، كما تقول لمن تريد أن تطلب منه مالا وقد قال لک: (رأيت اليوم أسدًا بلبدة فى الحمام): (أعطنى أسدًا بلبدة من مالک)، تريد: أعطنى شيئًا طائلًا من مالک، من غير أن تعتبر أن المعبر عنه- فى لفظک أنت (بالأسد)- شبهته بشىء، أو باعتبار تشبيهه بالمذكور، كأن تعتبر أن المال المطلوب بمنزلة الأسد فى المهابة والفتک فى الأنفس والقلوب، فيكون لفظ الأسد مجازًا باعتبار تشبيهه المال المراد بالأسد الحقيقى، ومشاكلة باعتبار صحبة من عبّر عنه بالأسد»[2].

والدسوقى فى حاشيته لم يستسغ ذلک فى قول الله تعالي: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾[الشوري: ٤٠]، ولا فى بيت ابن الرقعمق، وأوضح أن المشاكلة تأتى أحيانًا لعلاقة السببية فتكون مجازًا مرسلًا وأحيانًا لغيرها

(١) عروس الأفراح للسبكي ٤ /٣١١ شروح.

(٢) مواهب الفتاح للمغربي ٤ /٣١٠ شروح التلخيص.

أى المشابهة فتكون استعارة، وعبر عن ذلك بقوله: «المعنيان فى المشاكلة تارة يكون بينهما علاقة من العلاقات المعتبرة فى المجاز كإطلاق اسم السبب علي جزاء المسبب عنه المترتب عليه كما فى قوله تعالي: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾[الشوري: ٤٠]، فإن السيئة الأولي عبارة عن المعصية، والثانية عبارة عن جزاء المعصية وبينهما علاقة السببية فأطلق السبب وأريد المسبب، وتارة لا يكون بينهما علاقة- السببية- كإطلاق المطبخ علي خياطة الجهة والقميص»[1].

ويؤيد هذا ويقرره ما ذهب إليه صاحب الطراز فى قول الله تعالي: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾[الشوري: ٤٠] حيث قال: إنه «لا يمكن أن يقال: إن هذا من باب التشبيه فى المجاز، لأن جزاء السيئة يشبهها فى كونها سيئة، بالنسبة إلي من وصل إليه ذلك الجزاء»[2]، مشيرًا إلي أن العلاقتين لا تجتمعان فى مثال واحد بل إما المشابهة فتكون استعارة وإما غير ذلك فتكون مجازًا مرسلًا.

ثانيًا: إيجاد علاقة مصححة لأسلوب المشاكلة ولا بأس أن تكون هى (المصاحبة) وتكون بذلك إحدي علاقات المجاز المرسل، وذلك بأن نجعل المصاحبة علاقة خاصة بهذا الأسلوب لا تتخطاه إلي غيره- خاصة

---

(1) حاشية الدسوقي ٤ /٣٠٩ شروح التلخيص.

(2) الطراز العلوي ١ /٧١

وأن- حمل مثل هذا الأسلوب علي العلاقات المعتبرة فى المجاز المرسل كالسببية مثلًا أو المجاورة أو غيرها يؤدى إلي التعسف فى التأويل والبعد فى التخريج، وحينئذ فلا مانع أن نسمي ما جاء علي هذه العلاقة مشاكلة، ويكون الكلام مجازًا- علاقته المصاحبة- باعتبار، ومشاكلة باعتبار آخر، ولا غرابة فى ذلك عند البلاغيين فهناك استعارات هى كنايات فى الوقت نفسه مثل:

«بنى المجد بيتًا فاستقرت عماده»

فهى استعارة مكنية لأنه جعل المجد بيتًا، وهى فى نفس الوقت كناية من المنعة بل إن مما يرجح هذا الأمر وهو اعتبار المصاحبة علاقة تصلح للمجاز: أنه «لو صح استخدام أساليب المشاكلة علي أساس العلاقات المعروفة فى المجاز- كالسببية والمجاورة وغيرها- لما كان هناك داع أصلًا للمشاكلة لأنه حينئذ يصح أن يأتى مثل هذا اللفظ فى هذا المعني الذى جاء به، بمشاكلة وبدون مشاكلة، ولم يكن مجىء هذا اللفظ فى المشاكلة هو الذى صحح استخدام اللفظ فى المعني، وإنما يكون هذا الاستخدام صحيحًا دون نظر إلي المصاحبة، والمشاكلة ليست كذلك لأن اعتبار المصاحبة ـ حقيقية كانت أو تقديرية ـ هو المصحح لهذا الأسلوب، فلا ضير أن تُعد المصاحبة هى علاقة المشاكلة، ولا ضير أن تدخل المشاكلة فى المجاز بهذا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الاعتبار»[1]

وفى ذلك رد علي الدسوقى ومن لف لفه حين استبعد إيجاد علاقة مصححة للمشاكلة غير السببية والمجاورة فقال: «وأما كونها غير مجاز فلعدم العلاقة المعتبرة لأن الوقوع فى الصحبة ليس من العلاقات»[2]، إذ ليس ثمة ما يمنع أن تكون علاقة المصاحبة من العلاقات المعتبرة ولهذا الرأى وجاهته، ولعله يكون إجابة لصاحب الأطول الذى لا يعتد هو الأخر بهذه العلاقة[3]، ولن يكون هناك طريق للتوفيق بين هذه الآراء جميعها إلا بنحو ما أوضحناه هنا.. ونخلص من هذا إلي أن:

١- من أساليب المشاكلة ما يدخل تحت العلاقات المعتبرة للمجاز المرسل، ومنها ما يدخل تحت علاقة المشابهة فيكون استعارة، وعليه يكون أسلوب المشاكلة مجازًا مرسلًا أو استعارة باعتبار، ومشاكلة باعتبار آخر وإن كان ذلك مرجوحًا.

٢- إذا اعتبرنا المصاحبة علاقة من علاقات المجاز، فلا مانع أن نسمى ما جاء علي هذه العلاقة مشاكلة، ويكون الكلام- أيضًا- مجازًا باعتبار ومشاكلة باعتبار آخر.. والله تعالي أعلي وأعلم.

---

(١) دراسات في علم البديع د .أحمد علي ص ١٤٠ بتصرف.

(٢) حاشية الدسوقي على شرح السعد ٤ /٣٠٩ من شروح التلخيص.

(٣) ينظر: الأطول للعصام ٢ /١٩١

قرينة المجاز في المشاكلة:

وسواء اندرجت المشاكلة تحت المجاز المرسل لعلاقة السببية، أو تحت الاستعارة لعلاقة المشابهة، أو اندرجت تحت علاقة مصححة وهى علاقة المصاحبة، فإنه لابد فى ذلك كله من قرينة، إذ لا مجاز بدون قرينة، ومن الملاحظ أن أحدًا لم يتحدث عن قرينة المشاكلة حتي جاء السيوطى، فألمح إليها وذكرها ذكرًا عابرًا حينما تحدث عن المشاكلة التقديرية فى قوله تعالي: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ قال: «والأصل فيه أن النصاري كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمونه المعمودية، ويقولون: أنه تطهير لهم، فعبّر عن الإيمان، بـ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ للمشاكلة بهذه القرينة»[1] أى: أن القرينة هنا هى مناسبة نزول الآية وذكر كلمة (الصبغ) فيها.

والأمر كذلك، فاللفظ الذى وردت المشاكلة لأجله هو قرينتها يستوى فى ذلك أن يكون مذكورًا بالفعل أو مقدرًا.. وكما أن القرينة فى المجاز تكون لفظية وتكون معنوية فهى كذلك فى المشاكلة، فالقرينة اللفظية هى التى يذكر معها لفظ المشاكلة لتصحيح العلاقات فى هذا التركيب، والقرينة المعنوية تكون فى غير ذلك، فقد تكون فى

(1) شرح عقود الجمان للسيوطي ص١١١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

سبب نزول الآية كقوله تعالي ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ ﴾ [البقرة: ١٣٨] علي نحو ما ذكرنا، أو كأن تجيء مصاحبة للفعل كما فى قول الشاعر:

وأغرس الفعل الجميل غرائسًا

فإذا عزلت فإنها لا تعزل

فإن هذا القول كان مصاحبًا لقيام الرجل بغرس بعض النبات.. وهكذا، ولعله لوضوح القرينة فى المشاكلة وعدم صحة الأسلوب أصلًا إلا بها، لم يتحدث عنها العلماء، ولم يعيروها اهتمامًا.

المبحث الثاني

المشاكلة في مقام الحديث عن ذات الله وصفاته..

وموقع المشاكلة عمومًا من البلاغة العربية

وإذا كان الأمر كذلك فى جعل المشاكلة من باب المجاز، فلا يجوز بحال من الأحوال جعل آيات المشاكلة التى تحوى بعض صفات الله سبحانه من قبيل المجاز، بل يجب أن نستثنى الصفات من هذه القاعدة فتحمل علي الحقيقة، ذلك أن العقل والنقل دل علي إمرار هذه الصفات علي حقيقتها وظواهرها، دون ما لجوء إلي القول بأنها من قبيل المجاز أو بإخراجها عن ظاهرها، كما أن «أهل السنة مجمعون علي الإقرار بالصفات الواردة كلها فى القرآن والسنة، والإيمان بها وحملها علي الحقيقة لا علي المجاز»[1].

يقول القاضى أبو يعلى فى شأن صفات الله سبحانه: «إن الواجب حملها علي ظاهرها وأنها صفات الله لا تشبه صفات سائر الموصوفين بها من سائر الخلق..» إلي أن قال: «إن الصحابة ومن بعدهم من التابعون حملوها علي ظاهرها ولم يتعرضوا لتأويلها ولا صرفوها عن

(1) الفتوى الحيوية لابن تيمية ص٥١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ظاهرها»[1].

علي أن الصفات- كالمكر والاستهزاء وغيرها- كثيرًا ما تطلق علي الخالق والمخلوق مع اتساع الفرق بينهما من ناحية قيام الصفات بالذات، وكيفية وحقيقة وكنه هذه الصفات، فلو جعلنا صفات الله وأسمائه من أمثال قول الله تعالي ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[آل عمران: ٥٤]، وقوله ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٤،١٥] وقوله ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ [النساء: ١٤٢]... إلخ.. لو جعلنا هذه الصفات من المجاز مراد بها غير الظاهر، لكانت هذه الصفات حقيقة للمخلوق مجازًا للخالق، وهذا من أبطل الأقوال وأعظمها تعطيلًا، فلا يكون رب العالمين موجودًا حقيقة ولا حيًا حقيقة ولا مريدًا حقيقة ولا ملكًا حقيقة ولا ربًا حقيقة، وكفي أصحاب هذه المقالة بها كفرًا.

وهذا القول لازم لكل من ادعي أن المجاز فى شيء من أسماء الرب وأفعاله، فإنه إنما فرّ إلي المجاز لظنه أن حقائق ذلك ما يختص بالمخلوقين، وأنه لا فرق بين صفة وصفة وفعل وفعل[2].. وهذا - بالطبع- يستلزم حمل صفات المكر والاستهزاء.. إلخ بحق الله تعالي

---

(1) الفتوى الحموية لابن تيمية ص.٣٥

(2) ينظر: الصواعق المرسلة لابن القيم ص.٣١٠

علي المعني المحمود فى هذه الصفات.

كما أن القائل بالمجاز فى الصفات يتهم الله بالعجز عن وصف نفسه، فالمتكلم فى الصفة لو قال إنها مجازٌ مراد بها غير ظاهرها، للزم إنشاء وضع جديد لذلك اللفظ.. وكان حكمه علي الله ورسوله صلي الله عليه وسلم أنه أراد بهذه الألفاظ خلاف معانيها المفهومة عنها عند التخاطب، وهذا ضد البيان والتفسير وهو بالتلبيس أشبه منه بالتبيين، فتعالي عنه أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين[1].

فإذا كان الأمر كذلك تبين لنا مدي الخطأ الذى وقع فيه الخطيب القزوينى وجلُّ البلاغيين والمفسرين من قبله ومن بعده، حين عدوا أمثال قول الله تعالي ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾[آل عمران: ٥٤] من قبيل المجاز المرسل.. يقول الخطيب: «قوله تعالي: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ ﴾تجوز بلفظ المكر عن عقوبته لأنه سببها»[2].

ثم يسوق احتمال كون صفة المكر حقيقة فى حقه سبحانه بصيغة التضعيف فيقول: «قيل: ويحتمل أن يكون مكر الله حقيقة، لأن المكر هو التدبير فيما يضر الخصم وهذا محقق من الله تعالي باستدراجه

(1) ينظر: الصواعق المرسلة لابن القيم ص٣٣٨.

(2) الإيضاح للخطيب القزويني ٤ /٣٧ من شروح التلخيص.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

إياهم بنعمه مع ما أعد لهم من نقمه»[1].

وهذا كما هو واضح قول غيره علي الرغم أن ما ساقه هو فى معني المكر يمكن أن يعد هو المعني الحقيقى لهذه الصفة ومع ذلک فقد صرح فيه بالمجاز.. بينما الواجب جعل هذه الصفة وأمثالها من قبيل الحقيقة، إذ إن من أعظم وسائل التعطيل – لصفات الله سبحانه – القول فى الصفات بأنها مجاز ومراد بها غير ظاهرها، لأن ذلک سيكون «ذريعة لنفي كثير من صفات الكمال والجمال ونفي ما ثبت فى كتاب الله، وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم، وذلک لا شک أنه محال»[2].. وإن كان الخطيب قد أدرک هذا الأمر، ونقله عن غيره بصيغ التضعيف والاحتمال، فالملاحظ أن غيره من البلاغيين قد انتصر لجعل صفة المكر وغيرها من صفات المجازاة المتعلقة بالمشاكلة وعدَّها من قبيل المجاز لا الحقيقة، بل إن بعضهم أوجب ذلک وعلل له.

يقول صاحب عروس الأفراح – مبطلًا لهذا الاحتمال الذى ساقه الخطيب – من كون صفة المكر حقيقة: «لا يصح ذلک، لأن التدبير أيضًا يستحيل نسبته حقيقة إلي الله تعالي، قال الجوهرى: التدبير فى الأمر أن ينظر إلي ما تؤول إليه عاقبته، وقال الراغب: هو التفكر فى دبر

---

(1) السابق.

(2) منع جواز المجاز للشنقيطي ص3، 4.

الأمور، وقال الغزالى: هو جودة الرويۀ فى استنباط الأصح وهو علي الله تعالي محال، ولذلک فسر قوله تعالي ﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾[السجدۀ: ٥] بأنه أقام بذلک من يدبِّره، وقيل: معناه يقضى، وقيل يريد»[١].

ويلاحظ هنا التكلف والتأويل لصفات الله سبحانه، وذلک إنما سببه ظنيۀ التشابه بين صفات الخلق وصفات الخالق.

علي أن فيما قاله السبكى هنا نظر، فإن القائل بذلک «إنما فر إلي المجاز لظنه أن حقائق ذلک مما يختص بالمخلوقين، ولا فرق بين صفۀ وصفۀ وفعل وفعل»[٢]، والجواب عن ذلک: أن الصفات تختلف حقائقها باختلاف موصوفاتها، فللخالق جل وعلا صفات حقيقۀ تليق به، وللمخلوق صفات حقيقۀ تناسبه وتلائمه وكل من ذلک حقيقۀ فى محله»[٣]، فبطل بذلک قول صاحب عروس الأفراح ومن ساق لهم وذكر أقوالهم كالجوهرى والراغب والغزالى.

كما بطل أيضًا كلام الشريف الرضى فى تعليقه علي قول الله تعالي: ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾[البقرۀ: ١٥] فى قوله: «الوصف بحقيقۀ الاستهزاء غير

---

(١) عروس الأفراح لبهاء الدين السبكي ٣٨/٤ شروح التلخيص.

(٢) الصواعق المرسلة لابن القيم ص٣١٠.

(٣) منع جواز المجاز للشقنيطي ص٥٣.

جائزة عليه تعالي، لأنه عكس أوصاف الحكيم وضد طريق الحكيم»[1] وفى تعليقه علي قوله سبحانه ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾[آل عمران: ٥٤] بقوله: «وهذه استعارة لأن حقيقة المكر لا تجوز عليه تعالي»[2].

وبطل كذلك كلام كل من قال بذلك من المفسرين وعلماء الكلام والبلاغيين، إذ لا يجوز بحال من الأحوال جعل المكر أو الاستهزاء فى حقه سبحانه مجازًا أو استعارة كذا دون ما قرينة صارفة تكون قاطعة، بل هى صفات حقيقة ثابتة فى حقه سبحانه علي الوجه الذى يليق بجلاله وكماله.

وما يقال فى صفاته سبحانه يقال فى ذاته فلا يجوز أيضًا حمل الذات علي المجاز وتأويلها بصرفها عن حقيقتها وظاهر معناها، وذلك كما فى قوله تعالي: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾[المائدة: ١١٦].

يقول الأنبابى: «وفى الفنري: الظاهر أن مراده، أن المعني ولا أعلم ما فى ذاتك، فعبَّر عن الذات بالنفس بقوله: ﴿مَا فِي نَفۡسِي﴾، ثم يعلق الإنبابى علي ذلك فيقول: «وأنت خبير بأن لا أعلم ما فى ذاتك

---

(1) تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي ص١١٣،١١٤

(2) تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي ص١٢٣

وحقيقتك، ليس بكلام مُرضِى، بل الوجه أن يقال عبر من: (لا أعلم معلومك) بلا (أعلم ما فى نفسك)، لوقوع التعبير عن (تعلم معلومى) بـ(تعلم ما فى نفسى) كذا فى شرح الكشاف».. ثم يقول معلقًا: «وقول الزمخشرى: (ليس بكلامٍ مُرضى)، يحتمل أن وجه كونه ليس مرضيًا أنه لا يظهر كون المعلوم فى الذات إلا إذا كان مطبوعًا فيها منتقشًا، والله تعالي منزه عن ذلك، بخلاف المخلوق فإنه تنطبع المعلومات فى نفسه وتنتقش فيها»[1].

والأنبابى حين يقول: «إن النفس تطلق علي الذات وعلي القلب، وهى بالمعني الأول يجوز إطلاقها علي الله تعالي لكن علي سبيل المشاكلة لا علي الانفراد، لإيهام أن المراد بها القلب»[2]، وكذا فى عدم رده علي تأويل الزمخشرى بصفة النفس بالمعلوم، متأثر بشرّاح التلخيص كما هو متأثر إلي حد ما بصاحب الكشاف- المعتزلى النزعة- يقول السبكى أحد شراح التلخيص: «ويمكن أن يقال: (النفْس وإن أطلقت علي الذات فى حق غير الله تعالي فلا تطلق فى حقه، لما فيه من إيهام معناها الذى لا يليق بغير المخلوق)..»[3]، ويقول المغربى:

---

(1) تقرير الأنبابي٤ /٣٦٧ ،٤٠ /٣٦٦

(2) تقرير الأنبابي٤ /٣٦٧ ،٤٠ /٣٦٦

(3) عروس الأفراح ٤ /٣١٢ من شروح التلخيص.

«وإطلاق النفس علي ذات القديم تعالي لا يصح إلا للمشاكلة لوقوعه فى صحبة من له النفس حقيقة مع ذكرها لفظًا، وهذا بناءً علي أن النفس مخصوصة بالحيوان أو بالحادث الحى مطلقًا، ويدل عليه قوله تعالي ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[آل عمران: ١٨]، وقيل: إن النفس فى الآية عام مخصوص بمن يقبل الموت من الحوادث»[1].

وفى الحقيقة أننا حيال ذلك نستطيع أن نجزم أنهم ما تصوروا بكلامهم هذا سوي التشابه فى الصفات بين الخالق والمخلوق، والحق أننا لا نستطيع أن ننفى عن الله سبحانه ما أثبته لنفسه من صفة (النَّفْس)، لأن نفيها أو تاويلها يحتاج لقرينة مانعة وليس ثمة، بل القرينة علي إثباتها، وذلك بورودها فى القرآن من غير مشاكلة كما فى قوله ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[آل عمران: ٢٨] وقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[الأنعام: ٥٤]، وورودها كذلك فى السنة المطهرة وكما فى صلي الله عليه وسلم: (أنت كما أثنيت علي نفسك)[2]، وليس معني ذلك أننا نتهم أحدًا فى عقيدته، بل الذى نعتقده أن الكل يقصد

---

(1) مواهب الفتاح٣١١ ، ٤ /٣١٢ من شروح التلخيص.

(2) رواه مسلم في كتاب الصلاة ٢٢٢ وأبو داود في كتاب الصلاة ١٤٨، والنسائي في كتاب قيام الليل باب ٥١ والترمذي في كتاب الدعوات باب ٧٥، ١١٢، وابن ماجة في كتاب الدعاء باب ٣ والموطأ في كتاب مس المصحف ٣١ ومسند أحمد١/١٥٠،١١٨، ٦/٥٨

إلي التنزيه ولا ريب فى ذلك، وإنما فقط نريد أن نقرر حقيقة هامة، ألا وهى:

أنه ما دام الله قد أثبت لذاته نفسًا فهو كما أثبت، وما ينبغى فعله هو أن يتوقف الأمر فيها علي المسموع خوفًا من الوقوع فى المحظور، من تأويل أو مجاز أو تعطيل، فيُكتفى بفهم المراد من ظاهر الصفة دون البحث عن الكنه، وذلك لا يمنع أن تطلق هذه الصفة عليه سبحانه علي الانفراد، شأنها فى ذلك شأن سائر صفاته كالعلم والقدرة مع مراعاة أن تكتفى فى ذلك بفهم المراد من ظاهر الصفة دون البحث فى الكنه أو الحقيقة، وما جاء من ذلك سواء بمشاكلة أو بغير مشاكلة فى القرآن والحديث فهو كما ثبت، ومعاذ الله أن يقع فى وهم مسلم صحيح الإيمان أن نفس الله كنفس الإنسان والحيوان، أو أنها تدخل فى عموم قوله تعالي: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾مَا. فتعالي الله عن ذلك علوًا كبيرًا، بل إن صفة النفس وسائر صفاته ثابتة له فى إطار قوله تعالي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشوري: ١١].

أولًا: المشاكلة في مقام الحديث عن ذات الله وصفاته:

أ – إطلاق صفة النفس على الله سبحانه مشاكلة :

وقد سبق أن ذكرنا لذلك قول الله تعالي: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾[المائدة: ١١٦] وأوضحتُ أن فى هذه الآية أطلق الله علي ذاته تعالي (النفس) لوقوعه فى صحبة (نفس عيسي عليه السلام) علي سبيل المشاكلة والمقابلة، ومن ثم كان شبيها بقوله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ﴾ [آل عمران: ٥٤]، وقوله: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾[البقرة: ١٤، ١٥] وخص هنا النفس لأنها مظنة الكتم والانطواء علي المعلومات(١)، يقول المرتضي فى أماليه: «وإنما حسن أن يقول تعالي مخبرًا عن نبيه- عيسي- ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾من حيث تقدم قوله ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي﴾ ليزدوج الكلام، ولهذا لا يحسن ابتداءً أن يقول: (أنا لا أعلم ما فى نفس الله)»(٢).

وللآلوسى فى إجراء المشاكلة هنا لفتة كريمة، إذ يشير إلي أن الآية من المشاكلة إلا أنها ليست فى إطلاق النفس بل فى لفظ (فى) فإن مفادها بالنظر إلي ما فى نفس عيسي عليه السلام: الارتسام والانتقاش ولا يمكن ذلك نظرًا إلي الله تعالي، وإلي هذا يشير كلام بعض

---

(١) ينظر: البحر المحيط٤/٥٩

(٢) الأمالي للمرتضى١/٣٢٧

المحققين[1].. وإن كان الأولي هو الأول، لكونه قريب التناول وليس ثمة تكلف فيه، وعليه جمهور المفسرين والبلاغيين.

يقول الأنبابى فى تقريره علي شرح السعد: «والمناسب أن يقال أن القول بالمشاكلة فى الآية مبني علي القول بأن النفس لا تطلق علي القديم، أما علي القول بأنها تطلق عليه فلا مشاكلة فيها»[2]، اللهم إلا إذا قُدر أن المعلوم فى الذات لا يظهر إلا إذا كان مطبوعا فيها منتقشًا، والله تعالي منزهٌ عن ذلک، بخلاف المخلوق فإنه تنطبع المعلومات فى نفسه وتنتقش فيها.

والذى ذهب إليه فريق كبير من العلماء هو الرأى الأول وهو أن فى إطلاق النفس علي الله تعالي هنا مشاكلة لوقوعها فى صحبة نفس عيسي عليه السلام.

وأقول: إن فى الآية مشاكلة سواء كان ذلک علي رأى من ذهب إلي جواز إطلاق النفس عليه سبحانه أو من لم يجزه.. نظرًا للمقابلة والوقوع فى الصحبة مع ذكره لفظًا، أما الخلاف: ففى إطلاقها منفردة، ذلک أن جدلًا كبيرًا وقع بين العلماء فى جواز نسبة النفس والذات إلي الله سبحانه.

---

(1) ينظر روح المعاني للآلوسي.٣/٦٧ .

(2) الأنبابي.٤/٣٦٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فمنهم من ذهب إلي أن القول بأن لله نفسًا لا يجوز إطلاقها إلا مشاكلة وما جاء منسوبًا إلي الله علي الانفراد فلا يجوز إطلاقه فى غير ما ورد للإيهام، قال الأنبابى: «لا يقال أنه ورد فى الحديث: (أنت كما أثنيت علي نفسك)[1] وفى القرآن الكريم: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[آل عمران: ٢٨]، ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[الأنعام: ١٢] لأنا نقول: إنه وإن أطلق من غير مشاكلة فى ذلك لا يجوز الإطلاق من غير مشاكلة فى غير ما ورد للإيهام»[2].. وقال المغربى: «وإطلاق النفس علي الذات القديم تعالي لا يصح إلا للمشاكلة لوقوعه فى صحبة من به النفس حقيقة مع ذكرها لفظا، وهذا بناء علي أن النفس مخصوصة بالحيوان، أو بالحادث الحى مطلقًا، ويدل عليه قوله تعالي: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[آل عمران: ١٨٥]»[3].

ويقول الدسوقى: «والحاصل أن النفس تطلق بمعني الذات وبمعني الروح وحينئذ فلا يجوز إطلاقها عليه تعالي ولو بالمعني الأول إلا علي سبيل المشاكلة للإيهام، فإن قلتَ: قد ورد فى الحديث: (أنت

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) الأنبابي٤/٣٦٦

(٣) مواهب الفتاح للمغربي٣١١ ،٤/٣١٢

كما أثنيت علي نفسك)[1] وفى الآية ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨] ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[الأنعام: ٥٤] قلتُ: وإن أطلق من غير مشاكلة فى ذلك، وإنه لا يجوز الإطلاق من غير مشاكلة فى غير ما ورد»[2].. ويلاحظ أن رأي الدسوقى والأنبابى مشابه تماما لرأي المغربى الذى يري هو الآخر قصر المشاكلة علي آية المائدة لوقوعه فى صحبة من له النفس حقيقة عرفية مع ذكره لفظا، أما غير آية المائدة وإن جاز إطلاقها فى غير مشاكلة فذلك مقصور علي ما ورد منعا للإيهام.

ومنهم من يجوِّز إطلاق النفس علي ذاته تعالي ويجعل ذلك بحسب العلاقة، قال العصام: «ولم يوجد إطلاق النفس فى غير صورة المشاكلة، وأما إطلاق النفس فى ذاته فبعلاقة أنه كما تقوم أمور الشخص بنفسه تقوم أموره تعالي بذاته، فنفْسه هو ذاته»[3].

ومنهم من يمنع ذلك لما فيه – بزعمه – من الإيهام ويشترط أيضًا المشاكلة، وفى ذلك يقول السبكى: «ويمكن أن يقال: النفس وإن أطلقت علي الذات فى حق غير الله تعالي فلا تطلق فى حقه، لما فيه

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) حاشية الدسوقي ٣١٢/٤ من شروح التلخيص.

(٣) الأطول.١٩٢/١

من إيهام معناها الذى لا يليق بغير المخلوق فلذلك احتيج إلي المشاكلة، لأن ما فى النفس إن أريد به المضمرات فلا مطابقة من جهة الله تعالي فوجب المشاكلة، وإن أريد به ما فى الحقيقة والذات فالمشاكلة من حيث إدخاله فى الظرفية[1].

ومما قيل فى تفسير هذه الآية: ما جاء عن بعض المفسرين من أن المعني: إنک يا ربى لا يخفي عليک ما أضمره فى نفسى مما لم أنطق به وما أظهره بجوارحى، فكيف بما قد نطقتُ به وأظهرتُه بجوارحى، يقول: عيسي عليه السلام لو كنتُ قد قلتُ للناس ﴿ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾﴿فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾لأنک تعلم ضامر النفوس مما لم تنطق به، فكيف بما قد نطقتْ.. ﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾يقول: ولا أعلم أنا ما أخفيتّه عنى فلم تطلعنى عليه، لأنى إنما أعلم من الأشياء ما أعلمتنيه ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ أى: العالم بخفيات الأمور التى لا يطلع عليها سواک ولا يعلمها غيرک، وفيها: تقرير للجملتين لأن ما انطوت عليه النفوس، من جملة الغيوب، ولأن ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهى إليه علم أحد.. والحق أنه ليس ثمة مشاكلة فعلًا إلا فى هذه الآية- آية المائدة- لأن اللفظ فى غيرها أطلق ولم يكن ثمة مصاحبة له فى اللفظ، علي ما سبق تقريره.

---

(1) ينظر: عروس الأفراح ٣١٢/٤ شروح التلخيص.

وتتسق آراء البلاغيين وجل المفسرين فى صفة (لنفْس) مع معتقدهم القائم علي تعطيل وتأويل كل ما عدا صفات المعانى السبع بزعم الإيهام وتنزيه البارى سبحانه وهذا ما لاحظناه خلال الأسطر القليلة الماضية ..وإنما حداهم لهذا: إيهاهم أن ما بالمخلوقين من صفات هو عينه ما للخالق فأهموا التشبيه.. والأمر فى الحقيقة علي التقييد وأن لكلٍّ صفاته التى تليق به .

ب: المشاكلة فى مقام الحديث عن صفاته تعالي.. الحياء تموذجًا

على أن ما قيل فى صفة (النفس) قال مثله فى صفة (الحياء) باعتبار أن الصفتين من صفات الذات لله تعالي.. فقد جاء إثبات هذه الأخيرة فى العديد من الأحاديث من نحو قوله صلي الله عليه وسلم: (إن الله يستحى من ذى الشيبة المسلم أن يعذبه) [1]، وقوله: (إن الله كريم يستحيى إذا رفع العبد يديه أن يردهما صفرا حتي يضع فيهما خيرا) [2].

ما يعني أن نفيها فى قول الله تعالي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ

(1) رواه الطبراني في الأوسط وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٤٩/١٠ من حديث أنس بن مالك.

(2) رواه أبو داود في كتاب الوتر باب ٢٣ والترمذي في كتاب الدعوات باب ١٠٥ وابن ماجة في كتاب الدعاء باب١٣ ، والإمام أحمد في المسند٥/٤٣٨ ، ٣١٤/٦ من حديث سليمان الفارسي وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب.

مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾[البقرة: ٢٦]، وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾[الأحزاب: ٥٣]، لا يعني نفيها مطلقا، وإنما علي سبيل المشاكلة وفى مقابلة ما استُنكر فى الآيتين.

فقد جاءت المشاكلة فى الآية الأولي تقديرية لكونها جاءت علي سبيل المقابلة لكلام الكفرة حين قالوا: أما يستحيى رب محمد أن يضرب مثلًا بالذباب والعنكبوت؟ فنزلت.. وقد اختار الطبرى ما ذكره ابن عباس وابن مسعود وأناسا من أصحاب النبى صلي الله عليه وسلم من أنه «لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين، يعنى قوله لهم: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾[البقرة: ١٧]، وقوله: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[البقرة: ١٩].. قال المنافقون: الله أعلي وأجل من أن يضرب هذه الأمثال فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً ﴾﴿كُلَّمَا. إلي قوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[البقرة: ٢، ٢٧] [1] فتكون من قبيل المشاكلة التحقيقية.

وهذا وإن كان «أمس بالسورة وهو به مناسب»[2]، علي حد قول ابن

---

(1) تفسير الطبري ١٣٨/١ وينظر: ابن كثير.٦٤/١

(2) تفسير الطبري ١٣٨/١ وينظر: ابن كثير.٦٤/١

جرير، فالذى هو ألصق لباب المشاكلة هو القول الأول، لكونه الأكثر موافقة للمعني والأشد ملائمة لذكر البعوضة يقول ابن عطية: «إنه لما كان الجليل القدر فى الشاهد لا يمنعه فى الخوض فى نازل القول إلا الحياء من ذلك، رد الله بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ﴾علي القائلين: كيف يضرب الله مثلًا بالذباب ونحوه، أى أن هذه الأشياء ليست من نازل القول إذ هى من الفصيح فى المعني، المبلِّغ أغراض المتكلم إلي نفس السامع، فليست مما يستحى منه»[1]

وعلي أيٍّ من القولين، فالآية قد جاءت جوابًا لنكير الكفار والمنافقين لما ضرب لهم من الأمثال فى هذه السورة، ولمَا ضرب لهم من أمثال لهم ولآلهتهم فى سائر سور القرآن كتمثيل آلهتهم بالعنكبوت وفى بعضها بالذباب تشبيها لها فى الضعف والمهانة، هذا إن جعلت الآية من باب المشاكلة والوقوع فى الصحبة.

أما إن كان ذلك خبرًا منه جل ذكره أنه لا يستحيى أن يضرب فى الحق من الأمثال صغيرها وكبيرها- من غير اعتبار للمصاحبة وهو ما قال به بعض المفسرين- فإن ذلك حينئذ يكون إخبارًا بأنها سبحانه قد ضرب وساق هذه الأمثال، ابتلاء لعباده واختبارًا لهم، ليميز أهل الإيمان والتصديق به، من أهل الضلال والكفر به، إضلالا منه به لقوم

---

(1) ابن عطية.١/١٥١

وهداية منه به لآخرين[1]، ويُعضِّد هذا الأخير عدة روايات كرواية أنس، «قال: هذا مثل ضربه للدنيا وإن البعوضة تحيا ما جاعت فإذا سمنت ماتت، وكذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضرب الله لهم هذا المثل فى القرآن إذا امتلئوا من الدنيا يأخذهم الله عند ذلك، قال: ثّم تلا: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾[الأنعام: ٤٤].. وفي رواية: فذلك قوله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾[الأنعام: ٤٤]، أو أن ذلك مثلٌ لأعمال العباد وأنه لا يمتنع أن يذكر منها ما قل أو كثر ليجازى عليه ثوابًا وعقابًا، وعلي هذين القولين لا ارتباط للآية بما قبلها بل هى ابتداء كلام»[2] وليس فى ذلك كله ثمة مشاكلة.

وللزمخشرى فى هذه الآية لفتات كريمة توضح محاسن المشاكلة فيها وتكشف بعض أسرارها، فهو يبدأ فى بيان ضرب المثل وأثر ذلك فى نفوس المخاطبين قائلًا: «سيقت هذه الآية لبيان أن ما استنكره الجهلة والسفهاء أهل العناد والمراء من الكفار، واستغربوه من أن تكون المحقرات من الأشياء مضروبًا بها المثل، ليس بموضوع للاستنكار والاستغراب من قِبَل أن التمثيل إنما يُصَار إليه لما فيه من

---

(1) ينظر: تفسير الطبري ١/١٣٨

(2) تفسير الطبري ١/١٣٨

كشف المعني ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب، وإدناء المتوهم من المشاهد، فإن كان المتمثل له عظيمًا كان المتمثل به مثله وإن كان حقيرًا كان المتمثل به كذلك، فليس العِظَمُ والحقارة فى المضروب به المثل إذًا إلا أمرًا تستدعيه حال المتمثل به وتستجره إلي نفسها»، ثم يمثل لذلك مستأنسًا فيقول:

«ألا تري إلي الحق لما كان واضحًا جليًا أبلج كيف تمثل له بالضياء والنور، وإلي الباطل لما كان بضد صفته كيف تمثل به بالظلمة، ولما كانت حال الآلهة التى جعلها الكفار أندادا الله تعالي لا حال أحقر منها وأقل، وكذلك جعلت بيت العنكبوت مثلها فى الضعف والوهن وجعلت أقل من الذباب وأخس قدرًا، وضربت لها البعوضة فالذى دونها مثلًا، لم يُستنكر ولم يُستبدع ولم يُقل للمتمثل استحيى من تمثيلها بالبعوضة، لأنه مصيب فى تمثيله محق فى قوله سائق للمثل علي قضية مضربه، محتذٍ علي مثال ما يحتكمه ويستدعيه».. ثم قال بعد أن ذكر العديد من الأمثلة موضحًا الغرض من سوقها: «والتمثيل بهذه الأشياء وبأحقر منها لَمِمَّا لا تغبى استقامته وصحته علي من به أدني مسكة»[1].

وبهذا أوقفنا الزمخشرى علي جمال ما تحتويه المشاكلة هنا فى

(1) الكشاف للزمخشري ١/٢٦٢

ضرب المثل بالبعوضة وما دونها، واسترعى انتباهنا إلي ضرورة وجود المناسبة بين المضروب من المثل والمضروب له المثل فى العظم والحقارة، كما كشف اللثام عن الهدف فى ضرب مثل هذه الأمثال من كشفٍ للمعني ورفعٍ للحجاب عن الغرض المطلوب، وإدناء المتوهم من المشاهد.

فإذا ما أضفنا إلي ذلك ما ذكره الطبرى من أهداف أخر- ككون ذلك جوابًا لنكير الكفار والمنافقين لِمَا ضرب لهم من أمثال، أو كجعل ذلك ابتلاء لعباده واختبارًا منه ليميز به أهل الإيمان به من أهل الضلال والكفر ـ واتضحت لنا معالم الصورة وانكشفت لنا محاسن ضرب الأمثال فى القرآن ومدي تأثيرها فى المؤمنين والمعاندين علي حد سواء، سواء كان ذلك بالتصديق والإيمان بها أ وبإنكارها وإقامة الحجة من خلالها.. تبين لنا روعة الأداء ورقة المعني وحسن السياق، علي أن الزمخشرى فى عرضه للأوجه المحتملة فى هذه الآية يشير إلي احتمالين:

الأول: أن يكون قد جاء علي سبيل التمثيل والإخبار.

والثانى: أن يكون قد جاء علي سبيل المشاكلة التقديرية أو التحقيقية، وهو ما عبر عنه بقوله: «علي سبيل المقابلة وإطباق الجواب علي السؤال»، وذلك الوجه مقتضاه أن تكون هذه الآية واقعة جوابًا

علي كلام الكفرة حين «قالوا: أما يستحيى رب محمد أن يضرب مثلًا بالذباب والعنكبوت؟» أو استنكارهم ضرب المثل بـ(المستوقد) و(الصيب) فى الآيات السابقة عليها.. ثم عقب صاحب الكشاف علي ذلك بقوله: «وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب ثم ساق لذلك أمثلة تعضد ذلك ببناء الجار وسبوطة الشهادة»[1].

والزمخشرى فى عرضه هذا مصيب غاية الإصابة، لأنه أوضح المقصود وأبان عن المطلوب وهو رائد فى تقرير المسألة، وأكثر المفسرين- فضلًا عن علماء البلاغة- جري علي نمطه فيما أثبته، فالرازى ينقل عنه عبارته القائلة: «يجوز أن تقع هذه العبارة فى كلام الكفرة فقالوا: (أما يستحيى رب محمد أن يضرب مثلًا بالذباب والعنكبوت)، فجاء هذا الكلام علي سبيل إطباق الجواب علي السؤال وهذا فن بديع من الكلام»[2] بلفظها ومعناها.. وكذا نقل عنه اشتقاق كلمة بعوضة[3].. مما يدل علي أخذه منه واتفاقه معه، وكذلك نري أبا حيان بعد ذكره لأقوال السابقين يوافق الزمخشرى والرازى، ويثبت العبارة بعينها ويضيف إليها أمثلة أخري، وأبو السعود أيضًا يلخص ما

(1) الكشاف للزمخشري ١/٢٦٣

(2) الفخر الرازي ٢/١٤٥

(3) الفخر الرازي ٢/١٤٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قيل قبله ثم يصرح بالمشاكلة ويسوق بيت أبى تمام الذى استدل به الزمخشرى علي المشاكلة (إنى بنيت الجار قبل المنزل)[1].

وفى آية الأحزاب: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾[الأحزاب: ٥٣] إثبات صفة الحياء المنفية عن الله سبحانه فى مقابلة حيائه صلي الله عليه وسلم علي وجه المقابلة والمشاكلة، وذلك لأجل الوقوع فى الصحبة تحقيقا، وقد جاء ذلك فى معرض حديث القرآن عما ينبغى أن يتحلي به المؤمنون عند دخولهم بيوت النبى صلي الله عليه وسلم من الاستئذان وعدم الإثقال، وبيّن سبحانه لهم ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ﴾«أى: فيستحيى من إخراجكم ويمنعه حياؤه أن يأمركم بالانصراف لخلقه الرفيع وقلبه الرحيم، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾ أى: والله جل وعلا لا يترك بيان الحق ولا يمنعه مانع من إظهار الحق وتبيانه لكم، قال القرطبى: «هذا أدب أدَّب الله به الثقلاء، وفى كتاب الثعلبى: حسبك عن الثقلاء أن الشرع لم يحتملهم»[2].

وسيأتى الحديث عما جاء علي حدِّ المشاكلة من سائر صفات الله تعالي وأفعاله، لبيان أنه مما يجب حمله علي الحقيقة شأنه شأن ما

---

(1) تفسير أبو السعود. ١/٧٢

(2) صفوة التفاسير. ١٢/٥٣٥

تكلمنا عنه هنا من صفتى النفس والحياء

ثانيًا: موقع المشاكلة من البلاغة العربية:

ومن نافلة القول- بعد ترجيحنا لأن تكون المشاكلة من باب المجاز باستثناء صفات المجازاة ونحوها علي نحو ما أوضحنا – أن نذكر بعد ذلك أن المشاكلة جزء أصيل من البلاغة العربية، وليست محسنًا عرضيًا كما هو رأى الخطيب القزوينى، وكثيرٍ ممن ساروا علي دربه.

ومن العجيب أن الخطيب – وكذا من تأثر به – يحاول ما وسعه الجهد أن يسلب المشاكلة حظها البلاغى بإبعادها عن المجاز، وادعاء أنها تفارقه من حيث العلاقة، ومن حيث إنها ليست نقلًا للكلام عن أصل معناها الوضعى، وهو نفسه قد مثل بقوله تعالي: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾[الشوري: ٤٠] للمجاز المرسل الذى علاقته السببية[1]، «وليس المجاز فى الآية مفيدًا شيئًا لا تقوم به المشاكلة إذا اعتبر وجودها فى الآية الكريمة.

فالخطيب يري فى الآية مجازًا مرسلًا، وذلك من البلاغة فى

(1) ينظر: الإيضاح للقزويني ٤ /٣٧ شروح التلخيص.

الصميم، وحين يري فيها مشاكلة يصبح استعمال لفظ السيئة محسنًا عرضيًا لا يوصف حينئذ بأنه حقيقة أو مجاز، وقد ثبت لنا عكس ذلك، إذ إن المشاكلة نوع من المجاز وتحسينها الكلام هو تحسين ذاتى له شأن أى شأن فى البلاغة العربية، بل إنه قد خرج بعض شراح التلخيص علي الخطيب وقالوا بمجازية المشاكلة، كما صدَع السيوطى برأيه فقرر أن المشاكلة مجاز وأن العلاقة فيها هى المصاحبة[1] وقد نحي هذا المنحي كثير من علماء البلاغة قديمًا – علي ما مرّ بنا – وحديثًا.

يقول د. أحمد موسي: «فالحق الذى أرسله عن يقين واطمئنان، أن أساليب المشاكلة من المجاز، فمنها ما يندرج تحت المجاز المرسل.. ومنها ما ينطوى تحت المجاز بالاستعارة»[2]، وكان رحمه الله، قد عاب علي الشيخ عبد الحكيم السيالكوتى قوله: إن «القول بكونه مجازًا ينافى كونه من المحسنات البديعية، وأنه لابد فى المجاز من اللزوم بين المعنيين فى الجملة فتعين الوجه الأول، ولعل السر فى ذلك أن فى المشاكلة نقل المعني من لباس إلي لباس، فإن اللفظ بمنزلة اللباس ففيه إرادة المعني بصورة عجيبة فيكفيه الوقوع فى الصحبة فيكون

(1) ينظر: عقود الجمان ص.١١٠

(2) الصبغ البديعي د .أحمد موسى ص.٤٧٤

محسنًا معنويًا، وفى المجاز نقل اللفظ من معني إلي معني فلابد من علاقة مصححة للانتقال»[1] ثم علق يقول:

فأنت تري من هذا أن عبد الحكيم يستبعد أن تكون المشاكلة من المجاز لأنه يعز عليه ألا يكون محسنًا بديعيًا، ويلتزم، أن تكون واسطة بين الحقيقة والمجاز ملتمسًا لذلك الالتزام سرًا أعجميًا يحيط به الغموض ويكتنفه الإبهام»، وختم كلامه بقوله: «فقد استبان لك أن أسلوب المشاكلة من البيان، وهو من البلاغة فى الصميم باعتراف المتأخرين»[2].

هذا فضلًا عن أنه من المعلوم أن بلاغة العرب تعتمد علي سلامة الأذواق وصدق الفطر لا علي التكلف والتحسين العرضى، بل إن الأمر عنده- رحمه الله- أبعد من هذا، فهو يسوق كلام أبى جعفر الغرناطى فى مقدمة شرح بديعية ابن جابر الأندلسى حين ذكر بعد شرح التعريف: أن العلم بوجوه تحسين الكلام، لا يسمي بديعًا إلا بشرطين:

أن يكون ذلك الكلام مطابقًا لمقتضي الحال، وأن تكون كيفية طرق دلالته معلومة الوضوح والخفاء، فالشرط الأول هو (علم المعانى)، والشرط الثانى هو (علم البيان)، فلو عُدِم الشرطان أو أحدُهما من

---

(1) حاشية السيالكوتي على المطول ص٤٩٥

(2) الصبغ البديعي في اللغة العربية د .أحمد موسى ص٤٧٤،٤٧٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الكلام لم يكن العلم بوجوه تحسين ذلك الكلام بديعيًا، وإذا تأملت ما قررناه من أن (علم المعانى والبيان) داخلان فى حد البديع علمت أن نسبته إليهما نسبة المركب إلي مفرداته.. ويواصل د. أحمد موسي لينقل عن الغرناطى قوله فى موطن آخر:

«قد تقدم أن نسبة (البديع) من (المعانى والبيان)، نسبة (المركب) من (المفرد) فكما أن (المركب) لا يستقيم وجوده، إلا بوجود مفرداته، كذلك (البديع) لا يستقيم إلا بوجود (المعانى البيان)، فإذا عدم (المعانى والبيان) من الكلام عدم (البديع) منه، لأن المركب يعدم بعدم مفرداته، فلو وجد كلام حال من مطابقة مقتضي الحال الذى هو (علم المعانى)، أو من العلم بكيفية طرق الدلالة فى الظهور والخفاء الذى هو (علم البيان)، لم يكن العلم بوجوه تحسين الكلام بديعًا»[1].

فأين ذلك إذا من قول الخطيب فى أن مكان (البديع) من علمى البلاغة مكان التابع لا المتبوع، وعدِّه لأنواعه من المحسنات العرضية.. وما قيل هنا فى مجازية المشاكلة من حيث موقعها من بلاغة العرب ولغتهم ومن كونها من البلاغة فى الصميم ومن مسائل البيان، ومن حيث اعتمادها علي سلامة الأذواق وصدق الفطر لا علي التكلف والتحسين العرضى، يقال- بل ومن باب أولي- فى المشاكلة فيما

(1) ينظر: نفس المرجع ص٥٠٠،٥٠١

يتعلق بصفات الله سبحانه باعتبارها محمولة علي الحقيقة اللائقة بجلال الله سبحانه وذاته علي ما سيأتى الكلام عنه بالتفصيل إن شاء الله.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الباب الثاني

المشاكلة في القرآن الكريم

مواقعها وتنوعاتها

الفصل الأول: المقامات التي وردت في القرآن على حد المشاكلة

الفصل الثاني: تنوع المشاكلة في القرآن باعتبار صفات الله وأفعاله

الفصل الثالث: ما يجيء من المشاكلة على المجاز وما يتعين حمله على الحقيقة

تمهيد

نبدأ فى هذا الباب لنقف علي جوانب الإبداع القرآنى فى تناول هذا اللون من ألوان الكلام، ولنتأمل المقامات والأغراض التى كثرت فيها المشاكلة، وماذا أضافت المشاكلة -التى جاءت فى كتاب الله -إلي لغة العرب؟، ومتي كثر ورود هذا اللون فى القرآن الكريم ومتي قل؟، وما هو السر فى ذلك؟، ثم لنضع أيدينا بعد ذلك للتعرف فيما إذا كانت المشاكلة تسير فى إطار واحد فتأتى علي سبيل المجاز أم أن هناك من أوجه أخري – فى القرآن الكريم – غير المجاز يجب أن تحمل عليه المشاكلة حتي يستقيم المعني ويتم المراد؟.. وإذا كان هذا واردًا وأمرًا حتميًا فمتي يكون ذلك؟ ثم أخيرًا نتناول أوجه الحسن فى المشاكلة الواردة فى كتاب الله تعالي؟ وذلك لنوضح جوانب الإشراق الأدبى والتصوير الفنى فى تناول القرآن لهذا اللون من ألوان القول وهذا الفن من فنون الكلام .

لكن لا بد بداية من أن نسلم بما سبق أن قررناه أولًا من أن المشاكلة إنما جاءت – ضمن ما جاء – فى القران وسمعها فحول العرب، فرعت أسماعهم وشدت انتباههم وجاءت علي طريقتهم فى الكلام وما عهدوه من فنون القول حتي شغلهم ذلك عن فنون القول

الأخري من قريض وغيره .

وأنه وعلي الرغم من كثرة ورود ما جاء فى كتاب الله سبحانه علي حدِّ (المشاكلة) وقلتها فى كلامهم، وعلي الرغم من تنوع الأغراض التى جاء القرآن فى استخدامه البيانى معبرًا عنها بأسلوب المشاكلة – علي نحو ما بينا –فإن ذلك لم يمنع من مجىء المشاكلة وإبرازها فى قوة وجلاء وظهور ووضوح، مطابقةً للواقع مصورةً للحقيقة، مجانبة للمبالغة والغلو والإغراق .

كما لم يمنع من الإتيان بها أن تكون فطرية سمحة لا أثر فيها للتعقيد ولا للتفكير العميق وأن تكون قد جاءت علي حسب ما اقتضته بلاغتهم الفطرية بدون تكلف وبدون مراعاة لما تستدعيه الصناعة البديعية، الأمر الذى أدي فى النهاية إلي ازدياد إعجابهم بهذا القرآن وانبهارهم بأسلوبه حتي شغلهم –كما قلنا –عن كل ما سواه من فنون القول الأخري .

ولعل كل ذلك يؤكد لنا أن من فنون الكلام وألوان البديع فنونًا وألوانًا خالف القرآن فيها المألوف من كلام الجاهليين، بل أكثر من بعضها، وأن ذلك إنما كان حسب ما اقتضاه المقام وانسجم له نظم القرآن .

ولنبدأ هذا الجانب العملى والتطبيقى من مبحث المشاكلة، بالكلام

عن هذه المقامات وتلك الأغراض التى جاءت علي طريقة المشاكلة فى القرآن الكريم .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الفصل الأول

مواقع المشاكلة في القرآن الكريم

۞ المبحث الأول: المشاكلة في القرآن في مقامات الحديث عن: عجيب صنع الله ..والفضل بعد مشروعية العدل ..والتحذير من مكر الله.

۞ المبحث الثاني: المشاكلة في القرآن في مقام الحديث عن: التسجيل على المعاندين.. والإشعار بعلة الحكم

المبحث الأول

المشاكلة في القرآن في مقامات الحديث عن:

عجيب صنع الله

والفضل بعد مشروعية العدل.. والتحذير من مكر الله

أولًا: المشاكلة فى مقام الحديث عن عجيب صنع الله:

وفى ذلك يقول تعالي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ﴾[البقرة: ٢٦].. أى: أن الله تبارك وتعالي لا يدع ولا يستحيى من ضرب المثل بالأشياء الحقيرة لحقارتها إذا رأي الصلاح فى ضرب المثل بها، والمشاكلة فى هذه الآية هى من قبيل المشاكلة التقديرية، ذلك أن الصحبة الواقعة فى مقابل وصف الله تعالي نفسه بالحياء صحبة تقديرية.

فبعد أن سمع كفار مكة ضرب المثل بالذباب فى سورة الحج وذلك فى قول الله تعالي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾[الحج: ٧٣]، وبالعنكبوت: فى قوله تعالي: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ

أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾[العنكبوت: ٤١]، وفيهما تسفيه لما كانوا عليه من عبادة غير الله ـ جاء قوله تعالي يرد عليهم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[البقرة: ٢٦]، وذلك علي سبيل المشاكلة التقديرية و«علي سبيل إطباق الجواب علي السؤال»(١).

وفى هذا الرد الحاسم علي ما أثاره هؤلاء الكافرون من تعجب واستنكار علي الله سبحانه رغم أن فيما استنكروه حجة عليهم فزادهم الله بما قاله هنا حجة علي الحجة، فضَرْبُ المثل هنا بالبعوضة فما دونها- من ذباب وعنكبوت- جاء مناسبًا للمقام وجوابًا لنكير الكفار واليهود والمنافقين وردًا لاستنكارهم واستغرابهم، ذلك «أن التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعني ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وإدناء المتوَهَّم من المشاهد، فإن كان المتمثل له عظيمًا كان المتمثل به مثله، وإن كان حقيرًا كان المتمثل به كذلك، فليس العظم

(١) تفسير الفخر الرازي٢/١٤٥

والحقارة فى المضروب به المثل إذًا إلا أمرًا تستدعيه حال المتمثل له وتستجَرَّه إلي نفسها»[1].

يقول الزمخشرى: «ألا تري إلي الحق لما كان واضحًا جليًا أبلج كيف تمثل له بالضياء والنور، وإلي الباطل لما كان بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة، ولما كان حال الآلهة التى جعلها الكفار أندادًا لله تعالي لا حال أحقر منها وأقل، ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها فى الضعف والوهن، وجعلت أقل من الذباب وأخس قدرًا، وضربت لها البعوضة فالذى دونها مثلًا، لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل: استحِ من تمثيلها بالبعوضة، لأنه مصيب فى تمثيله محق فى قوله سائل للمثل علي قضية مضربه محتذ علي مثال ما يحتكمه ويستدعيه»[2].

بهذا أوقفنا الزمخشرى علي جمال ما يحتويه ضرب المثل هنا بالبعوضة وما دونها، واسترعي انتباهنا إلي ضرورة وجود المناسبة بين المضروب به المثل والمضروب له المثل، وأوضح أن الهدف من هذا، هو: كشف المعني ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب، وإدناء المتوهم من المشاهد، والرد علي المعاندين والكفار بمثل ما تعودوا عليه من ضرب الأمثال، وقد جاء ذلك كله بطريق المشاكلة «وإطباق

---

(١) تفسير الكشاف للزمخشري١/٢٦٣

(٢) الكشاف للزمخشري١/٢٦٢ ،١٠/٢٦٣

الجواب علي السؤال وهو- أيضًا - فن من كلامهم بديع وطراز عجيب»[1].

ومن العجيب أن يأتى استنكارهم هذا علي ضرب الأمثال بالذباب والعنكبوت فى الوقت الذى اعتادوا فيه علي مثل ذلك، فالقرآن إنما جاء هكذا علي عادة العرب فى ضربهم الأمثال بالبهائم والطيور والحشرات، وهذه أمثال العرب بين أيديهم مسيرة فى حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها بأحقر الأشياء فقالوا: «أجمع من ذَرَّة، وأجرأ من الذباب، وأضعف من فراشة وأكل من السوس، وقالوا فى البعوضة: أضعف من بعوضة، وأعز من مخ البعوض، وكلفتنى مخ البعوض»[2].

وعلي ذلك فضرب المثل بالبعوضة فما فوقها حين يأتى فى كلام الله سبحانه إنما يجئ لحكم عظيمة وهى هنا «التنبيه علي بديع خلقه سبحانه وعجيب صنعه» فقد روي (عن الإمام جعفر الصادق أنه قال: إنما ضرب الله المثل بالبعوضة- بالذات- لأن البعوضة علي صغر حجمها خلق الله فيها جميع ما خلق فى الفيل مع كبره وزيادة عضوين آخرين، فأراد سبحانه أن ينبه بذلك المؤمنين علي لطيف خلقه

---

(1) نفس المرجع ١/٢٦٣

(2) الكشاف للزمخشري ١/٢٦٢ ،١/٢٦٣

وعجيب صنعه، وقد جاء فى كتاب (حياة الحيوان)، أن البعوضة تحيا ما جاعت فإذا شبعت ماتت، فسبحان من صورها ونوع أعضاءها الظاهرة والباطنة، وأجلي بصرها وأطلع علي ضميرها ولله فى خلقه ما هو أصغر منها ولبعضهم:

يا من يري مد البعوض جناحها

فى ظلمة الليل البهيم الأليل

ويري عروق نياطها فى نحرها

والمخ فى تلك العظام النحل

اغفر لعبد تاب من فرطاته

ما كان منه فى الزمان الأول» [1].

بل إن روعة الاستخدام البيانى هنا فى التنبيه علي بدائع صنع الله سبحانه- فيما يتعلق بسوق المشاكلة التقديرية وضرب المثل علي هذا النحو ألذى أوضحناه- يَظْهر ويتلخص فى وجوه أربعة:

«أحدها: أن البعوضة قد أوجدها- الله سبحانه- علي الغاية القصوي من الإحكام وحسن التأليف والنظام، وأظهر فيها مع صغر حجمها مع بدائع الحكمة، كمِثل ما أظهره فى الفيل الذى هو غاية الكبر وعظم الخلقة- علي نحو ما بينا- وضَرْبُ المثل بالصغير والكبير عنده إذا كان فى توفيه الحكم، سواء.

---

(1) أضواء على متشابهات القرآن د .خليل ياسين.١/٣٦

الثانى: أن البعوضة لما كانت من أصغر ما خلق الله تعالي، خصها بالذكر فى القلة، فلا يستحى أن يضرب المثل فى الشىء الكبير بالكبير والحقير بالحقير، وله المثل الأعلي فى ضرب الأمثال.

الثالث: أن فى البعوضة مع صغر حجمها وضعف بنيانها من دقيق الصنع من اختصار الخصر ودقة الخرطوم ولين البشرة، ما يعجز أن يحاط بوصفه، وهى مع ذلک تبضع بشوكة خرطومها مع لينها جلد الجاموس والفيل.. وليس فى وسع أحد من البشر أن يخلق مثلها ولا أقل منها.

الرابع: أن المثل بالذباب والبعوض والعنكبوت وما يجري مجراه أتى به تعالي فى غاية ما يكون من التمثيل لأن الذى جعلها مثلًا لهم، فى غاية ما يكون من الحقارة وضعف القوة وخسة الذات والعقل، فلو شبههم بغير ذلک ما حَسُنَ موقع التشبيه، إذ الشىء لا يشبه إلا بما يماثله ويشاكله ومن أتي بالشىء علي وجهه لا يستحى منه»[1].

فأراد سبحانه أن يلفت الأنظار ويسترعى الانتباه إلي هذه البدائع من خلقه عن طريق هذه المشاكلة التقديرية، ليكون البرهان أسطع والحجة أتم وأوقع، ذلک أنه لما كان الجليل القدر فى الشاهد لا يمنعه فى الخوض فى نازل القول إلا الحياء من ذلک، رد الله بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا

(1) البحر المحيط لأبي حيان١٢٣ ، ١/١٢٤ بتصرف.

يَسْتَحْيِۦٓ ﴾علي القائلين: كيف يضرب الله مثلًا بالذباب ونحوه، أى أن هذه الأشياء ليست من نازل القول إذ هى من الفصيح فى المعني، المُبْلِغِ أغراض المتكلم إلي نفس السامع فليست مما يستحيى منه.

هذا فيما يتعلق بالمشاكلة التقديرية علي نحو ما ذكره ابن عباس والحسن وقتادة ومقاتل والفراء حين قالوا أن الآية «نزلت فى اليهود لما ضرب الله تعالي فى الأمثال فى كتابه بالعنكبوت والذباب والتراب والحجارة وغير ذلك مما يُستحقر ويُطرح، قالوا إن الله أعز وأعظم من أن يضرب الأمثال بمثل هذه المحقرات»(١).

أما علي ما ذكره «الحسن ومجاهد والسُّدى وغيرهم- من أنها- نزلت فى المنافقين، قالوا لما ضرب الله تعالي المثل بالمستوقد والصيب(٢): إن الله أعلي وأعظم من أن يضرب الأمثال بمثل هذه الأشياء التى لا بال لها»(٣)، فذلك مما يجعل المشاكلة هنا حقيقة وليست تقديرية، إذ إن الآية حينئذ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان.١/١٢٠

(٢) هو قوله :﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾وقوله:﴿قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ۞ إِنَّ ﴾[البقرة: ١٧ - ١٩].

(٣) البحر المحيط لأبي حيان .١٠/١٢٠

بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾قد وقعت فى صحبة من له الذكر حقيقة، وهو: ضرب المثل بالمستوقد والصيب.. وإن كان هذا أمس بالسورة وهو به مناسب، علي حد قول ابن جرير، فالذى أنسب لباب المشاكلة هو الرأى الأول، وعلي أىَّ فالتمثيل بهذه الأشياء وبأحقر منها مما لا تُغبي استقامته وصحته علي من له أدني مسكة من عقل.

ثانيًا: المشاكلة في مقام الحديث عن العدل بالمجازاة على الفعل بمثله

وفى ذلك جاء قول الله تعالي: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾[البقرة: ١٩٤]، وقوله: ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[الأنعام: ١٦٠]، وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا ﴾[يونس: ٢٧]، وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ﴾[الحج: ٦٠]، وقوله: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾[غافر: ٤٠].

والمشاكلة هنا فى إطلاق لفظ: (السيئة والاعتداء والعقاب) علي جزاء ذلك، لأن السيئة الثانية والعائد عليها الضمير فى قوله: ﴿فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾[الأنعام: ١٦٠]، [غافر: ٤٠] وقوله: ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا ﴾ [يونس: ٢٧] وكذا الاعتداء فى قوله: ﴿فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ ﴾[البقرة: ١٩٤]، والعقاب فى قوله: ﴿عُوقِبَ بِهِۦ ﴾[الحج: ٦٠] ليس بسيئة ولا اعتداء ولا

عقاب، وإنما هو مجازاة عن ذلك، سمي باسمه لقصد المشاكلة لوقوعه فى صحبة ما له الاسم حقيقةً.

وفى ذلك يقول ابن أبى الأصبع فيما عقده تحت باب (جناس المزاوجة): أن «السيئة الثانية- فى قوله تعالي: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾[الشوري: ٤٠] - ليست بسيئة وإنما هو مجازاة عن السيئة، سميت باسمها لقصد المزاوجة، ومثله قوله تعالي: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾[البقرة: ١٩٤]، سمي سبحانه جزاء الاعتداء اعتداء ليكون فى نظام الكلام مزاوجة»[1].

فالمعني فى: «قوله تعالي: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾[البقرة: ١٩٤] فاقتصوا منه، يمزج- يشاكل- به اللفظ بلفظ غيره، كقول العرب: الجزاء بالجزاء، والأول ليس بجزاء، ويقول: فعلت بفلان مثل ما فعل بى، أى اقتصصت منه، والأول بدأ ظالمًا، والمكافئ إنما أخذ حقه، فالفعلان متساويان والمخرجان متباينان، إذ كان الأول ظالمًا، ومثله ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾[الشوري: ٤٠]، والثانية ليست سيئة تكتب علي صاحبها ولكنها مثلها فى المكروه»[2].

---

(1) بديع القرآن لابن أبي الأصبع ص٢٨٠

(2) ما اتفق لفظه واختلف معناه للمبرد ص ١٣وما قبلها.

وهذه الآية: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾[البقرة: ١٩٤]- وقد قيل إنها أول أية نزلت فى القتال بعد ما تحمل النبى وأصحابه ما تحملوا، وبعد أن أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله- «بدأت بالأمر بقتال من قاتلهم والنهى عن الاعتداء والتنفير منه لأن ﴿ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[البقرة: ١٩٠]، وتُظهر روح القوة والتمكن التى يجب أن تكون عليها هذه الأمة التى تحمل رسالة الله فى أرضه، ولكنها قوة لا تتخطي حدود العدل، ولا تجافى روح الإنسانية، وإنما تخضع لها أحسن ما يكون الخضوع وتلتزم بها أدق ما يكون الالتزام»(١).

ويكمن سر التعبير عن هذه الأمور والتجوز بألفاظها عن الاقتصاص فى كونها مسببة عنها، فلو أنها وقعت ابتداء ممن ليس له فيها وجه حق لما تم الجزاء عليها بمثلها، وفى ذلك ما فيه من الزجر والردع من وقوع أمثال هذه الاعتداءات ابتداءً، وفى ذلك أيضًا منع للشر وردع لأصحابه ولمن تسول له نفسه بالقيام به أو النزوع إليه، ومن هنا كان التعبير (عن المجازاة بالاعتداء لأنه سببها، وقد سوغت هذه السببية أن تقيم الاعتداء مقام ما يترتب عليه وتنيب عنه فى الدلالة، ووراء هذا المجاز إبراز لقوة السببية بين الاعتداء وجزائه، وأنه- أعني الجزء-

(١) التصوير البياني د .محمد أبو موسى ص٣٤٩

يجب أن يكون نتيجةً ومحصلةً لازمة للاعتداء فهو لا يتخلف عنه، وكان هذه الفاء أيضًا مشعرة بسرعة المكافحة وضرورة الترتيب»[1].

علي أن تسمية الجزاء باسم الذنب أمر مستحسن ومقبول، ذلك ليعلم الجانى والمعتدى أنه سيجازى علي فعله ويعاقب عليه، وكذا «جزاء المسيء بمثل إساءته جائز فى جميع الملل مستحسن فى جميع العقول»[2]، ومقرر فى شرائع السماء وقوانين الأرض وأعراف الناس علي السواء ولا خلاف عليه بين البشر، وأهم ما فى ذلك كله أنه جل وعلا «اشترط المثلية فى الاعتداء جريًا علي قانون العدل وأمرًا بالإنصاف»[3]، فناقض فى ذلك الجاهليين فيما كانوا عليه من مدح الظلم كقول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فبيت عمرو «دون بلاغة القرآن لأنه لا يؤذن بالعدل كما أذنت بلاغة القرآن»[4]، بل إن فى القرآن الإيذان براجع الوبال فقط علي خلاف ما

---

(1) التصوير البياني د .محمد أبو موسى ص٣٤٨.

(2) الصواعق المرسلة لابن القيم ص٣٠٧.

(3) بديع القرآن لابن أبي الأصبع ص٢٨.

(4) النكت في إعجاز القرآن للرماني ص١٠٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ذكره عمرو بن كلثوم والذى قرر فيه مبدأ الرد علي العدوان بالمثل وبما هو فوق المثل، فتخطي حدود العدل ليصل إلي درجة الظلم.

ومن هنا فاقت أساليب القرآن واستخداماته للفظ (العدوان والسيئة والعقوبة) فى الرد بالمثل، ويكفى هذه الاستخدامات البيانية أنها أفادت الردع والزجر لمن يهم بإيقاع الاعتداء بغيره، مقررة فى ذلك مبدأ الرد علي العدوان بالمثل وحسب حال ما يقع، وتلك هى روح العدالة فى تنفيذ الأحكام علي نحو ما قررها رب الأرض والسماء الذى يعلم السر وأخفي، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، إذ هو أعلم بنفوس عباده وبما يصلح أحوالهم ويقوم اعوجاجهم ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[الملك: ١٤].

يقول الفراء: «فإن قال قائل: أرأيت قوله: ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣]! أعدوان هو وقد أباحه الله لهم؟ قلنا ليس بعدوان فى المعني، إنما هو لفظ علي مثل ما سبق قوله- يعنى بذلك قوله تعالي: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[البقرة: ١٩٠] - ألا تري أنه قال: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾[البقرة: ١٩٤]، فالعدوان من المشركين فى اللفظ ظلم فى المعني، والعدوان الذى أباحه الله وأمر به المسلمين إنما هو قصاص فلا يكون القصاص ظلما، وإنما كان لفظه واحدًا، ومثله قول الله تبارك وتعالي: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ

سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[الشوري: ٤٠] وليست من الله علي مثل معناها من المسىء لأنها جزاء»[1].

ويكفينا فقط أن نقف عند بعض هذه الآيات التى أفادت (المجازاة علي الفعل بمثله) من أمثال قوله تعالي: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾[الأنعام: ١٦٠] وقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [غافر: ٤٠]، يكفينا أن نقف علي النفى والاستثناء الذى يفيد القصر والحصر، بما يعنى أنه لا يجوز التعدى بما هو فوق المثل بحال من الأحوال، وما يفيضه ذلك من روح العدالة الإلهية بما يقيد حركة الجميع عن الخروج عن دائرة الصواب أو الدخول فى دائرة الظلم والجور.

ثالثًا: المشاكلة في مقام الحديث عن الندب إلى الفضل بعد مشروعية العدل

وقد جاء ذلك فى آيتين من كتاب الله سبحانه أولاهما فى سورة النحل وهى قوله تعالي: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾[النحل: ١٢٦]، والثانية فى سورة الشوري فى قوله تعالي ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ

(1) معاني القرآن للفراء١١٦ ،١٠/١١٧

عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾[الشوري: ٤٠، ٤٣].

فالذى سوغ استخدام العقوبة ﴿عُوقِبۡتُم بِهِۦ﴾ فى العدوان، هو: مصاحبتهَا للفظ نفسه- ﴿عَاقَبۡتُمۡ﴾ و﴿فَعَاقِبُواْ ﴾﴿٥٦﴾. والذى سوغ استخدام وإطلاق لفظ السيئة فى قوله: ﴿سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾ هو: مصاحبتها للفظ نفسه، وفى ذلك تسمية الجزاء باسم الذنب وتلك هى المشاكلة، والملاحظ أن فى استعمال الفاء فى آية النحل إشعار بسرعة المكافحة، وضرورة الترتيب، واستعمال المثلية فى كل منهما إشارة ضمنية إلي العفو، «والمعني أنه يجب إذا قوبلت الإساءة أن تقابل بمثلها»[1].. وهى بذلك تجعل الأمر عسيرًا فى كثير من الأحيان، فإذا ما أضيف إلي ذلك ما يقوي جانب العفو ويحث عليه ويدعو إليه، لا شك أن ذلك سيكون سببًا فى أن تحنَّ قلوب العباد بعضها إلي بعض وترق الأفئدة وتصفو النفوس علي طريق العفو والصفح.

يقول ابن كثير فى تفسير قول الله تعالي: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ ﴾ الآية [النحل: ١٢٦]: «إن هذه الآية الكريمة.. مشتملة علي مشروعية العدل والندب إلي الفضل كما فى قوله ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾

(1) النسفي.٤/٨٤

[الشوري: ٤٠] ففى الآية الأولي جاء عقبها: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾[النحل: ١٢٦]، وذيلت الثانية بقوله ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[الشوري: ٤٠] وفى ذلك-كما قلنا- ندب إلي الفضل وهو العفو بعد أن شرع سبحانه العدل وهو القصاص، بل إن المتأمل فى هاتين الآيتين يلحظ أمرين:

الأول: إشعار بأن العفو أفضل من المعاقبة كما دلت علي ذلك الآيات والأحاديث وأنه سبحانه لا يضيع ذلك. قال صلي الله عليه وسلم: (وما زاد الله تعالي عبدًا بعفو إلا عزاً) [١].

الثانى: أن فى ذكر العفو إعلام للمعاقب حين عاقب أنه لم يأخذ بالعفو وهو الأولي[٢].. ويأتى هذا كله بعد قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾[الشوري: ٣٩]، وحتي لا يتطرق إلي الذهن أن ذلك يؤذن بالانتصار، حقًا أو باطلًا أردف هذا «بما يدل علي أن ذلك الانتصار يجب أن يكون قصدًا بالمثل دون زيادة»[٣] وذلك خشية الوقوع فى الاعتداء المتزايد، ثم اتبع ذلك بما يوضِّح خيرية العفو وأفضلية

---

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة حديث ٦٩والدارمي في كتاب الزكاة باب ٣٥وأحمد في المسند ٣٨٦/٢.

(٢) ينظر: معترك الأقران للسيوطي.٣٦٠/٢

(٣) صفوة التفاسير للصابوني.١٤٤/١٥

الصفح.

وهكذا يفتح المولي جل وعلا طريقًا للإحسان وإفاضة البر والرحمة بين الناس، بل إن القرآن لا يكتفى بذلك حتي يذكر أحيانا ما يؤكده ويدعو إلي الصبر ويحث عليه، ففى آية النحل وبعد أن يقرر المولي مبدأ المجازاة بالمثل وعدم تخطيه جريا علي قانون العدل وأمرا بالانتصاف، يقول بعدها مخبرًا رسول صلي الله عليه وسلم ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴾ثم يؤكد الأمر بالصبر ويخبره عليه السلام ألا يبال إلا بمشيئة الله وإعانته وحوله وقوته فيقول: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ «أى: علي من خالفك فإن الله قدر ذلك ﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ ﴾ أى: غم، ﴿مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ أى: مما يجهدون أنفسهم فى عدواتك وإيصال الشر إليك، فإن الله كافيك وناصرك ومؤيدك ومظهرك ومظفرك بهم، وقوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾أى: معهم بتأييده ونصره ومعونته وهديه وسعيه»[1].

علي أنه مما تجدر الإشارة إليه أن الذى سقناه قبلًا تحت غرض (إفادة العدل بالمجازة علي الفعل بمثله) من أمثال قول الله تعالي: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ

(1) تفسير ابن كثير.٢/٥٩٢

عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾[البقرة: ١٩٤] ليس متناقضا مع الدعوة إلي العفو والحث عليه.

ذلك لأن المقام هناك- «ليس مقام تسامح لأنه يحدد الموقف بين المسلمين وغير المسلمين، وحينئذ لا عفو ولا تسامح حتي تظهر الشوكة والغلبة»[1]، وذلك علي خلاف ما ذكرناه هنا، حيث التذكير بالآية التى تشرع القصاص بين المسلمين وتحدد الصورة التى ينبغى أن تكون عليها علاقاتهم فى هذا الشأن، وفيها يقول المولي سبحانه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة: ١٧٨، ١٧٩] وفيه تري الترغيب فى العفو والتسامح يشيع فى التعبير، ولنتأمل قوله ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ ﴾ومعناه: فمن عُفى له عن جنايته، ولنتأمل كلمة (أخيه) وما تفيض به فى هذا السياق وكيف أشارت إلي أن رابطة الأخوة قائمة بين المسلم والمسلم وإن كانت بينهما ترات وإحن، وإن القرآن يُذَّكر ولي الدم بهذه الأخوة التى تربطه بالجانى ليرغب فى

(1) التصوير البياني د .محمد أبو موسى ص٣٤٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

العفو، وقوله: ﴿فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وصية لولى الدم إذا قَبِل الدية أن يتبع الجانى بالمعروف ولا يعنف به فى المطالبة»[1].

فأين كل ذلك من مبدأ الظلم الذى قرره الشاعر الجاهلى عمرو بن كلثوم فى معلقته، لا شك أن البون بينهما شاسع والفارق بعيد.

رابعًا: المشاكلة في مقام الحديث عن التكثير والموالاة والمبالغة

وهذا يفيده المشاكلة فى قوله تعالي: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾[البقرة: ٩].. فالخداع هنا حيث أطلقه الله علي نفسه فى مقابلة خداع المنافقين، إنما هو كمقابلة مكره بمكرهم، فهو علي سبيل المشاكلة التى هى ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته.

و«الخداع- فى حقيقة- إنما هو الوصول إلي المقصود من المخدوع بأن ينفعل له فيما يختار وينال منه ما يطلب علي غرةٍ.. وتمكن منه»[2]، وذلك هو الجانب المذموم منه وهو ما يتعلق بالبشر، أما الجانب الحسن، فهو ما كان منه بحق وعدل ومجازاة علي القبيح، وذلك ما يجوز فى حقه سبحانه فيكون قد «عبر عن هذا المعني بالمخادعة علي

---

(١) ينظر: التصوير البياني ص٣٤٨

(٢) البحر المحيط لأبي حيان ١/٥٧

وجه المقابلة وتسمية الفعل الثانى باسم الفعل الأول المسبب له»[1].

ويتأكد جانب المقابلة ومعني المشاكلة فى قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو (وما يخادعون إلا أنفسهم)باسم الفاعل الذى يفيد التكثير، كما يقال (ضاعفت الشىء) أى: كثر أضعافه، والمفيد للموالاة ليدل علي أن هذا الصنيع من ديدنهم وأنه يتكرر منهم دائمًا مرة تلو مرة، والمخادع فى حقيقة أمره: «ما خادع ولا كاد إلا نفسه بإيرادها موارد الهلكة وهو لا يشعر بذلك، جهلًا منه بقبيح انتحاله وسوء مآله، وعبر عن هذا المعني بالمخادعة علي وجه المقابلة، وتسمية الفعل الثانى باسم الفعل الأول المسبب له»[2] وهو ما أطلق عليه ابن عطية (إحراز تناسب اللفظ).. يقول ابن عطية فى تفسيره: «ووجه قراءة ابن كثير ومن معه إحراز تناسب اللفظ وأن يسمي الفعل الثانى باسم الفعل الأول المسبب له، ومجىء ذلك كما قال الشاعر:

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا

فنجهـل فوق جهـل الجاهلينا» [3]

فتوجيه ابن عطية لقراءة ابن كثير ومن معه بأنها لإحراز تناسب

---

(1) السابق.

(2) البحر المحيط لأبي حيان ١/٥٧

(3) المحرر الوجيز لابن عطية ١/١٥٨ وما بعدها.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

اللفظ هو ما يعرف بالمشاكلة بل إن قراءة عاصم ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾قد تكون هى الأخري مفيدة للتكثير ذلك بأن (خادع) وهى قراءة ابن كثير التى نحن بصددها بمعني خدع ويكون من باب (فاعل بمعني فعل فيكون موافقًا لقراءة) ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ وتقول العرب: خادعت الرجل: أعملت التحيل عليه فخدعته، أى: تمت عليه الحيلة ونفذ فيه المراد.. حكاه أبو زيد، فالمعني: وما ينفذ السوء إلا علي أنفسهم»[1].

ومما يفيد التكثير أيضًا قراءة قتادة وورق الجعلى بتشديد الدال (وما يُخدِّعون إلا أنفسهم)وهو مفيدة أيضًا للمبالغة ومنه قوله تعالي: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾[يوسف: ٢٣]، ومنه قولهم: (قتّلت الأعداء)، يقول أبو حيان: «فالتشديد إما للتكثير بالنسبة للفاعلية أو للمبالغة فى نفس الفعل، إذ هو مصير إلي عذاب الله وإما لموافقة (فَعَلَ).. كما فى (قَدَر الله وقدَّر)»[2].

وعلي كلٍّ فقد جاء هذا الفعل ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾[البقرة: ٩] بصيغة المضارع «لا بلفظ الماضى، لأن المضى يُشعر بالانقطاع بخلاف

(١) البحر المحيط لأبي حيان.١/٥٧

(٢) البحر المحيط لأبي حيان .١٠/٥٨

المضارع فإنه يشعر فى معرض المدح أو الذم بالديمومة نحو: «زيد يَدَعُّ اليتيم وعمرو يقري الضيف»[1].

خامسًا: في مقام الحديث عن التنبيه على عظم شأن أنبيائه وأوليائه سبحانه :

وفى قول سبحانه ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[البقرة: ١٤، ١٥] ما يدل علي ذلك، يقول أبو حيان: إن «فى مقابلة استهزائهم بالمؤمنين باستهزاء الله بهم ما يدل علي عظم شأن المؤمنين وعلو منزلتهم، وليعلم المنافقون أن الله هو الذى يذب عنهم ويحارب من حاربهم»[2]، ذلك أن متعلق اسم الفاعل فى قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ وما يحمله من سخرية إنما هو واقع علي النبى صلي الله عليه وسلم وأصحابه.. «قال الضحاك عن ابن عباس: قالوا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ أى: ساخرون بأصحاب محمد صلي الله عليه وسلم، وكذلك قال الربيع بن أنس وقتادة»[3]، «وأطلق سبحانه اسم الاستهزاء علي المجازاة مشاكلة ليُعْلَم أن ذلك جزاء الاستهزاء»[4].

وعليه «فيُحتمل أن يكون الاستهزاء المسند إلي الله تعالي كناية عن

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان.١/٥٨

(٢) البحر المحيط.١/٧٠

(٣) ابن كثير.١/٥١

(٤) البحر المحيط.١/٧٠

مجازاته لهم أو عن معاملتهم لهم بمثل ما عاملوا به المؤمنين، فأجري عليهم أحكام المؤمنين من حقن الدم وصون المال والإشراك فى المغنم مع علمه بكفرهم، وأطلق علي الشيء ما أشبهه صورة لا معني.. أو عن التوطئة والتجهيل لإقامتهم علي كفرهم، وسمي التوطئة لهم استهزاء لأنه لم يُعجِّل بهم العقوبة، بل أملي وأخرهم إلي الآخرة.. أو كناية عن فتح باب الجنة فيُسرِعون إليه فيغلق، فيضحك منهم المؤمنون.. أو عن خمود النار فيمشون فيخسف بهم.. أو عن ضرب السور بينهم وبين المؤمنين، وهو السور المذكور فى سورة الحديد)[الحديد: ١٣].. أو عن قوله تعالي ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾[الدخان: ٤٩].. أو عن تجديد الله لهم نعمه كلما أحدثوا ذنبًا، فيظنون أن ذلك حجة الله لهم.. أو عن الحيلولة بين المنافقين وبين النور الذى يُعطاه المؤمنون.. أو عن طردهم من الجنة إذا أُمر بناس منهم إلي الجنة ودنوا منها، ووجدوا ريحها ونظروا إلي ما أعد الله فيها لأهلها، وهو حديث فيه طول روى عن عدى بن حاتم ونحا هذا المنحى ابن عباس والحسن»[1].

هذا وقد نقل الطبرى فى تفسيره إجماع أهل التأويل علي أن «معني قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾عَظِيمٌ (إنما نحن ساخرون)، فيكون معني

(1) البحر المحيط ١٠/ ٧٠

الكلام إذًا: وإذا انصرف المنافقون خالين إلي مردتهم من المنافقين والمشركين، قالوا: إنا معكم علي ما أنتم عليه من التكذيب بمحمد صلي عليه وسلم فى قيلنا لهم إذا لقيناهم: آمنا بالله وباليوم الآخر»، ثم ذكر الحديث الذى سقناه لابن كثير فى تفسيره وعضَّده بحديث عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس، ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾أى: (إنما نحن تستهزئ بالقوم ونلعب بهم)، وبما جاء عن قتادة: (إنما نستهزئ بهؤلاء القوم ونسخر بهم)، وما جاء عن الربيع ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ أى: (نستهزئ بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم)[1].

وقد أفاد ذلك: الفصل بين هاتين الجملتين، يقول صاحب الطراز مبينًا سر هذا الفصل: «إن من مواضع الفصل بين الجمل أن تكون الجملة الثانية واردة علي إرادة قطع الوهم علي ما قبلها من الجمل السابقة، وهذا متحقق فى قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ فلم تعطف الثانية علي الأولي لكون الثانية آتية علي جهة الاستئناف ولأن العطف متعذر، هذه واحدة.

وثانيًا أنه قد جاء هكذا: إعلاما من الله تعالي بأنهم من أجل خداعهم ومكرهم مستحقون من الله تعالي غاية الخزى والنكال، وتسجيلًا عليهم

---

(1) الطبري.١٠٢/١

بأن الله تعالي هو المتولى لذلك دون سائر المؤمنين»[1]، ويؤكد ذلك البيضاوى من قبلُ ويقرره قائلًا: «وإنما استؤنف به ولم يعطف ليدل علي أن الله تعالي تولي مجازاتهم ولم يُحوِج المؤمنين إلي أن يعارضوهم، وإنّ استهزاؤهم لا يؤبه به فى مقابلة ما يفعل الله بهم»[2].

وإنما يتحقق هذا الغرض- غرض التنبيه علي عظم شأن أنبياء الله وأوليائه- فى قول الله تعالي: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[البقرة: ٩] علي رأى من ذهب إلي تقرير حذف مضاف، أى: يخادعون رسول الله صلي الله عليه وسلم، وقد أجازه كثير من علماء التفسير فيكون المعني: (يخادعون نبى الله)، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه كقوله تعالي ﴿وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾[البقرة: ٩٣] أى: حب العجل، وكقوله تعالي: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا﴾[يوسف: ٨٢] أى: أهل القرية وأهل العير، وهذا كثير فى كلامهم[3]»، فيكون قد «نزّل مخادعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزلة مخادعة .

---

(1) الطراز للعلوي.٣٠٩/٣

(2) البيضاوي.١٣/١

(3) البيان في غريب القرآن لأبي البركات بن الأنباري.٥٥/١

وهذا الوجه قاله الحسن والزجاج»[1]، وتأثر به كثير من المؤولين للصفات: كالزمخشرى الذى قال: «يكون من باب (أعجبنى زيد وكرمه) والمعني: أعجبنى كرم زيد، وذكر زيد توطئة لذكر كرمه، والنسبة إلي الإعجاب إلي كرمه هى المقصودة، وجُعل من ذلك: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾[التوبة: ٦٢]، و﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[الأحزاب: ٥٧][2].. وكالرازى ممثلًا لذلك بقوله تعالي: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾[الفتح: ١٠] وقوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾[الأنفال: ٤١] ومعلقا بقوله «فقد أضاف السهم الذى يأخذه الرسول إلي نفسه»[3] كما ذهب إلي ذلك غيرهم، وعلي تقدير حذف المضاف يكون الغرض «التنبيه علي أمرين:

أحدهما: فظاعة فعلهم فيما تحروه من الخديعة، وأنهم بمخادعتهم إياه يخادعون الله.

والثانى: التنبيه علي عظم المقصود بالخداع وأن معاملته كمعاملة الله، كما نبه عليه بقوله تعالي: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾

(١) البحر المحيط١/٥٦ وينظر: الكشاف١/١٧

(٢) البحر المحيط١/٥٦

(٣) الرازي١/٦٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

[الفتح: ١٠]»[١].

وهذا الوجه وإن قال به بعض المفسرين لكنه مرجوح بما ذكرناه فى الحديث عن غرض التكثير والمبالغة، ومن أن فى ذلك تعطيل لصفة أثبتها الله لنفسه، ومن أنه لا ضرورة تدعو إلي تقدير اسم مقحم طالما يصح نسبة المخادعة إلي الله سبحانه بالأوجه التى ذكرناها، وما لا يحتاج إلي تقدير أولي مما يحتاج، وفى هذه الآية يأتى التعبير القرآن معقبًا بقوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ إعلامًا من عباده المؤمنين أن المنافقين بإساءتهم إلي أنفسهم فى إسخاطهم ربهم عليهم بكفرهم وشكهم وتكذيبهم غير شاعرين ولا دارين، ولكنهم علي عمي من أمرهم مقيمين، «وما يشعرون) جملة حالية.. أى: غير شاعرين بذلك، لأنهم لو شعروا أن خداعهم لله وللمؤمنين إنما هو خداع لأنفسهم لما خادعوا»[٢].

---

(١) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص١٤٣٠

(٢) البحر المحيط ٥٨/١

سادسًا: المشاكلة في مقام التحذير من مكر الله والتنبيه على أنه من أعظم الذنوب :

ومن ذلك قول الله تعالي: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[الأعرف: ٩٩] وننبه أولًا إلي أن فى نسبة المكر إلي الله خلاف، فقد ادعي غير واحد أن المكر لا يطلق عليه سبحانه دون مشاكلة لأنه حيلة يجلب بها مضرة إلي الغير وذلك مما لا يجوز فى حقه[١].. واعتُرض علي ذلك بوروده من دون مشاكلة فى هذه الآية: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[الأعراف: ٩٩]، وأجيب بأن المشاكلة فيما ذكر تقديرية وهى كافية فى الغرض، وقيل أن المشاكلة التقديرية فيه بعيدة جدًا بل لا يكاد يدعيها منصف، فقد جاء عن علىٍّ رضى الله عنه: (من وُسِّع عليه فى دنياه ولم يعلم أنه مكر به فهو مخدوع فى عقله)»[٢].

والحق أن المشاكلة فى مثل هذه الآية تقديرية، لأنه سبحانه أثبت أن له مكرًا كما أثبت أن مكره هذا فى مقابلة مكر العاصين المعاندين، وصرح بذلك فى أكثر من موضع مقابلًا مكرهم بمكره فقال: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ﴾[آل عمران: ٥٤] وقال: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا

(١) ينظر: روح المعاني.١٩٩/٣

(٢) ينظر: روح المعاني.١٩٩/٣

وَمَكَرْنَا مَكْرًا ﴾[النمل: ٥٠] فإذا علمنا ذلك وعلمنا أن من المكر ما هو محمود، إذا كان علي وجه المجازاة عرفنا أن أمثال قوله: ﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[الأعراف: ٩٩] إنما هو من قبيل المشاكلة التقديرية التى وقع فيها مكره، الذى يحذر تعالي منه أمام مكر القوم الخاسرين الذين أمِنُوا مكره واستمروا فى غيهم وأصروا علي معاصيهم، أما قول القائل: أن المكر لا يطلق دون مشاكلة لأنه حيلة يجب بها مضرة إلي الغيرة، «فمردود عليه بأن المكر الذى يليق بجلاله سبحانه وهو (المكر الذى وصف به نفسه.. هو مجازاته للماكرين بأوليائه ورسله، فيقابل مكرهم السيئ بمكره الحسن فيكون المكر منهم أصبح شيء ومنه أحسن شيء لأنه عدل ومجازاة»[1].. فَهو من ثَم محمود وثابت له سبحانه علي الوجه اللائق به.

وفيه رد علي قول السبكى أن قوله ﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ﴾ليس من مجاز المقابلة لأنه لم يذكر قبله ولا بعده مكر الآدمى فلا مقابلة[2] إذ ما فائدة ذكر القوم الخاسرون فى الآية إن لم يكن لهم مكر قابلهم الله بمثله جزاء لهم.. وكأنى بتقدير الآية هو: أمنوا بمكرهم مكر الله

---

(1) الفوائد لابن القيم ص١٤٤،١٤٥

(2) ينظر: عروس الافراح للسبكي.٣٨/٤

فاستحقوا وصف الخسران والهلاك، فالمشاكلة تقديرية وليس فى ذلك بُعد كما زعم بعضهم، خاصة وأن الأولي: القول بصحة إطلاق الصفة عليه سبحانه ابتداء بالمعني اللائق بجلاله جل جلاله، ومما يؤيد ذلك قوله سبحانه فى غير هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾أى: أقواهم مكرًا وأشدهم، أو أن مكره أحسن وأوقع فى محله لبعده عن الظلم.

ومعني الآية أن الله تبارك وتعالي لما ذكر حال أهل القري المكذبين للرسل، بينَّ أن الذى حملهم علي ذلك هو الأمن من مكر الله وعدم الخوف منه.. وذلك أنهم أمِنُوا مكر الله لما استدرجهم بالسراء والنعم، فاستبعدوا أن يكون ذلك مكرًا، قال الحسن رحمه الله: (من وسَّع الله عليه فلم ير أنه يمكر به فلا رأي له)، وقال قتادة: (بغتُ القوم أمرُ الله، وما أخذ الله قومًا قط إلا عند سلوتهم ونعمتهم فلا تغتروا بالله) وفى الحديث: (إذا رأيت الله يعطى العبد فى الدنيا علي معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج)[1]، وقال إسماعيل بن رافع: إنّ (من الأمن من مكر الله: إقامة العبد علي الذنب يتمني علي الله المغفرة)[2]، وهذا هو تفسير المكر فى قول بعض السلف: (يستدرجهم الله بالنعم إذا عصوه ويملي لهم، ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر)،

(١) رواه أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) رواه ابن أبي حاتم.

وكذلك هو معني الخديعة ونحو ذلك ذكره ابن جرير بمعناه[1].

وعليه فمعني الآية: أنه لا يأمن من عقاب الله جهلًا بحكمته إلا الخاسرون، وقد ذكر علماء الإسلام وفقهاء الشريعة أن الأمن من مكر الله من أعظم الذنوب وأبشع الآثام، قال الحنفية: أنه كفر كاليأس لقوله تعالي ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[يوسف: ٨٧]، ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[الأعراف: ٩٩]، وهو عند الشافعية كبيرة، ومعناه: الاسترسال فى المعاصى اتكالًا علي عفو الله كما فى جمع الجوامع، واستدل الشافعية بحديث ابن مسعود رضى الله عنه: (من الكبائر: الأمن من مكر الله)[2] وقالوا: إن ما ورد من أنه كفر محمول علي التغليظ، كقوله تعالي ﴿وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾[النور: ٣]، ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال بعض المحققين: إن كان فى الأمن اعتقاد أن الله تعالي لا يقدر علي الانتقام منه، وكذا إذا كان فى اليأس اعتقاد عدم القدرة علي الرحمة والإحسان أو نحو ذلك، فذلك مما لا ريب فى أنه كفر، وإن خلا عن نحو هذا الاعتقاد ولم يكن فيه تهاون وعدم مبالاة بالله تعالي

---

(1) ينظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن ص٣٥٨،٣٥٩.

(2) رواه البزار وابن أبي حاتم عن ابن عباس موقوفا.

فذلك كبير، وهو كالمحاكمة بين القولين[1]، أما إذا كان المراد من الآية التنبيه علي أنه سبحانه «يأتيهم عذابه من حيث لا يشعرون- فإنه- يكون بمعني التحذير وسمي هذا العذاب مكرًا لنزوله فى غفلة عنه، لا يشعرون به»[2]، كما جاء فى الحديث: (إن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة حتي ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب)[3]، فإن هذا عمل أهل الجنة فيما يظهر للناس، ولو كان عملًا صالحًا.. قد أحبه الله ورضيه لم يبطله عليه.

«والله يعلم من سائر العباد ما لا يعلمه بعضهم من بعض.. فإن الله سبحانه قال للملائكة: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[البقرة: ٣٠]، فقد كان سبحانه يعلم ما فى قلب إبليس من الكفر والكبر والحسد مالا يعلمه الملائكة، فلما أمروا بالسجود ظهر ما فى قلوبهم من الطاعة والمحبة والخشية والانقياد فبادروا إلي الامتثال، وظهر ما فى قلب عدوه من الكبر والغش والجسد فأبى واستكبر وكان من الكافرين»[4]. وهكذا

---

(1) ينظر: تفسير البيضاوي٤/١٩٧ ، تفسير الكشاف ١٣/٣٠

(2) تفسير الخازن ١١٦/٢٠

(3) رواه البخاري في كتاب التوحيد وبدء الخلق والقدر، ومسلم في كتاب الإيمان والقدر، وأبو داود في كتاب السنة والترمذي في القدر وابن ماجة في المقدمة وأحمد في المسند٣٨٢، ٤١٤ ، ٤٣٠/١ ومواضع أخرى.

(4) الفوائد لابن القيم ص.١٤٥

أراد سبحانه «بهذه الآية- من سورة الأعراف- التنبيه علي أن الأمن من مكر الله من أعظم الذنوب وأنه ينافى كمال التوحيد، كما أن القنوط من رحمة الله كذلك وذلك يرشد إلي أن المؤمن يسير إلي الله بين الخوف والرجاء، كما دل علي ذلك الكتاب والسنة وأرشد إليه سلف الآية والأئمة»[1].

يقول ابن القيم: «قوله: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ إنما هو فى حق الفجار والكفار، ومعني الآية: فلا يعصي ويأمن مقابلة الله له علي مكر السيئات بمكره به، إلا القوم الخاسرون، والذى خافه العارفون بالله من مكره أن يؤخر عنهم عذاب الأفعال فيحصل منهم نوع اغترار، فيأنسوا بالذنوب فيجيئهم العذاب علي غرة وفجأة.. وأمر آخر: وهو أن يغفلوا عنه وينسوا ذكره فيتخلي عنهم إذا تخلوا عن ذكره وطاعته، فيُسرع إليهم البلاء والفتنة، فيكون مكره بهم تخليه عنهم.. وأمر آخر: أن يعلم من ذنوبهم وعيوبهم ما لا يعلمونه من أنفسهم، فيأتيهم المكر من حيث لا يشعرون.. وأمر آخر: أن يمتحنهم ويبتليهم بما لا صبر لهم عليه فيفتنون به وذكر مكر»[2].

فعلي العاقل أن يكون فى خوفه من مكر الله كالمحارب الذى

---

(1) فتح المجيد ص ٣٥٨.

(2) الفوائد لابن القيم ص١٤٥، ١٤٦.

يخاف من عدوه الكمين والبيات والغيلة، وعن الربيع بن خيثم أن ابنته قالت له (مالى أري الناس ينامون ولا أراك تنام؟ فقال: يا بنتاه. إن أباك يخاف البيات)[1] أراد قوله ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[الأعراف: ٩٧، ٩٩].

(1) ينظر: الكشاف للزمخشري.٢/٩٨

المبحث الثاني

المشاكلة في القرآن في مقام

التسجيل على المعاندين والأشعار بعلة الحكم

أولًا: المشاكلة فى مقام الحديث عن التسجيل علي المعاندين وتصوير فظاعة ما هم عليه وما ينتظرهم

ولك أن تستحضر ذلك فى قوله تعالي: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ بعد قوله ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾[إبراهيم: ٤٦]، علي تقدير أن هناك مشاكلة تقديرية فى مقابلة مكرهم بمكره سبحانه علي نحو ما قررناه آنفا وعلي نحو ما هو موجود فى مثل قوله تعالي ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وفى ذلك زوال الجبال من وقع مكرهم.. روى (على بن أبى طلحة عن ابن عباس)، ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ يقول: شركهم، كقوله: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ [مريم: ٩٠] وهكذا قال الضحاك وقتادة»[1].. مشيرين بذلك علي مدي عظم ما وقعوا فيه وفداحة ما ارتكبوه من جرم فى حق أنفسهم وفى حق بارئهم، فمعني مكرهم هنا: «أى: المكر العظيم الذى استفرغوا فيه

---

(1) ابن كثير ٢٠/٥٤٣-٥٤٢

جهدهم»[1] يقول الزمخشرى:

«وإن عَظُم مكرهم وتتابع فى الشدة بضرب زوال الجبال منه مثلًا لتفاقمه وشدته، أى وإن كان مكرهم مستو لإزالة الجبال معه... وبذلك يظهر أن زوال الجبال مجاز ضرب مثلًا لمكر قريش وعظمه، والجبال لا تزول، وهذا من باب الغلو والإيغال والمبالغة فى ذم مكرهم»[2]، وما هم عليه من شرك أعاذنا الله منه، يعضد ذلك قراءة (وإن كاد) بالدال، فالمعني أنه يقرب زوال الجبال بمكرهم ولا يقع الزوال، أما (علي قراءة (كان) بالنون وهى قراءة عاصم، يكون زوال الجبال قد وقع ويكون فى ذلك تعظيم مكرهم وشدته، وهو بحيث تزول منه الجبال وتنقطع عن أماكنها.. ويحتمل أن يكون معني (لتزول): ليقرب زوالها فيصير المعني كمعني قراءة كَادَ»[3].. وعلي كلٍّ فهى مفيدة لعظم مكرهم وتتابعه وشدته فى نفوسهم والعياذ بالله.

ولعل من ذلك قوله تعالي ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾[البقرة: ١٣٨] وقد جيء بلفظ الصبغة علي سبيل المشاكلة التقديرية، لكونه واقعا فيما تقدم ذكر معناه، وهو الحالة

(١) البحر المحيط لأبي حيان ٤٣٧/٥.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان ٤٣٨/٥٥.

(٣) السابق.

المعهودة فى النصاري عند الولادة.. وقد تضمنت هذه الآية أصل الدين الحنيف، فكنى بالصبغة عنه «وجعله بمنزلة الصبغ، لأن أثره ظاهر ووسمه لائح»[1].. «وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، والعرب تسمي ديانة الشخص لشيء، واتصافه به صبغة»[2].

وقد أراد سبحانه بذلك أن يسجل علي هؤلاء، فظاعة ما هم عليه من غباء ونكران لنعم الله تعالي، ذلك أن النصاري كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر بشيء يجعلونه فيه كالزعفران، يوكل به القسيس منهم ويضع فيه الملح لئلا يتغير بطول الزمان ويسمونه المعمودية، وهو اسم للماء الذى غسل به عيسي عليه السلام يوم ثالث ولادته، فزاده النصاري ماء وصاروا يغمسون فيه أولادهم، وكلما نقص زادوه وهو باق إلي الآن، فتغتر عامتهم بعدم التغير ويقولون: إن ذلك من بركة القسيس، كما يغترون بإظهاره الزهد فجعلوا استغفاره موجبًا للمغفرة وفوضوا إليه أمر النساء فيباشر أسرارهن إن شاء له، وهم راضون بذلك أخزاهم الله.

ولما كان هذا حالهم نزلت الآية لتسجل هذا الصنيع العجيب عليهم، ولترد عليهم هذا الاعتقاد الباطل السقيم، كما جاءت الآية التى قبلها

---

(1) تلخيص البيان للرضي ص١١٨.

(2) البحر المحيط ١/٤١١

لتقرر حقيقة الإيمان بالله، موجهةً الخطاب للمسلمين ليقولوا لهؤلاء النصاري: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾أى: إن شئتم التطهير الحقيقى والإيمان المعتبر الذى يستأهل أن يسمي تطهيرًا، فقولوا: آمنا بالله وصبغنا الله بالإيمان صبغة، لا مثل صبغتكم وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيركم.

ثانيًا: المشاكلة في مقام الحديث عن الإشعار بعلة الحكم

ومن ذلك قوله تعالي: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾[الروم: ١٠]، أى: (كان عاقبة الذين عملوا السيئات)، واسم الموصول مدلول عليه قبلا، «فوضع الموصول موضع ضمير (هم) للتسجيل عليهم بالإساءة والإشعار بعلة الحكم، (وثم) للتراخى الحقيقى أو للاستبعاد والتفاوت فى الرتبة و(السوأي) هى العقوبة بالنار، فإنها تأنيث الأسوأ كالحسني تأنيث الأحسن، أو مصدر كالبشري وصف به العقوبة مبالغة كأنها نفس السوء... وقوله: ﴿أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾علة للحكم المذكور، أى: لـ(أن) أو بـ(أن) كذبوا، وهو فى الحقيقة مبيِّنٌ لما أشعر به، وُضع الموصول موضع الضمير لأنه مجمل.. وكون التكذيب عاقبتهم مع أنهم لم يتخلوا عنه، إما باعتبار استمراره أو باعتبار أنه عبارة عن الطبع»[1]، وغنى عن البيان أن نشير

(١) الكشاف ٧/٢٤

إلي أن المشاكلة هنا فى التعبير عن الجزاء والعقوبة بلفظ (السوأي): تحقيقية.

ونظير ما سبق: ما جاء فى آية السجدة أيضًا: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾[السجدة: ١٤] حيث جعل نسيانه تعالي فى مقابلة نسيانهم وسماه باسمه علي وجه المجازاة والمشاكلة، كما جعل ذوق العذاب نتيجة فعلهم من نسيان العاقبة وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد لها.. والمعني: فذوقوا هذا، أى: ما أنتم فيه من نكس الرءوس والخزى والغم بسبب نسيان اللقاء، وذوقوا العذاب المخلد فى جهنم بسبب ما عملتم[1] من الكفر خاصة لا ما دونه من الكبائر، كون الكفر هو المستحق للخلود فى العذاب دونها، يوضحه قوله تعالي بعد ذلك: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[السجدة: ١٤] يقول الآلوسى:

إن هنا «تكرير للتأكيد والتشديد، وتعيين المفعول المبهم للذوق والإشعار بأن سببه ليس مجرد ما ذكر من النسيان، بل له أسباب أخر من فنون الكفر والمعاصى التى كانوا مستمرين عليها فى الدنيا، ولما كان فيه زيادة علي الأول وحصلت به مغايرته له، استحق العطف عليه والتوبيخ به، لظهوره ولكونه صادرًا منهم ولا يسعهم إنكاره، ولم ينظم

(1) ينظر: الكشاف.٣/٢٤٣

الكل فى سلك واحد للتنبيه علي استقلال كل من النسيان وما ذكر فى استيجاب العذاب، وفى إيهام المذوق أولًا وبيانه ثانيًا بتكرير الأمر وتوسيط الاستئناف المنبئ عن كمال السخط بينهما، من الدلالة علي غاية التشديد فى الانتقام منهم، ما لا يخفى»[1].

والباء فى قوله ﴿بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾للسببية المفيدة لعلة الحكم «و(ما) مصدريه، و(هذا) صفة (يوم) جئ به للتهويل، وعليه فتكون مفعول (ذوقوا) محذوفًا وهو أظهر، أى: فذوقوا بسبب نسيانكم لقاء هذا اليوم الهائل وترككم التفكر فيه والتزود له بالكلية، وهذا تصريح بسبب العذاب من قِبَلهم، فلا ينافى أن يكون له سبب آخر حقيقيًا كان أو غيره»[2]، علي نحو ما سبق أن ذكرنا.. وأجاز بعضهم جعل (هذا) مفعولًا لـ (ذوقوا)، و(هذا) إشارة إلي ما هم فيه من نكس الرءوس والخزى والغم، وعلي كلا التقديرين، ففى الآية تسجيلُ صنيعهم، وبيانُ سبب ما حل لهم فى الدنيا والآخرة، أو سبب عذابهم وخلودهم فى النار والعياذ بالله.. ومثل ذلك يقال فى قوله ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[طه: ١٢٦].

---

(١) روح المعاني للألوسي ٧٠/١٣٠

(٢) السابق.

ثالثًا: المشاكلة في مقام الحديث عن التعجيز والتنبيه على ما يجب أن يكون عليه حال المكلف من الخوف

ونتلمس هذا المقام فى قول الله تعالي ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ [المرسلات: ٣٩]، حيث التهديد الشديد والوعيد الأكيد الذى يحمل معني التعجيز، وفى الحديث: (يا عبادى إنكم لن تبلغوا نفعى فتنفعونى ولن تبلغوا ضرى فتضرونى)[١]، وبالطبع فإن ذكر كيده فى مقابلة كيدهم مشاكلة لوقوع ذلك الكيد اللائق فى حقه سبحانه فى صحبة كيدهم وقوعًا حقيقيا، وفى البيضاوى: أن فى ذلك «تقريعٌ لهم علي كيدهم للمؤمنين فى الدنيا، وإظهارٌ لعجزهم»[٢].

ومثله قول الله تعالي ﴿ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾[الأعراف: ١٩٥] ذلك أنه لمّا أنكر الله علي قوم هود عبادة الأصنام، وحقَّر شأنها، وأظهر كونها جمادًا، أمر تعالي نبيه أن يقول لهم ذلك، أى: لا مبالاة بكم ولا بشركائكم: فاصنعوا ما تشاءون، وهو أمر تعجيز، أى لا يمكن أن يقع منكم دعاء لأصنامكم ولا كيد لى، وكانوا قد خوفوه صلي الله عليه وسلم آلهتهم، ومعني ادعوا شركاءكم: استعينوا بهم علي إيصال الضر إلي ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾أى امكروا بى ولا تؤخرون عما تريدون بى من الضر،

---

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة حديث ٥٥.

(٢) الشهاب على البيضاوى٨/٢٩٩.

وهذا كما قال قوم هود: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾[هود: ٥٤، ٥٥].

ثم إنه سبحانه «لما أحالهم علي الاستنجاد بآلهتهم.. علي جهة التعجير وأراهم أن الله هو القادر علي كل شيء، عقب ذلك بالاستناد إلي الله والتوكل عليه، والإعلان أنه تعالي هو ناصره عليهم، وبين جهة نصره عليهم بأنه: أوحي إليه كتابه وأعزه برسالته، ثم إنه تعالي يتولي الصالحين من عباده وينصرهم علي أعدائه ولا يخذلهم»[1].

وبالرجوع إلي آية المرسلات تلحظ التحدى لهؤلاء المعاندين، حيث قابل كيدهم بكيده قائلًا: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ﴾[المرسلات: ٣٩] فجعل كيدهم كلا كيد، حيث أوضح لهم ذلك قائلًا علي وجه التحدى والتعجيز: إن كان عندكم حيلة فاحتالوا لأنفسكم، وفيه أيضا «تقريع لهم علي كيدهم لدين الله وذويه، وتسجيل عليهم بالعجز والاستكانة»[2] ومعناه: إن قدرتم علي أن تتخلصوا من قبضتى وتنجو من حكمى فافعلوا فإنكم لا تقدرون علي ذلك ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـٔٗا﴾ [هود: ٥٧] إنما تضرون بذلك أنفسكم حين تعرضونها لمقت الله

(1) البحر المحيط لأبي حيان.٤/٤٤٦

(2) الكشاف ص.٤/٢٠٥

وغضبه وشديد وعيده وأليم عذابه، كما قال تعالي ﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾[لقمان: ٢٤].

وعليه فالأمر فى هذه الآية ﴿فَكِيدُونِ﴾وكذا ما يشبهها خارج عن معناه الحقيقى إلي معني مجازى له، وهو: التعجيز والتعريض بكيدهم فى الدنيا، وأضفي إليه وقوعه فى صحبة كيدهم علي معني المشاكلة، تحديًا وإعجازًا وتأكيدًا علي نفاذ أمره سبحانه، ويتأكد ذلك فى قوله تعالي فى سورة الطارق ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾[الطارق: ١٥، ١٦]، فسمي وعيده كيدًا مجازاة له علي كيدهم.

وقد جاء تسمية جزاء الكيد كيدًا لوقوعه فى صحبة كيدهم وقوعًا محققًا مشاكلة، كما سمي جزاء (الاعتداء والسيئة): اعتداء وسيئة وإن لم يكونا كذلك، وإطلاق هذا الوصف علي الله تعالي إلا علي وجه الجزاء إنما سوّغه كون كسيده تعالي محمود، فهو كقوله ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة: ٦٧]، ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ [النساء: ١٤٢] والمعني: (إنهم يكيدون كيدًا فى إبطال الإسلام وإطفاء نوره، وأقابلهم بكيدى فى استدراجى لهم وانتقامى منهم من حيث لا يحتسبون»[1]، «وانتظار بهم الميقات الذى وقَّتُه للانتصار عليهم فلا تدعُ بهلاكهم ولا

(1) الشهاب على البيضاوي٨/٣٤٨

تستعجلْ به»[1]

ولقد أوضح الله سبحانه طريقة كيده لهم وهى الإملاء ومدهم بالأموال والأولاد وكثرة الخيرات واستدراجهم بكل هذه النعم فما «وقع من سعة أرزاقهم وتطويل أعمارهم، إحسان عليهم ونفع ظاهر، والمقصود به الضرر، لِمَا عَلِم من خبث جبلتهم وتماديهم فى الكفر.. فإن ذلك موقع لهم فى ورطة التهلكة»[2].. وذلك قوله: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾[المؤمنون: ٥٥، ٥٦] وقوله ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[القلم: ٤٤] وقوله: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾[التوبة: ٨٥].

بل إنه سبحانه قد أخبر نبيه صلي الله عليه وسلم فى قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[الأنفال: ١٨] بأنه مشتتٌ لشملهم وملقٍ للرعب فى قلوبهم، وليس بمستبعد أن تَحمِل آيات الإملاء والكيد معني المشاكلة، إذ استعمال هذه الألفاظ وهى: (الإمهال والاستدراج) من حيث لا يحتسب الكافر، بلفظ غيره وهو الإملاء أو الكيد، فيه مشاكلة

(١) الكشاف.٤/٢٤٢

(٢) البيضاوي.٨/٢٣٣

لوقوع ذلك فى صحبة ما يقوم به الكافر أو الظالم من أعمال يُظن من خلالها أن الله غير ساخط عليه فيها، وهو فى حقيقة الأمر يكيد فيها لنفسه، وكل ذلك يفيد التنبيه علي ما يجب أن يكون عليه المكلف من الخوف.. فهو بمثابة التحذير والتنبيه علي ما يجب أن يكون عليه المكلف من الخوف، كما فى قوله تعالي: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾[آل عمران: ٢٨] لو صح جعلها من المشاكلة إذ فيها هى الأخري من التذكير والتنبيه والوعيد بالآخرة ما لا يحده الوصف.

رابعًا: المشاكلة في مقامات الحديث عن إفادة التوبيخ والتقريع والتهكم والتهديد :

وتجد هذا ظاهرًا فى نحو قول الله تعالي: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]- حيث سمى ما عليه الكفار من شرك دينًا علي طريق المشاكلة لوقوعه فى صحبة دين محمد صلي الله عليه وسلم وهو الإسلام- «لم يذكره- سبحانه- إلا علي سبيل اللوم والتوبيخ لهم علي التمسك بما هم عليه من الباطل، ولم يرد أن يرضوا بما هم عليه من الدين ليتمسكوا به، إذ ذلك لا يصح إلا مع القول بأنهم كانوا قادرين علي الإقلاع والعدول عنه إلي دين محمد صلى الله عليه وسلم»[1]، وفى ذلك «مظاهرة فى الإنكار كما قال تعالي: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾

(1) متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار ص٣٦٢.

[فصلت: ٤٠]، فكأنه قيل لهم اهلكوا أنفسكم إن كان ذلك خيرًا لكم»[١]، وكذا فى آية الكافرون، وعليه فإن المعني- «لكم كفركم ولى إخلاصى وتوحيدى وفى ذلك تهديد لهم»[٢]، وزجر ليقلعوا عن طريق الكفر ويعدلوا عنه إلي طريق الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وفى قوله: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾[السجدة: ١٤] يبين سبحانه أن ذلك إنما يقال لأهل النار علي سبيل التقريع والتوبيخ؛ يقال لهم: ذوقوا العذاب بسبب تكذيبكم وقوعه واستبعادكم وتناسيكم له إذ عاملتموه معاملة من هو ناس له ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ أى سنعاملكم معاملة الناسين، لأنه تعالي لا ينسي شيئًا ولا يضل عنه شىء، بل هو من باب المقابلة كما قال تعالي ﴿ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الجاثية: ٣٤] وقوله ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[السجدة: ١٤] أى: بسبب كفركم وتكذيبكم، كما قال تعالي فى الآية الأخري: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾إلي قوله: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾[النبأ: ٣٠، ٣٤] ومعلوم أن ذكر صفة النسيان اللائق

---

(١) أضواء على متشابهات القرآن للشيخ خليل ياسين ص٣٤٤/٢

(٢) ينظر: الخازن ص٤١٨/٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فى حقه سبحانه فى كل هذه الآيات، والذى أفاد المجازاة علي الفعل بمثله إنما وقع فى مقابلة نسيانهم علي سبيل المشاكلة والوقوع فى الصحبة تحقيقًا.

ومما يفيد الاستهانة بهم والهوان والازدراء ولا يخلو كذلك من تهديد ووعيد: ما جاء فى قوله: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا﴾[الأعراف: ٥١]، وقوله: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ﴾[التوبة: ٦٧].. إلخ فالنسيان إذا نسب إلي الله فى مثل هذا المقام، فهو: تركه إياهم استهانة بهم ومجازاة لما تركوه من أوامر الله، وازدراء بما تعمدوا نسيانه من فرائضٍ، غير مبالين بعقاب الله وشديد عذابه.

هذا، وقد ذهب كثير من المفسرين إلي أن أمثال قول الله تعالي: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾[البقرة: ١٥] إنما جاء علي جهة التوبيخ، قال ابن جرير حاكيًا ذلك عن بعضهم: «بل استهزاؤه بهم: توبيخه إياهم ولومه لهم علي ما ارتكبوا من معاصى الله والكفر به، كما يقال: إن فلانا ليُهزأ منه منذ اليوم، ويُسخر منه، يراد به توبيخ الناس إياه ولومهم له، أو إهلاكه إياهم وتدميره بهم كما قال عبيد الله الأبرص:

سائل بنا حجرا بن أم قطام إذ

ظلت به السمر النواهل تلعب

فزعموا أن السمر وهى القنا، لا لعب منها ولكنها لما قتلتهم

وشردتهم جعل ذلك من فعلها لعبا ممن فعلت ذلك به، قالوا: فكذلك استهزاء الله جل ثناؤه بمن استهزأ به من أهل النفاق والكفر به، وذلك إنما يكون إما بإهلاكه إياهم وتدميره بهم، وإما بإملائه لهم ليأخذهم فى حالة أمنهم عند أنفسهم بغتة، أو بتوبيخه لهم ولأئمتهم.. قالوا وكذلك معني المكر منه والخديعة والسخرية»[1] فى أمثال قوله سبحانه: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾[آل عمران: ٥٤] وقوله: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ ﴾[البقرة: ٩] وقوله: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ﴾[التوبة: ٧٩].

ومن آيات المشاكلة التى أفادت تهديدًا قوله عز من قائل: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ﴾[المرسلات: ٣٩] وقوله: ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا﴾ [الطارق: ١٥، ١٦] ففيهما تهديد شديد ووعيد أكيد، وكذا فى قوله ﴿وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ﴾ [سبأ: ١٦] إذ إن «تسمية البدل جنتين لأجل المشاكلة، وفيه أيضا ضرب من التهكم»[2] فأكل الخمط لا يكون فى الجنة بحال ولا الأثل ولا السدر.

---

(1) الطبري ١/ ١٠٢، ١٠٣ .

(2) الكشاف٣/٢٨٥

خامسًا: المشاكلة في مقام الحديث عن جواب المعاندين في مقابلة أقوالهم وأفعالهم :

ويدخل فى عداد ذلك أمثال قوله سبحانه: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾[النساء: ١٤٢] وقوله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[آل عمران: ٥٤] وقوله: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[التوبة: ٦٧]، وقد ذهب إلي هذا كثير من المفسرين وعلي رأسهم الطبرى، يقول ابن جرير الطبرى ـ حاكيا ذلك عن بعضهم ـ:

«قوله: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾[البقرة: ٩]، علي الجواب كقول الرجل لمن كان يخدعه إذا ظفر به: (أنا الذى خدعتك)، ولم تكن منه خديعة، ولكن قال ذلك إذ صار الأمر إليه، قالوا: وكذلك قوله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[آل عمران: ٥٤] و﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[البقرة: ١٥] علي الجواب، والله لا يكون منه المكر ولا الهزء، والمعني: أن المكر والهزء حاق بهم»[١]، وعبارة تفسير ابن كثير: إنما جاء «جوابًا لهم ومقابلة علي صنيعهم»[٢].

ويدافع الطبرى عن هذا الغرض البلاغى للمشاكلة ويدحض الحجة،

---

(١) الطبري.١٠٣/١

(٢) ابن كثير.٥١/١

ويدفع الزعم بأن ذلك يحتوى ضمنًا نفيًا لصفات الله سبحانه فيقول: «وأما الذين زعموا أن قول الله تعالي ذكره: ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾[البقرة: ١٥] إنما هو علي وجه الجواب، وأنه لم يكن من الله استهزاء ولا مكر ولا خديعة نافون عن الله عز وجل ما قد أثبته.. لنفسه»[١] ثم رد رحمه الله ذلك وأبَان أن (الاستهزاء والمكر والخديعة) فى حقه سبحانه لا يمنع أن تكون علي وجه الجواب لهم لردعهم، وتكون هذه الصفات فى نفس الوقت ثابتة فى حقه جل وعلا علي الوجه الذى يليق بكماله، فقال:

«يقال لقائل ذلك: إن الله جل ثناؤه، أخبرنا أنه مكر بقوم مضوا قبلنا لم نرهم، وأخبر عن آخرين أنه خسف بهم، وعن آخرين أنه أغرقهم فصدقنا الله فيما أخبرنا به من ذلك، ولم نفرق بين شيء منه، فما برهانك علي تفريقك ما فرقت به بزعمك أنه قد أغرق وخسف بمن أخبر أنه أغرق وخسف به، ولم يمكر بمن أخبر أنه قد مكر به؟»[٢]

وفى ذلك الجواب الناجع علي القائلين بأن هذه الآيات التى تحوي صفات: (الخداع والاستهزاء والمكر) وغيرها إنما جاءت جوابًا لهم وهى فى نفس الوقت منفية عنه سبحانه، لظنهم أن هذه الصفات قصد

---

(١) الطبري.١/١٠٤

(٢) السابق.

منها العبث واللعب بمن نزلت فى حقهم، أو أنه فرق بين هذه الصفات بما تحويه من مجازاة لأصحابها جزاء صنيعهم وبين أنواع الجزاءات الأخري من خسف وغرق وخلافه، أما فى حق من قال: إنها جاءت جوابا لهم ومقابلة لأقوالهم وأفعالهم، ولم يقل بشىء من ذلك فلا مشاحة فى هذا إذ إن (المكر والخداع والسخرية) علي وجه اللعب والعبث منتف عن الله عز وجل بالإجماع، وأما علي وجه الانتقام والمقابلة بالعدل والمجازاة فلا يمتنع ذلك»[1].

سادسًا: المشاكلة فى مقام الحديث عن إنزال الهوان بالمعاندين وتحقير شأنهم وازدراء أمرهم

ومن ذلك قوله تعالي: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾[البقرة: ١٥]، «وغرض المستهزئ- دائما- طلب الخفة والزراية بمن يهزأ به»[2].. يقول البيضاوى فى معني الآية أى: «ينزل بهم الحقارة والهوان الذى هو لازم الاستهزاء والغرض منه»[3].، وعبر بالمضارع ولم يقل: (الله مستهزئ بهم فيكون مطابقا لقوله: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾ٱللَّهُ. لأن- المضارع- (يستهزئ) يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتًا بعد وقت، وهكذا

---

(1) ابن كثير١/٥٢

(2) أضواء على متشابهات القرآن للشيخ خليل يس١/٢٥

(3) البيضاوي ص١/١٣

كانت نكايات الله فيهم، وبلاياه النازلة عليهم- باستمرار- مصداقا لقوله تعالي: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ﴾ [التوبة: ١٢٦]»[١].

وقد «سمي جزاء الاستهزاء باسمه كما سمى جزاء السيئة سيئة، إما لمقابلة اللفظ باللفظ، أو لكونه مماثلًا له فى القدر، أو ليُرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم، أو يُنزل بهم الحقارة والهوان الذى هو لازم الاستهزاء والغرض منه، أو يعاملهم معاملة المستهزئ بهم، أو ينزل بهم الحقارة والهوان الذى هو لازم الاستهزاء والغرض منه، أو يعاملهم معاملة المستهزئ، أما فى الدنيا فبإجراء أحكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالإمهال والزيادة فى النعمة علي التمادى فى الطغيان، وأما فى الآخرة فبأن يفتح لهم وهم فى النار بابا إلي الجنة، فيسرعون نحوه فإذا صاروا إليه سد عليهم الباب، وذلك قوله تعالي: ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾[المطففين: ٣٤]»[٢].

وقد أجمل ابن الجوزى ما قيل فى طريقة استهزاء الله بهم فى تسعة أقوال:

أحدها: أنه يفتح لهم بابا من الجنة وهم فى النار فيسرعون إليه

---

(١) أضواء على متشابهات القرآن للشيخ خليل يس.٢٦/١

(٢) البيضاوي.١١٣

فيغلق فيضحك منهم المؤمنون، روي عن ابن عباس، وذلك قوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾[المطففين: ٣٤].

الثانى: أنه إذا كان يوم القيامة جمدت النار كما تجمد الإهالة فى القدر، فيمشون فيخسف بهم، روي عن الحسن البصرى.

الثالث: أن الاستهزاء بهم إذا ضُرب بينهم وبين المؤمنين ﴿بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾[الحديد: ١٣] فيبقون فى الظلمة، فيقال لهم: ﴿ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾[الحديد: ١٣].

الرابع: أن المراد به يجازيهم علي استهزائهم، فقوبل اللفظ بمثله لفظا وإن خالفه معني، فهو كقوله تعالي ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشوري: ٤٠] وقوله: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[البقرة: ١٩٤]، وقال عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أراد فنعاقبه بأغلظ من عقوبته.

الخامس: أن الاستهزاء من الله التخطئة لهم والتمهيل، فمعناه: الله يُخطِّئ فعلهم، ويَجْهلهم فى الإقامة علي كفرهم.

السادس: أن استهزاءه: استدراجه إياهم.

السابع: أنه إيقاع استهزاءهم بهم ورد خداهم ومكرهم عليهم، ذكر

هذه الأقوال محمد بن القاسم الأنبارى.

الثامن: أن الاستهزاء بهم أن يقال لأحدهم فى النار وهو فى غاية الذل: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾[الدخان: ٤٩].

التاسع: أنه لما أظهروا من أحكام إسلامهم فى الدنيا خلاف ما أُبطن لهم فى الآخرة كان الاستهزاء بهم»[1].. وتكاد تكون هذه الأقوال جل ما ذكره المفسرون فى هذه الآية، وإن كان جميعها تصلح أن تكون هى معني المكر وما شابه فى حق الله جل وعلا وهى واقعة فى مقابلة مكرهم علي سبيل المشاكلة الحقيقية.

وقد أيد الطبرى هذا الأخير وعقب عليه بقوله: «والصواب فى ذلك: أن معني الاستهزاء فى كلام العرب (إظهار المستهزئ للمستهزأ به من القول والفعل ما يرضيه ويوافقه ظاهرًا، وهو بذلك من قيله وفعله به مورثة مساءة باطنًا»، وكذلك معني (الخداع والسخرية والمكر.

وإذا كان ذلك كذلك وكان الله جل ثناءه قد جعل لأهل النفاق فى الدنيا من الأحكام - بما أظهروا بألسنتهم من الإقرار بالله وبرسوله وبما جاء به من عند الله المُدْخِل لهم فى عداد من يشمله اسم الإسلام، وإن كانوا بغير ذلك مستبطنين من أحكام المسلمين المصدقين-إقرارهم بألسنتهم.. مع علم الله بكذبهم واطلاعه علي خبث اعتقادهم وشكهم

---

(1) تفسير ابن الجوزي٣٥ ،١٠/٣٦

فيما ادعوا بألسنتهم أنهم مصدِّقون، حتي ظنوا فى الآخرة إذا حشروا فى عداد من كانوا فى عدادهم فى الدنيا أنهم واردون موردهم وداخلون مدخلهم، فإن الله جل جلاله مع إظهاره ما قد أظهر لهم من الأحكام لملحِقُهم فى عاجل الدنيا وأجل الآخرة إلي حال تمييزه بينهم وبين أوليائه وتفريقه بينهم وبينهم، معدٌّ لهم من أليم عقابه ونكال عذابه ما أعد منهم لأعدي أعدائه وأشر عباده حتي ميز بينهم وبين أوليائه فألحقهم من طبقات جحيمه بالدرک الأسفل.

وإذا كان ذلک كذلک، كان معلومًا أن ذلک من فعله جل ثناؤه بهم.. وإن كان جزاء لهم علي أفعالهم، وعدلًا ما فعل من ذلک بهم لاستحقاقهم إياه منه بعصيانهم، له كان بهم ـ بما أظهر لهم من الأمور التى أظهرها لهم من إلحاقه أحكامهم فى الدنيا بأحكام أوليائه وهم له أعداء، وحشره إياهم فى الآخرة مع المؤمنين وهم به من المكذبين إلي أن ميز بينهم وبينهم- مستهزئًا وساخرًا، ولهم خادعًا، وبهم ماكرًا.. دون أن يكون ذلک معناه فى حال فيها المستهزئ بصاحبه له ظالمًا، أو عليها فيها غير عادل»[1].

والملاحظ أن الطبرى بسوقه هذا الرأى وتبنيه انتصاره له، يسير علي نهج السلف الصالح فى نسبة هذه الصفات علي نحو ما أثبتها الله جل

([1]) الطبري١٠٣ ،١٠/١٠٤

ثناءه لنفسه لا يتأولها ولا يخرجها عن ظاهر معناها كما لجأ إلي ذلك ووقع فيه غيره من المفسرين.

وبمثل ما ذكر الطبرى ذهب أهل الحديث علي أن الاستهزاء منه تعالي علي حقيقته وإن لم يكن (المستهزئ) من أسمائه الحسني، وقالوا: إنه التحقير علي وجه من شأنه أن من اطلع عليه يتعجب منه ويضحك، ولا استحالة فى وقوع ذلك منه عز شأنه.

هذا وقد «أسند سبحانه الاستهزاء إليه مُصدِّرًا الجملة بذكره، للتنبيه علي أن الاستهزاء بالمنافقين هو الاستهزاء الأبلغ الذى لا اعتداد معه باستهزائهم لصدوره عمن يضمحل علمهم وقدرتهم فى جانب علمه وقدرته، وأنه تعالي كفي عباده المؤمنين وانتقم لهم، وما أحوجهم إلي معارضة المنافقين تعظيما لشأنهم لأنهم ما استهزأ بهم إلا فيه- أى فى الله- ولا أحد أغير من الله سبحانه»[1].

وكذا فى قول الله سبحانه ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾[البقرة: ٩] دلالة علي تحقير شأنهم أيضًا، فقد «ذكر الله سبحانه مخادعتهم، للتدليل علي أن معتقدهم وظنهم أن الله ممن يصح خداعه، لأن من كان ادعاؤه الإيمان بالله نفاقًا لم يكن عارفًا بالله ولا بصفاته، ولا أن لذاته تعلقا بكل معلوم، ولا أنه لا يجوز عليه فعل

(1) روح المعاني.١/١٥٩

القبائح.. فبين بعدها - فى قوله: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾- أن ضرر المخادعة يلحق أنفسهم ومكرهم يحيق بهم، كما تقول: فلان يضار فلانًا وما يضار إلا نفسه، أى أن دائرة الضرار راجعة إليه ولا تتخطاه، وإلي هذا يشير قوله تعالي: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[فاطر: ٤٣]»[1].

(1) أضواء على متشابهات القران.١/٢٤

الفصل الثاني

المشاكلة في النظم القرآني..

ما جاء منها على حدِّ المجازاة علي الأفعال السيئة وما لم يجئ كذلك

- المبحث الأول: المشاكلة في القرآن في صفات المجازاة.
- المبحث الثاني: المشاكلة في غير صفات المجازاة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المبحث الأول

المشاكلة في صفات المجازاة

ومن المهم أن نتناول علي أثر ما سبق: محاسن المشاكلة فى القرآن الكريم، وذلك من الناحية العملية والتطبيقية، لبيان أثر هذا اللون من أصباغ البديع فى نفوس المخاطبين، وإنا إذ نعرض لهذا من خلال حصر واستقصاء أمثلة المشاكلة فى كتاب الله سبحانه، إنما نعرضه بحسب الصفات والمعانى التى جاءت بها المشاكلة فى القرآن الكريم، ليتم أثناء ذلك توضيح وبيان النواحى الجمالية فى أساليب القرآن الكريم، ووقع (المشاكلة) فى كتاب الله سبحانه علي النفوس، واستجلاء ما أمكن من أسرارها ومعانيها الدقيقة وإشاراتها اللطيفة الزاخر بها كتاب الله جل وعلا.

أولًا: إطلاق السخرية على وجه المجازاة مشاكلةً

ويبدو هذا واضحا فى قول الله تعالي: ﴿فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ﴾ [التوبة: ٧٩]، وقوله: ﴿قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ﴾[هود: ٣٨].

وعن الآية الأولي يقول ابن كثير «هذا من باب المقابلة علي سوء صنيعهم واستهزائهم بالمؤمنين.. فعاملهم معاملة من سخر منهم انتصارًا

للمؤمنين فى الدنيا، وأعد للمنافقين فى الآخرة عذابًا أليما لأن الجزاء من جنس العمل»[1]، فالآية «إخبار بمجازاته تعالي إياهم علي ما فعلوا من السخرية والتعبير عنها بذلك للمشاكلة»[2].. إذ إن فيها ذكر الجزاء بلفظ السخرية لوقوعه فى صحبة سخرية المنافقين حيث «كانوا يستخفون بالمسلمين الذين يتصدقون بما يجدون، ويقولون: إن الله غنى عن صدقة هذا»[3].. وجزاء الشىء قد يسمي باسم الشىء كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾[الشوري: ٤٠]، قال ابن عطية:

«إن فى ذلك- يعنى: العقوبة التى سميت باسم الذنب- عبارة عما حل بهم من المقت والذل فى نفوسهم».. وقال الأصم:- موضحا وجه المجازاة فى الآية- أمر الله نبيه صلي الله عليه وسلم أن يقبل معاذيرهم الكاذبة فى الظاهر ووبال فعلهم عليهم كما هو، فكأنه سخر منهم، ولهذا قال- بعدها- ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾وهو عذاب الآخرة المقيم، وفى هذه الآية دلالة علي أن لمز المؤمن والسخرية منه من الكبائر لما يعقبها من الوعيد»[4]، وعليه فالجملة خبرية.. وقيل إن صيغته خبر

---

(١) ابن كثير٢/٣٧٦

(٢) البلاغة في تفسير أبو السعود .د .الشحات ص٤٣٢

(٣) معترك الأقران٣/٤٧٤

(٤) البحر المحيط لأبي حيان٥/٧٦

ومعناه الدعاء وأنه لما قال ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾قال: ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾علي سبيل المقابلة، ومعناه أمهلهم حتي ظنوا أنه أهملهم- فكأنه دعاء عليهم بالسخرية من الله- وعلي ذلک رد الزمخشرى قائلًا: إنها خبرية «وليست إنشائية للدعاء عليهم.. لأن قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ جملة خبرية معطوفة عليها فلو كان دعاء للزم عطف الخبرية علي الإنشائية- وذلک غير مستساغ- وإنما اختلفا فعلية واسمية لأن السخرية فى الدنيا، وهى متجددة، والعذاب الأليم فى الآخرة وهو ثابت دائم»[1].

فترجح من ذلک أن تكون خبرية بمعني يستهزئون منهم وأنه مجازيهم علي ذلک كقوله تعالي: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾وقد نزلت هذه الآية (فيمن عاب المتصدقين..- حين- قال المنافقون: ما تصدق هؤلاء إلا رياء وسمعة، وما تصدق أبو عقيل إلا ليذكر مع الأكابر أو ليذكر بنفسه فيعطي من الصدقات والله غنى عن صاعه.. وفى ذلک قال تعالي عن فقراء المطوعين: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾هم مندرجون فى المطوَّعين، ذكروا تشريفًا لهم حيث ما فاتتهم الصدقة بل تصدقوا بالشيء وإن كانوا أشد الناس حاجة إليه، وأتعبهم فى تحصيل ما تصدقوا به كابى عقيل وأبى خيثمة وكان قد لمز فى التصدق بالقليل..

---

(1) البيضاوي.٤/٣٤٨

قال ابن عباس: وكان هذا فى الخروج إلي غزوة تبوك»[1].

وفى آية هود ﴿قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾تصوير لما وقع من قوم نوح وقد استهزءوا به لعمله السفينة، حيث كان يعملها فى بريئة بعيدة من الماء.. وكانوا يضحكون منه ويقولون: (صرت نجارًا بعد ما كنت نبيًا)، فكان استهزاؤهم وسخريتهم منه عليه السلام حقيقة، وأما سخريته منهم فاختلف العلماء، يقول الشهاب علي البيضاوى: إسناد الاستهزاء إلي نوح عليه السلام حقيقة وكذا إلي عمله، يدل عليه قوله ﴿كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ وهو لا يقبح منه لكونه جزاء من جنس صنيعهم، وقيل: إنه مجاز لأنه سبب الاستهزاء.. فيكون- فى قوله: ﴿نَسْخَرُ مِنكُمْ﴾مشاكلة لأنه لا يليق بالأنبياء عليهم السلام، ولذا فسر بعضهم السخرية بالاستجهال وهو مجاز لأنه سبب للسخرية، فأطلقت السخرية وأريد سببها أو هو علي هذا مشاكلة[2]، لكونه من باب تسمية المجاز علي الفعل باسمه وواقعًا فى صحبته، «وذكر الزركشى أن قوله: ﴿فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ﴾من مجاز إطلاق اسم الضدين علي الآخر لأن الفعل الثانى ليس بسخرية»[3].. كما ذكر الرازى: فى

---

(1) البحر المحيط٥/٧٦

(2) ينظر: البيان عند الشهاب الخفاجي د .فريد النكلاوي ٢/٤٩٧ عن حاشية الشهاب٥/٩٦

(3) نفس المرجع عن البرهان٢/٢٨٣

معني قوله: ﴿فَإِنَّا نَسْخَرُ﴾وجوها:

الأول: إن تسخروا منا فى هذه الساعة، فإنا نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم إذا وقع عليكم الغرق فى الدنيا والخزى فى الآخرة.

الثانى: إن حكمتم علينا بالجهل فإنا نحكم عليكم بذلك لكفركم. وقال سمي المقابلة سخرية كما فى قوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشوري: ٤٠]»[1].. فتكون مشاكلة والنافون عن نوح عليه السلام معني السخرية لكونه غير لائق بالأنبياء، نظروا إلي المعني اللغوى للتسخير، الذى هو (سياقه إلي الغرض المختص قهرًا قال تعالي ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[الجاثية: ١٣]، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾[إبراهيم: ٣٣]»[2]، فإذا ما وضعنا فى الاعتبار أنه أطلق علي الجزاء اسم السخرية لبيان أن ذلك من جنس صنيعهم مع جعل سخريته عليه السلام علي الوجه الذى يليق بالأنبياء دون هؤلاء المعاندين، رفع عنه صفة الاستقباح وظهر أنه إنما أطلق كذلك لوقوعه فى صحبة الأول تحقيقًا.

---

(١) تفسير الفخر الرازي٥/٥٧

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٢٢٦

ثانيًا –إطلاق صفة الخداع على الله على جهة المجازاة مشاكلةً

وفى ذلك يقول تعالي: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾[البقرة: ٩]، ويقول: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء: ١٤٢].

«وخداع المنافق ربه والمؤمنين إنما يُكمن فى إظهاره بلسانه من القول والتصديق خلاف الذى فى قلبه من الشك والتكذيب ليدرا عن نفسه حكم الله عز وجل من القتل والسباء»(١)، فيعتقد هو ومن معه بجهلهم «أنهم يخدعون الله بذلك، وأن ذلك نافعهم عنده، وأنه يروج عليه كما قد يروج علي بعض المؤمنين كما قال تعالي ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾ [المجادلة: ١٨]»(٢).

ويجوز أن يكون المعني: إن المنافقين يخادعون الله بإحرازهم بنفاقهم دماءهم وأموالهم، والله خادعهم مما حكم فيهم من منع دمائهم، بما أظهروا بألسنتهم من الإيمان مع علمه بباطن ضمائرهم واعتقادهم الكفر، استدراجًا منه لهم فى الدنيا حتي يلقوه فى الآخرة فيوردهم بما

---

(١) تفسير الطبري ١/٩١

(٢) ابن كثير ١/٤٨

استبطنوا من الكفر نار جهنم[1].. ولا شك أن الله لا يُخَادع، فإنه العالم بالسرائر والضمائر.. أو أن المعني فى ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾﴿عَظِيمٌ﴾ «يعملون عمل المخادع، لأن الله تعالي لا يصح أن يخادعه من يعرفه ويعلم أنه لا يخفى عليه خافية»[2]، وهو أعلم به من نفسه.. أو أنهم يخادعون الله بظنهم ألا يعاقَبوا فقد علموا خلاف ذلک بحجة الله الواقعة علي خلقه بمعرفته[3].

وفى إطلاق صفة الخداع عليه سبحانه مشاكلة لوقوعه فى صحبة خداع المنافقين علي جهة المجازاة وتسمية العقوبة باسم الذنب، فيكون قد «عبر عن هذا المعني- معني المجازاة- بالمخادعة علي وجه المقابلة وتسمية الفعل الثانى باسم الفعل المسبب له»[4]، ويدل عليه: أن ذلک قد جاء علي وزن المفاعلة التى تدل علي وقوع الكيد من طرفين، كلٌّ بما يليق به، إذ من المعلوم أن المفاعلة لا تكون إلا من فاعلين كما فى: (قاتلت زيدًا، وجالست عمرو)، والمرجح فى المفاعلة هنا أن تكون علي بابها.

---

(1) ينظر: تفسير الطبري.٤/٢١٤

(2) مجمع البيان للطبرسي.١/١٠٢

(3) ينظر: تفسير الطبري.١/٩٢

(4) البحر المحيط.١/٥٧

يقول ابن جرير: إن «ذلك من التفاعل الذى لا يكون إلا من اثنين كسائر ما يعرف من معني يُفاعِل ومفاعِل من كل كلام العرب، وذلك أن المنافق يخادع الله جل ثناؤه بكذبه بلسانه.. والله تبارك اسمه خادعه بخذلانه عن حسن البصيرة بما فيه نجاه لنفسه من أجل معاده، كالذى أخبر فى قوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ﴾[آل عمران: ١٧٨].. هذا فى الدنيا، وكالذى أخبر أنه فاعل به فى الآخرة بقوله: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾[الحديد: ١٣].. الآية»(١).

و«قال الحسن والسدى وابن جريج وغيرهم من المفسرين: هذا الخداع هو أنه تعالي يعطي هذه الأمة يوم القيامة نورًا لكل إنسان مؤمن أو منافق، فيفرح المنافقون ويظنون أنهم قد نجوا، فإذا جاءوا إلي الصراط طفئ نور كل منافق ونهض المؤمنون، وذلك قول المنافقين ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾وذلك هو الخداع الذى يجرى علي المنافقين»(٢)، «وفى الحديث: (إن الله يأمر بالعبد إلي الجنة فيما يبدو للناس ويعدل به إلي النار)»(٣).

---

(١) تفسير الطبري ٩٢/١

(٢) البحر المحيط ٣٧٧/٣ وينظر: القرطبي ٤٢١/٥

(٣) ابن كثير ٥٦٨/٢

وعلي ذلك وبناء علي جعل المفاعلة هنا علي بابها يكون خداعه سبحانه لهم أن جعل عقوبتهم فى الدنيا ذلهم وخوفهم، وفى الأخري عذاب جهنم.. قال الزمخشرى فى تفسير قوله ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾﴿فَٱللَّهُ «وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب فى الخداع حيث تركهم معصومى الدماء والأموال فى الدنيا، وأعد لهم الدرك الأسفل من النار فى الآخرة، ولم يُخْلِهم فى العاجل من فضيحة وإحلال بأس ونقمة ورعب دائم»[1].

وفى ترجيح الطبرى لأن تكون المفاعلة علي بابها، رد علي بعض المنسوبين إلي العلم بلغات العرب: أن مجيء (يخادع) بصورة (يفاعل) إنما هو بمعني (يفعل)، وذلك نظير قولهم: (قاتله الله) و(عافاه الله) بمعني: (قتله الله) و(عفا عنه)، ومثل (عاقبت اللص وطارقت النعل) فتكون المخادعة هنا (بمعني خَدَع وكأنه قال يخدعون الله)[2] من الفعل المجرد لا من (خادع) المزيد بحرف.

ومما يرجح أن تكون المخادعة علي بابها فى المفاعلة- علي نحو ما ذهب الطبرى-: كونها بذلك حاملة معني المجازاة، وأن الجزاء إنما كان من جنس العمل، فالمنافق إنما صنعها فى نفسه، فهو فضلًا عن

---

(1) ينظر: البحر المحيط.٣/٣٧٧

(2) البحر المحيط.١/٥٦

تسببه لما ألحقه بنفسه من الخذلان علي ما أوضحت آية النساء، هو أيضًا يخدع نفسه باستهزائه بآيات الله وأنبيائه وأوليائه علي نحو ما أشارت إليه آية البقرة، وهذا هو ما تعنيه المشاكلة فى ذكر خداعة سبحانه فى مقابلة خداعهم لوقوعه فى صحبته، ومعلوم أن خداعة سبحانه إنما هو خداعه يليق به جل شأنه، وهو مغاير لخداعهم القبيح.

يقول ابن كثير فى معني المخادع نفسه: ذلك بأن «يعطيها أمنيتها ويسقها كأس سرورها، وهو موردها حياض عطبها ومجرعها به كاس عذابها، ومذيقها من غضب الله وأليم عقابه ما لا قِبَل لها به.. ظنًا منه مع إساءته إليها فى أمر مَعَادِها أنه إليها محسن»[1]، أما علي تقدير حذف مضاف بمعني: (يخادعون نبى الله صلى الله عليه وسلم) يكون الغرض منه [illegible] على أمرين:

أحدهما: فظاعة فعلهم فيما تحروه من الخديعة وأنهم بمخادعتهم إياه يخادعون الله.

والثانى: التنبيه علي عظم المقصود بالخداع، وأن معاملته كمعاملة الله، كما نبه عليه بقوله تعالي: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]»[2]. وإن كان لهذا الرأى وجاهته لكنه مرجوح لأمرين:

---

(١) ابن كثير١٠/٤٨

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الاصفهاني ص١٤٣٠

الأول: أنه يحمل بطريقة غير مباشرة نفي صفة أثبتها الله لنفسه، وهى: صفة الخداع، وهى وإن كانت مقيدة إلا أن فى ذلك تعطيل لصفة من صفاته تعالي وتأويل لمعانيها ويحوى شبهة التكذيب لآيات القرآن.

الثانى: أن من القائلين به، مَن أقر أن مثل هذه الصفات منه ما هو مذموم ومنه ما هو محمود، ومثَّل لذلك بالمكر وغيره، كالراغب الأصفهانى، فكان ينبغى أن يسير الباقى علي باب واحد، إذ إن الخداع أيضًا كالمكر، منه المذموم ومنه المحمود، يقول الراغب الأصفهانى وهو من القائلين هنا بتقدير حذف المضاف: أن «المكر: صرف الغير عما يقصده بحيلة، وذلك ضربان: مكر محمود، وذلك أن يتحري الفعل الجميل، وعلي ذلك قال: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ ومذموم: وهو أن يتحري به فعلًا قبيحًا كما فى قوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣]، ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[الأنفال: ٣٠] ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾[النمل: ٥١] وقال فى الأمرين: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾[النمل: ٥٠][1] وكان علي الأصفهانى أن يقول بمثل ذلك فى قوله سبحانه: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾[النساء:

(1) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٤٨٧.

١٤٢]، فيكون الباب علي نسق واحد ويسلم بذلك من شبهة التأويل والتعطيل لبعض صفاته سبحانه.. إذ الأصوب هو: أن يكون الخداع من باب المفاعلة ليعطي معني المجازاة، وهو ما تفيده الآيات ويدل عليه السياق، وعليه تكون المشاكلة، وما لا يحتاج إلي تقدير أولي مما يحتاج فلا وجه إذاً لإضمار مضاف طالما أن المعني من غيره صحيح.

وجاء قوله: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ فى آية البقرة والنساء كذا «بلفظ المضارع لا بلفظ الماضى، لأن الماضى يُشعر بالانقطاع، بخلاف المضارع فإنه يشعر فى معرض المدح والذم بالديمومة نحو: (زيد يدع اليتيم، وعمرو يقري الضيف)»[1]، وإنما قابله فى آية النساء بقوله: ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ليدل علي تحقق الوقوع وأنه سبحانه غير تاركهم ولا غافلا عما يعملون.

ثالثًا –إطلاق الاستهزاء على الله على جهة المجازاة مشاكلة

وذلك قوله تعالي: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[البقرة: ١٤، ١٥]، فالآية من أولها تدل علي مدي استهزاء المنافقين بالله ورسوله وبالمؤمنين، كما تُبين مدي ولائهم لإخوانهم من المنافقين والمناوئين لدين الله سبحانه، يقول عز جاهه:

---

(١) البحر المحيط ١/٥٨

﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾[البقرة: ١٤] فأخبروا أنهم موافقوهم، وأخرجوا الإخبار فى جملة اسمية مؤكدة بـ (إن) ليدلوا بذلك علي ثباتهم فى دينهم، ولم يكتفوا بالأخبار بالموافقة حتي بينوا أن سبب مقالتهم للمؤمنين، إنما هو الاستهزاء والاستخفاف.. وأبرزوا هذا الاستهزاء فى جملة اسمية أخري مؤكَّدة بـ(إن) مخبَرٌ عن المبتدأ فيها باسم الفاعل الذى يدل علي الثبوت، وأن الاستهزاء وصف ثابت لهم، لا أن ذلك تجَدَّد عندهم بل ذلك من خلقهم وعادتهم مع المؤمنين وكأن هذه الجملة وقعت جوابًا لمنكر عليهم قولهم ﴿إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ كأنه قال: كيف تدَّعون أنكم معنا وأنت مسالمون للمؤمنين تصدقونهم وتكثِّرون سوادهم وتستقبلون قبلتهم وتأكلون ذبائحهم، فأجابوهم بقولهم ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ أى مستخفون بهم، نصانع بما نُظهر من ذلك عن دمائنا وأموالنا وذرياتنا، فنحن نوافقهم ظاهرًا ونوافقكم باطنًا، والقائل ﴿إِنَّا مَعَكُمْ ﴾إما المنافقون لكبارهم، وإما كل المنافقين للكافرين[1]

وقولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾إشعار بأن ما حكي، من الشناعة بحيث يقتضى ظهور غيرة الله تعالي، وبحيث يسأل كل أحد عن كيفية انتقامه

(1) ينظر: البحر المحيط١/٦٩

منهم»[1].. وقد قابل سبحانه فى هذه الآية بين استهزائه الذى جاء علي جهة المجازاة بالعدل والحق وهو محمود، فى مقابلة استهزائهم المذموم بالله ورسوله علي طريق المشاكلة والوقوع فى الصحبة، وفى مقابلة استهزائهم بالمؤمنين باستهزاء الله بهم ما يدل علي عظم شأن المؤمنين وعلو منزلتهم وليعلم المنافقون أن الله هو الذى يذب عنهم ويحارب من حاربهم.

وفى افتتاح الجملة باسم الله التفخيم والتعظيم حيث صدرت الجملة به، واستئناف قوله ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾من غير عطف، هو فى غاية الجزالة والفخامة[2]، وجَعْل الخبر فعلًا مضارعًا، يدل عندهم علي التجدد والتكرر، ذلك أنه لمَّا كانت نكايات الله وبلاياه تنزل عليهم ساعة فساعة، قال تعالي عن ذلك: ﴿أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ﴾[التوبة: ١٢٦] وما كانوا يَخْلُون فى أكثر أوقاتهم من تهتك أستار وتكشف أسرار واستشعارٍ من أن ينزل فيهم نحو قوله: ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ﴾[التوبة: ٦٤]، وهذا نوع من العذاب الأدني لهم ولعذاب الآخرة أشد لو كانوا يعلمون.

---

(١) روح المعاني للألوسي.١٥٩/١

(٢) ينظر: النسفي.١٨/١

لما كان الأمر كذلك قيل لهم: ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾بالمضارع، وإنما عدل به عن (مستهزئ بهم) «المطابق لقولهم، لإفادته التجدد الاستمرارى وهو أبلغ من الاستمرار الثبوتى الذى تفيده الاسمية لأن البلاء إذا استمر قد يهون وتألفه النفس[1]، وفى ذلك من روعة البيان وجمال المشاكلة ما لا يخفى، كما أنه أبلغ فى النسبة من الاستهزاء المخبر به فى قولهم، ثم إن ذلك التنصيص علي الذين يستهزئ الله بهم إذ عَدَّي الفعل إليهم بالباء فقال: ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾وهم بعدُ لم ينصُّوا حين نسبوا الاستهزاء إليهم علي من تعلق به الاستهزاء، فلم يقولوا: (إنما نحن مستهزئون بهم)، الوجه فيه:

تحرجهم من إبلاغ ذلك للمؤمنين، فينقمون ذلك عليهم، فأبقوا اللفظ محتملًا أن لو حوقِقوا علي ذلك لكان لهم محال فى الذب عنهم أنهم لم يستهزئوا بالمؤمنين.. يدل علي ذلك: مداراتهم عن أنفسهم بقولهم: (آمنا بالله وباليوم الآخر)، وبقولهم إذا لقوهم (أمنا) فهم عند لقائهم لا يستطيعون إظهار المداراة ولا مشاركتهم بما يكرهون بل يظهرون الطواعية والانقياد[2].

وعلي ذلك فقوله سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾

---

(1) ينظر: روح المعاني للآلوسي.١/١٥٩

(2) ينظر: البحر المحيط.١/٧٠

إنما جاء «جوابًا لهم ومقابلة علي صنيعهم»[1]، روي الضحاك عن ابن عباس فى قوله تعالي ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾قال: يسخر بهم للنقمة منهم، وقوله تعالي: ﴿وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾قال السُّدى عن ابن مسعود: يمدهم يملي لهم، وقال مجاهد: يزيدهم، قال تعالي ﴿ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ٥٥ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴾[المؤمنون: ٥٥، ٥٦] وقال: ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[القلم: ٤٤]، قال بعضهم: كلما أحدثوا ذنبا أحدث لهم نعمة وهى فى الحقيقة نقمة، وقال تعالي ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ٤٤ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[الأنعام: ٤٤، ٤٥] قال ابن جرير: والصواب نزيدهم علي وجه الإملاء والترك لهم فى عتوهم وتمردهم كما قال تعالي ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٠]»[2]

وكان ابن جرير قد ذكر فى صفة استهزاء الله بالمنافقين- من غير الذى ذكرناه- أقوالا متعددة، من ذلك: «قول بعضهم: استهزاؤه بهم:

---

(١) ابن كثير١/٥١

(٢) ابن كثير١/٥٢

توبيخه إياهم ولومه لهم علي ما ركبوا من معاصى الله والكفر به.. وقال آخرون: قوله ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[البقرة: ١٤، ١٥]، ومثله قوله: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] وقوله: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾[التوبة: ٧٩]، و﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[التوبة: ٦٧] وما أشبه ذلك، إخبار عن الله أنه مجازيهم جزاء الاستهزاء، ومعاقبهم عقوبة الخداع فأخرج خبره عن جزائه إياهم وعقابه لهم مخرج خبره عن فعلهم الذى عليه استحقوا العقاب فى اللفظ وإن اختلف المعنيان كما قال جل ثناؤه ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشوري: ٤٠] ومعلوم أن الأولي من صاحبها سيئة وأن الأخري عدل لأنها من الله جزاء للعاصى علي المعصية»[1].

وهذا الوجه هو الأدخل فى باب المشاكلة والأقرب لحدِّه والأنسب لتعريفه، حيث إنه أخبر عن فعلهم الذى استحقوا عليه العقاب فى الدنيا والآخرة لوقوع هذا الأخير فى صحبة الأول، أو هو ذكر اللفظ – وهو ما يرمي إليه المعني اللغوى للاستهزاء وهو مذموم ومحال عليه سبحانه– بلفظ غيره وهو الاستهزاء المحمود الذى جاء علي جهة المجازاة بالعدل واللائق به جل وعلا لوقوعه فى صحبة استهزائهم البغيض واللائق بهم وبطبائعهم الخبيثة.

---

(1) الطبري١٠٢ ،١٠٣/١٠.

رابعًا – استعمال الكيد في حقه سبحانه على جهة المجازاة مشاكلةً

وذلك قوله تعالي: ﴿ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾[الأعراف: ١٥٩]، ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾[هود: ٥٥]، ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾[يوسف: ٨٦]، ﴿ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴾[الطور: ٤٢]، ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴾[المرسلات: ٣٩]، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾[الطارق: ١٥، ١٦]، وجل آيات المشاكلة هنا تحمل معني التهديد والوعيد والتحدى لفرط ما هم عليه من عناد وكبرياء وغطرسة، ولكثرة ما هم عليه من جحود ونكران وتحدٍّ لله ولرسوله وللمؤمنين.

ففى قوله: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴾[المرسلات: ٣٩] مثلًا، فعل أمر مراد به التعجيز، وكذا قوله: ﴿ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾[الأعراف: ١٩٥]، وقوله: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾[هود: ٥٥] إذ إن الأمر ليس علي معناه الحقيقى، ومجيء كل هذا فى مقابلة كيدهم وفى صحبته سواء كان ذلك تحقيقًا أو تقديرًا أفاد المشاكلة التى هى ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته.. فمن المعلوم أن كيده سبحانه علي وجه الجزاء والعدل، وهو حسن لذلك ولكونه من جهة العلم والقدرة فلا يذم، وهو غير كيدهم الذى يرجع إلي الظلم والكذب وسوء القصد وفساد الإرادة، كما أن ذلك مغاير لكيد أنبياء الله ورسله القائم علي إقامة الحجة ودحض الشبهة.

وفى آية الأعراف خَوّف قومُ هود نبيَّهم بآلهتهم وحذروه من كيدها له ونسبوا إليها إيصال السوء لهود عليه السلام ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ﴾فتحداهم هود عليه السلام إبطالا لدعوتهم الشركية هذه، وأمره ربه أن يقول لهم متحديا ﴿ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ﴾واستعينوا بهم علي إيصال الضر إليّ ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ أى: امكروا بى ولا تؤخرون عما تريدون بى من الضر، وسمي الأصنام شركاء من حيث نسبتهم إليهم بتسميتهم إياهم آلهة وشركاء لله تعالي.. وما وقع مع نبى الله هود عليه السلام وقع مع جميع الأنبياء وعلي رأسهم نبينا محمد عليهم جميعًا صلوات الله وسلامه، ولذا يقول له مسليا: ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾[الرعد: ٣٢]، أى: سُخِر بهم وازدُرِي عليهم، فليكن لك فيهم أسوة.

وقوله: ﴿فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾[الرعد: ٣٢] تعنى: أنظرتُهم وأجَّلتُهم ليؤمن من كان فى علمى أنه يؤمن منهم، فلمّا حق القضاء «أخذتهم أخذه رابية، فكيف بلغك ما صنعت بهم وعاقبتهم وأمليت لهم، كما قال تعالي: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَمۡلَيۡتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ ثُمَّ أَخَذۡتُهَا وَإِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾[الحج: ٤٨]، وفى الصحيحين: (إن الله ليملى للظالم حتي إذا أخذه لم يفلته) ثم قرأ رسول الله صلي الله

عليه وسلم ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[هود: ١٠٢]..[١] فأوضح سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم أن حاله كحال من تقدمه من الرسل وأن المستهزئين يُملى لهم، أي يُمهلون ثم يُؤخذون، وفيه تنبيه على أن حال من استهزأ به صلى الله عليه وسلم وإن أُمهل حال أولئك في أخذهم ووعيد لهم.

وفى قوله ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾استفهام معناه التعجب وفى ضمنه – أيضًا – وعيد لمعاصرى الرسول صلي الله عليه وسلم من الكفار[٢].. كما أن فيه تنبيه علي أن قريشًا وإن أملي تعالي لهم وأمهلهم فإنه لابد من عقابهم فلا يفرحوا بتأخير العذاب عنهم[٣] وقد حدث، فقد أملي الله لقريش ثم أخذهم فى غزوة بدر وفى فتح مكة وغيرهما، والأخذ كناية عن العقاب والإهلاك، وكيف لا، وقد أخبر نبيه فى موضع أخر مطمئنا: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[الأنفال: ١٨]، والمعني: «أن الله عز وجل يلقي فى قلوبهم الرعب حتي يتشتتوا ويتفرق جمعهم فيضعفوا»[٤].

---

(١) ابن كثير ٥١٦/٢ وينظر: القرطبي٣٢٢/٩

(٢) ينظر: البحر المحيط٣٩٣/٥

(٣) ينظر: البحر المحيط٣٧٩/٩

(٤) القرطبي٣٨٦/٧

وبعد أن قابل سبحانه كيد أنبيائه ورسله بكيد أعدائه، تحدي هؤلاء المعاندين فى غير ما موضع بكيده هو، وذلك علي طريق المشاكلة أيضًا ومقابلة كيدهم القبيح المذموم بكيده الحسن المحمود، ومن ذلك قوله ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾[المرسلات: ٣٩]، وفى ذلك تهديد شديد ووعيد أكيد، ومعناه: إن قدرتم علي أن تتخلصوا من قبضتى وتنجو من حُكمى فافعلوا، فإنكم لا تقدرون علي ذلك ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾[التوبة: ٣٩] إنما تضرون بذلك أنفسكم حين تعرضونها لمقت الله وغضبه وشديد وعيده وأليم عذابه، كما تحداهم وقابل كيدهم بكيده فى قوله ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾[الطارق: ١٥، ١٧] وشتان بين كيدهم وكيده، فكيدهم كائن علي الناس فى دعوتهم إلي خلاف القرآن والطريق المستقيم، وكيده لهم بنُصره أوليائه ورد كيد أعدائه إلي نحورهم فى الدنيا، وبما أعده لهم وأوعدهم به فى الآخرة، وذلك قوله: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾[الطارق: ١٥، ١٧].. أى: وستري ماذا أحل بهم من العذاب والنكال والعقوبة والهلاك.. «وإنما كرر وخالف بين اللفظين (الكيد) و(الإمهال) لزيادة التسكين منه والتبصير»[1]، كما

(١) الكشاف للزمخشري ٤/٢٤٢

قال تعالي ﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾[لقمان: ٢٤][1]، وكما قال ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ﴾أى أطول لهم ما هم فيه، ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ أى: «عظيم وقوي شديد لمن خالف أمرى وكذب رسلى واجترأ علي معصيتى»[2].

وبعد أن أبان سبحانه طريقة كيدهم المُنْصبِّ علي الناس إلي خلاف القرآن والطريق المستقيم، أبان علي طريق المقابلة والمشاكلة والوقوع فى الصحبة، طريقة كيده لهم وأنه هو الإملاء ومدُّهم بالأموال والأولاد وكثرة الخيرات واستدراجهم بكل هذه النعم، فما «وقع من سعة أرزاقهم وتطويل أعمارهم: إحسان عليهم ونفع ظاهر، والمقصود به الضرر لمَا عُلم من خبث جبلتهم وتماديهم فى الكفر والعصيان، فذلك موقع لهم فى ورطة التهلكة»[3]، وذلك قوله: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾[المؤمنون: ٥٥، ٥٦]، وقوله: ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[القلم: ٤٤]، وقوله: ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ

(١) ابن كثير٤/٤٩٨

(٢) السابق.

(٣) البيضاوي٨/٢٣٣

أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾[التوبة: ٨٥].

وإنما سمَّي فعله ذلك بهم كيدًا – يعنى فى قوله تعالي: ﴿ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴾[القلم: ٤٥] – لأنه شبيه بالكيد من حيث إنه فى الظاهر إحسان وفى الحقيقة خذلان)» [١].. وعليه فالكيد هو: «الإنعام عليهم وإمهالهم مع عصيانهم حتي يستحقوا العذاب وأخذهم أشد أخذ، فمقدمته إحسان وعاقبته إهلاك بعد خذلان»[٢].

وأيضا سماه كيدًا لنزوله بالعباد من حيث لا يشعرون، ولكونه فى صورة الكيد حيث كان سببًا للهلاك «قال بعضهم: أراد بالكيد: العذاب، والصحيح أنه هو: الإملاء والإمهال المؤدى إلي العقاب»[٣]، «والأصل أن معني الكيد والمكر والاستدراج، هو: الأخذ الشديد من جهة الأمن»[٤] والمتين من كل شيء: القوي، «وأصله من: المتن، وهو اللحم الغليظ الذى هو جانب الصلب»[٥]، والآية «إخبار عن المكذبين عمومًا، وقيل: نزلت فى المستهزئين من قريش، قتلهم الله فى ليلة واحدة بعد أن

---

(١) البحر المحيط.٤/٤٣١

(٢) البيضاوي.٤/٢٤٠

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٤٥٨،٤٥٩

(٤) النسفي ص.٤/٢١٣

(٥) القرطبي.٧/٣٢٩

أمهلهم مدة»[1]، ونظيره قوله تعالي: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤].. وفى هذه الآية وكذا قوله: ﴿إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗا﴾ [آل عمران: ١٧٨]، وأمثالهما، «حجة علي المعتزلة فى مسألتى: الأصلح وإرادة المعاصى»[2]، كما أنها حجة لنا أيضًا علي إبطال تأول صفات المجازاة كالنسيان والإملاء والكيد وغيرهما.

خامسًا –تسمية الجزاء باسم الإزاغة مشاكلةً

ويبدو هذا ظاهرًا فى قول الله تعالي: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾[آل عمران: ٧، ٨] ويقول ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾[الصف: ٥]. ومعني الإزاغة: الضلالة والميل عن الاستقامة وذلك هو الوجه المذموم، وأما نسبة ذلك إليه تعالي فهو ذاك الذى يكون علي سبيل المجازاة لمن تركوا أوامره ومالوا عن الاستقامة، فهو فى حقه سبحانه عدل وحق وجزاء، ذلك أن تسمية الجزاء باسم الإزاغة بحقه تعالي مشاكلة لوقوعها فى صحبة من له الاسم حقيقة متعارفة، كتسميته–

(1) البحر المحيط.٤/٤٣١

(2) النسفي.١/١٥٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الجزاء- باسم السيئة فى قوله تعالي ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشوري: ٤٠]

وفى ذلك كما قلنا: رد علي المعتزلة فى قولهم: أن الله لا يضل ولا يزيغ لأنه لا يجوز أن تصدر منه، لأن ذلك ظلم وجور وقبيح، وعليه فيجب صرف هذه الآيات وتأويلها.. وهذا فهم خاطئ من قائليه إذ لو لم تكن الإزاغة من قبله تعالي لَمَا جاز أن يدعي فى رفع ما لا يجوز عليه فعله[1] كما فى قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا﴾ ولَمَا جاز أن يقع هذا الدعاء إلي الله فى رفع الزيغ عن قلوب المؤمنين فى مقابلة زيغ الذين فى قلوبهم مرض- من الذين اتبعوا ما تشابه من كتاب الله ابتغاء الفتنة- علي وجه المقابلة والوقوع فى الصحبة وقوعًا محققًا.

علي أن عدلا من الله عز وجل إزاغة من زاغ قلبه من عباده عن طاعته، فلذلك استحق المدح من رغب إليه فى أن لا يزيغ، لتوجيهه الرغبة إلي أهلها ووضعه مسألته موضعه، مع تظاهر الأخبار عنه صلي الله عليه وسلم فى ذلك، مع محله منه وكرامته عليه، فعن أم سلمة أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: (يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبى علي دينك) ثم قرأ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾ ﴿بِٱلۡحَقِّ. إلخ، وما جاء عنها أن رسول الله صلي الله عليه وسلم كان يكثر فى دعائه أن

(1) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان.٣٨٦/٢

يقول: (اللهم مقلب القلوب ثبت قلبى علي دينک) قالت: قلت يا رسول الله وإن القلب ليقلب؟ قال: (نعم، ما خلق الله من بشر من بنى أدم إلا وقلبه بين أصبعين من أصابعه فإن شاء أقامه وإن شاء أزاغه)[1].

وإنما يكون ذلک مجازاة للعاصين وبسبب تركهم طريق الاستقامة ومعاداتهم لله وأوليائه، آية ذلک: قوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ﴾ أى: «مالوا عن الحق ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ أو فلما اختاروا الزيغ أزاغ الله قلوبهم، أى: خذلهم وحرمهم توفيق اتباع الحق»[2]، فما صفة الزيغ إذًا إلا صفة مجازاة مَثَلُها فى ذلک مَثلَ ما وصف الله به نفسه من (كيد واستهزاء ونسيان ومكر وخداع) إلي آخر هذه الصفات.

سادسًا –تسمية الجزاء باسم النصر مشاكلةً

وذلک قوله تعالي: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾[الحج: ٤٠]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾[محمد: ٧]، و«النصر والنصرة: العون.. ونصرة العبد لله هو نصرته لعباده، والقيام بحفظ حدوده،

---

(١) ينظر: تفسير الطبري٣/١٢٥ .. رواه الترمذي في كتاب الدعوات باب ٩٠حديث رقم ٣٥٢٢ وقال هذا حديث حسن وبمعناه روى مسلم في كتاب القدر ١٧وابن ماجة في كتاب الدعاء باب ٢وأحمد في المسند ٢/١٦٨.

(٢) تفسير النسفي٤/١٩٠

ورعاية عهوده، واعتناق أحكامه، واجتناب نهيه»[1] و«نصر دينه وشريعته وهذا علي سبيل المجاز»[2]، ووقوع نُصرة الله لعباده فى صحبة نَصرِ المؤمن لدين ربه وشريعته وحفظ حدوده إنما جاء علي سبيل المشاكلة والوقوع فى الصحبة وفى قوله سبحانه ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾[محمد: ٧]، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾[الحج: ٤٠] نلحظ أن الله سبحانه يعامل عباده من مبدأ أن الجزاء من جنس العمل، ولهذا قال تعالي مذيلا أية محمد «﴿وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾كما جاء فى الحديث: (من بلغ ذا سلطان حاجة مَن لا يستطيع إبلاغها ثبّت الله تعالي قدميه علي الصراط يوم القيامة)[3].

علي أن نصرة الله سبحانه لا نظير لها، فهو العزيز الغالب علي أمره ولا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، وكل هذه المعانى لا محالة نجدها فى نصرة الله تعالي لمن ينصره، لذا عقب آية الحج بقوله «﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾فوصف نفسه بالقوة والعزة، فبقوته خلق كل شىء، فقدَّره تقديرًا، وبعزته لا يقهره قاهر ولا يغلبه غالب بل كل شىء ذليل

---

(1) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني.٥١٤

(2) معجم ألفاظ القرآن مجمع اللغة العربية.٢/٧٢٠

(3) ينظر تفسير ابن كثير٤/١٧٤ ،٣٠/٢٢٦ .. والحديث رواه البزار عن أبي الدرداء وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد٥/٢١٠ .

لديه فقير إليه، ومن كان القوي العزيز ناصره فهو المنصور، وعدوه هو المقهور، قال الله تعالي ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١، ١٧٣][1]، أما غيره سبحانه فلا يملك حتي نصر نفسه فضلًا عن أن يملك نصر غيره، وفى ذلك رد علي هؤلاء الأغبياء الذين اتخذوا من أصنامهم ناصرين لهم، فنبه القرآن أن هذه الأصنام لا تملك لنفسها النصر أو دفع الضر عنها فكيف تملكه لغيرها؟

يقول البيضاوى فى قوله سبحانه: ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ﴾-أى: لعبدتهم- ﴿وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾[الأعراف: ١٩٢] فيدفعون عنها ما يعتريها، ويعلق الشهاب علي قوله: فيدفعون.. الخ، فيقول: «يعنى: أن النصر عبارة عن دفع الضرر مجازاً فى لازم معناه، أو مشاكلة»[2]، وإجراء المشاكلة فى مادة ﴿نَصْرَ﴾تقضي أن يكون ثمة فرق بين نصره سبحانه لعباده ونصر عباده له، ذلك أن نصره يعنى العون والمدد وإلقاء الرعب فى قلوب الأعداء وتثبيت الأقدام، أما نصر عباده فبحفظ دينه وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه، فهنا ذكر اللفظ بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته وتلك هى المشاكلة، ومراد منها هنا: المجازاة علي أنهم

(1) ينظر تفسير ابن كثير٤/١٧٤، ٣٠/٢٢٦

(2) البيضاوي.٤/٢٤٥

حفظوا حدوده ونفذوا أوامره فكان حقًا عليه سبحانه نصرهم كما فى قوله ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الروم: ٤٧].. وهو حق أحقه الله علي نفسه.

سابعًا – مواضع إطلاق صفة المكر في حق الله تعالى على وجه المجازاة مشاكلةً

هذا، وقد سبق أن ذكرنا لذلك قول الله تعالي ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾)آل عمران آية(٥٤ ، وقوله: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾)الأعراف آية(٩٩ ، وقوله: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[الأنفال: ٣٠] وقوله: ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ ﴾[يونس: ٢١] وقوله: ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ﴾[الرعد: ٤٢] وقوله: ﴿ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾)إبراهيم آية.(٤٦ وقوله: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[النمل: ٥٠].

وأوضحنا هنالك أثناء الحديث عن (مواقع المشاكلة) أن الأمن من مكر الله من أعظم الذنوب- وخلصنا إلي أن المكر يأتى فى حقه سبحانه علي سبيل المشاكلة التقديرية فى مثل قوله: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ

ٱللَّهِ﴾[الأعراف: ٩٩]، لمجيء هذه الصفة أحيانًا فى مقابلة مكر المعاندين علي سبيل المشاكلة التحقيقية.. وعليه فيدخل فى المشاكلة كل آيات المكر التى جاء فيها هذا الوصف للمولي جل وعلا.

والمكر فى آية آل عمران كان فى حق «الذين كفروا من بنى إسرائيل وهم الذين ذكر الله أن عيسي- عليه السلام- أحس منهم الكفر وكان مكرهم الذى وصفهم الله به مواطأة بعضهم بعضًا علي الفتك بعيسي وقتله.. وأما مكر الله بهم فإنه فيما ذكر السُّدى: إلقاؤه شبه عيسي علي بعض أتباعه حتي قتله الماكرون.. وهم يحسبونه عيسي وقد رفعه الله قبل ذلك.. فقد حاصر بنو إسرائيل عيسي وتسعة عشر رجلًا من الحواريين فى بيت، فقال عيسي لأصحابه: من يأخذ صورتى فيُقتل وله الجنة، فأخذها رجل منهم وصُعد بعيسي إلي السماء، فذلك قوله: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[آل عمران: ٥٤]، فلما خرج الحواريون أبصروهم تسعة عشر فأخبروهم أن عيسي قد صُعد به إلي السماء، فجعلوا يعدون القوم فيجدونهم ينقصون رجلًا من العدة ويرون صورة عيسي فيهم فشكُّوا فيه، وعلي ذلك قتلوا الرجل، وهم يرون أنه عيسي وصلبوه فذلك قول الله عز وجل ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[النساء: ١٥٧]».[1]

([1]) تفسير الطبري٣/٢٠٢

وقيل إن الشبه قد ألقي علي ذلك الخائن (يهوذا).. «ولهذا قال: ﴿ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾[آل عمران: ٥٤]، أى: أقواهم مكرًا بحيث جعل تدميرهم فى تدبيرهم»(١)، «ويحتمل أن يكون معني مكر الله بهم استدراجه إياهم ليبلغ الكتاب أجله»(٢)، «وقال الأصم: مكر الله بهم أن سلط عليهم أهل فارس فقتلوهم وسَبُوا ذراريهم»(٣)، وقيل: إنهم مكروا فى إخفاء أمره وإبطال دينه، ومكر الله بهم حيث أعلي دينه وأظهر شريعته، وقهر بالذل أعداءه وهم اليهود»(٤).

وما حدث لنبى الله عيسي من تآمر قومه عليه، حدث لنبى الله محمد صلي الله عليه وسلم، فقد حدثتنا آيۀ الأنفال عن تآمرهم عليه فى دار الندوۀ، فما بين متآمر عليه بالقتل وما بين متآمر عليه بالحبس وما بين متآمر عليه بالتقييد أو النفى وقد أحبط الله مكرهم جميعًا، وذلك قوله تعالي: ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ ﴾ أى: «يسجنونک أو يوقفونک أو يثخنونک بالضرب والجرح.. ﴿وَيَمۡكُرُونَ﴾ ويخفون المكايد لک ﴿وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُ﴾ ويخفى الله ما أعد لهم، حتي يأتيهم

---

(١) صفوة التفاسير ٢/٢٠٥ للصابوني.

(٢) تفسير الطبري٣/٢٠٢

(٣) البحر المحيط٢/٤٧٢

(٤) تفسير الطبري٣/٢٠٢

بغتة، ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾أى: مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيرًا »[1].

يقول ابن كثير بعد سرده لقصة الهجرة: «أى: فمكرتُ بهم بكيدى المتين حتي خلصتُك منهم»[2]، وفى روح المعانى «﴿وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُ﴾أى: يرد مكرهم ويجعل وخامته عليهم، أو يجازيهم عليه، أو يعاملهم معاملة الماكرين وذلك بأن أخرجهم إلي بدر، وقلل المسلمين فى أعينهم حتي حملوا عليهم، فلقوا منهم ما يشيب منه الوليد.. ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ إذ لا يعتد بمكرهم عند مكره سبحانه»[3].

وعلي رأي من ذكرنا ليس صحيحًا أن يكون مكره تعالي من قبيل الاستعارة، إذ إن كل ما ذكره الآلوسى وغيره يدخل فى عداد مكره تعالي بهم علي وجه الحقيقة لا المجاز أو الاستعارة، والتعبير بالمضارع هنا وفى قوله ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ﴾[الأنفال: ٣٠]، لاستحضار الصورة العجيبة من تآمر المشركين علي صاحب الرسالة عليه السلام، ومكر الله لهم: إحباط ما دبروا من كيد ومكر علي طريق المشاكلة، وهى: أن يتفق اللفظ ويختلف المعني، وبين لفظ ﴿مَكَرُواْ﴾

---

(١) الكشاف.٢/١٥٥

(٢) ابن كثير.٢/٣٠٣

(٣) روح المعاني.٣/١٩٨

و﴿ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾ فى هذه الآية ونظائرها جناس الاشتقاق وهو محسِّنٌ بديعى أكسب الجملة رونقًا وبهاء.

هذا وتحدثُنا آية النمل عن مكر قوم صالح بنبيهم فتقول: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا﴾ بما أخفوه من تدبير الفتك بصالح عليه السلام، ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ بإهلاكهم من حيث لا يشعرون[1]، وبأن جعلنا الناقة سببا لإهلاكهم، فقد «روي أنه كان لصالح مسجد فى الحجر فى شعب يُصلِّى فيه، فقالوا: زعم صالح أنه يفرغ منا إلي ثلاث، فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث، فخرجوا إلي الشعب وقالوا: إذا جاء يصلى قتلناه ثم رجعنا إلي أهله فقتلناهم، فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم، فبادروا فأطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومه أين هم، ولم يدروا ما فعل بقومهم، وعذب الله كلًا منهم فى مكانه ونجا صالحًا ومَن معه.. وقيل جاءوا بالليل شاهرى سيوفهم وقد أرسل الله الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا»[2]، «وقيل: إن الرهط الذى تقاسموا: ﴿قَالُوا۟ تَقَـٰسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾[النمل: ٤٩] علي قتله، اختفوا ليلا فى دار قريبة من داره،

---

(1) ينظر: البيضاوي.٥٢/٧

(2) الكشاف.١٥٣/٣

فوقعت عليهم صخرة أهلكتهم ثم هلك قومهم بالصيحة، ولم يعلم بعضهم بهلاك بعض ونجا صالح ومن آمن به»[1].

وذلك هو مكر الله بهم ومعني قوله: ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ وقد وقع فى صحبة مكرهم هم علي سبيل المقابلة والمشاكلة.

بل إن المكر من المعاندين قد حدث لأنبياء الله جميعًا وبذلك صرح القرآن فى قوله تعالي ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[الرعد: ٤٢] برسلهم وأرادوا إخراجهم من بلادهم، فمكر الله بهم وجعل العاقبة للمتقين، وكذا فى قوله ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾[النمل: ٥٠، ٥٢]، وفى ذلك «تسلية لرسول الله صلي الله عليه وسلم بأنه لا عبرة بمكرهم ولا تأثير، بل لا وجود له فى الحقيقة، ولم يصرح سبحانه بذلك اكتفاء بدلالة القصر المستفاد من تعليله، أعني قوله تعالي ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ﴾أى: جنس المكر ﴿جَمِيعًا﴾فجعل مكرهم كلا مكر بالإضافة إلي مكره، إذ هو عبارة عن: إيصال المكروه إلي الغير من حيث لا يشعر به، وحيث يؤاخذهم بما كسبوا من فنون المعاصى التى من جملتها مكرهم من حيث لا

(1) معترك الأقران للسيوطي٣٧٢ ،٣٧٣/٢.

يحتسبون كذا قال شيخ الإسلام.

وقيل وجه الحصر أن لا يعتد بمكر غيره سبحانه لأنه تعالي هو القادر بالذات علي إصابة المكروه المقصود منه وغيره إن قَدَر علي ذلك فبتمكينه تعالي وإذنه فالكل راجع إليه.

وفى الكشاف أن فى قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾[الرعد: ٤٢] تفسير لقوله سبحانه ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾[الرعد: ٤٢] لأن مَن عَلمِ ما تكسب كل نفس وأعد لها جزاءها فهو له المكر لأنه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم فى غفلة مما يُراد بهم، وقيل الكلام علي حذف مضاف أى فلله جزاء المكر، إلا أن فى ذلك شبهة نفى صفة المكر عنه سبحانه وقد أثبتها لنفسه، وجوز فى (أل) أن تكون للعهد، أى له تعالي المكر الذى باشروه جميعًا لا لهم، علي معني: أن ذلك ليس مكرًا منهم بالأنبياء، بل هو بعينه مكر من الله تعالي بهم وهم لا يشعرون حيث لا يحيق المكر السيء إلا بأهله، ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ﴾حيث يأتيهم العذاب ﴿لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾أى: العاقبة الحميدة من الطرفين وإن جُهل ذلك قبل، وقيل السين لتأكيد وقوع ذلك»[1].

وهذا يدل علي أن مكره أنفذ من مكرهم وأبلغ تأثيرا، وتلك هى معني الخيرية فى النظم وما أفادته الإضافة هنا، لأن لمكر الغير أيضًا

---

(1) روح المعاني ١٧٤، ٥/١٧٥.

نفوذًا وتأثيرًا فى الجملة هذا باعتبار المشاركة فى صفة المكر، والمشاكلة بين مكره سبحانه ومكرهم، أما من جعل المكر باعتبار أنه لا ينزل إلا الحق ولا يصيب إلا بما استوجبه المملوء به، فلا شركة لمكر الغير فيه، إذ الإضافة حينئذ للاختصاص كما فى (أعدلا بنى مروان) لانتفاء المشاركة، وقيل: هو من قبيل (الصيف أحر من الشتاء) بمعني أن مكره فى خيريته أبلغ من مكر الغير فى شرِّيته»[1]، وعلي الوجهين الأول والأخير تكون المشاكلة والمقابلة، ومعني مكره تعالي: عقوبته إياهم، سماها (مكرًا) إذ كانت ناشئة عن المكر، كقوله: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾ٱللَّهُ

من كل هذا نعلم أن ذلك عادة المكذبين دائمًا للرسل فقد مكر بإبراهيم نمروز، وبموسي فرعون، وبعيسي اليهود، ولم يسلم أحد من الأنبياء من قبلهم أو بعدهم من أذي قومه ومكرهم.. لذا ندد القرآن بمكر هؤلاء المعاندين وأمثالهم وبعظيم شركهم فى قوله: ﴿وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ﴾يَوۡمَ وقد «ضُرب المثل بزوال الجبال منه لتفاقمه وشدته، أى: وإن كان مكرهم مسوى لإزالة الجبال مُعدًا لذلك»[2]، قال الحسن البصرى: أى ما كان مكرهم لتزول منه

(1) ينظر: روح المعاني للآلوسي.١٩٨/٣

(2) الكشاف للزمخشري.٣٨٣/٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الجبال.. «ووجّهة ابن جرير بأن هذا الذى فعلوه بأنفسهم من شركهم بالله وكفرهم به، ما ضر شيئًا من الحياة ولا غيرها، وإنما عاد وبال ذلك عليهم.. ويشبه هذا قول الله تعالي ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾[الإسراء: ٣٧]»[1].

فالقصد من ذلك: تحقير مكرهم، وأنه ما كان لتزول منه الآيات والنبوات، وقد جُعلت (إن) نافية و(اللام) مؤكدة لها كقوله تعالي: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾قُل. والمعني: ومحال أن تزول الجبال بمكرهم»[2]، فقد فعلنا بهم ما فعلنا والحال أنهم قد مكروا فى إبطال الحق وتقرير الباطل مكرَهم العظيم الذى استفرغوا فى عمله المجهود، وجاوزوا فيه كل حد معهود بحيث لا يقدر عليه غيرهم، والمراد: بيان تناهيهم فى استحقاق ما فعل بهم.. أو ﴿ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ ﴾ المذكور فى ترتيب مبادئ البقاء ومدافعة أسباب الزوال، فالمقصود إظهار عجزهم واضمحلال قدرتهم وحقارتها عند قدرة الله سبحانه.. وهو ظاهر فى أن هذا من تتمة ما يقال لأولئك الذين ظلموا حين يُنادُون: ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾الآية، فيرد عليهم بقوله سبحانه:

---

(1) ابن كثير٢/٥٤٢

(2) الكشاف للزمخشري٢/٣٨٣

﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم ﴾يَوْمَ. إلي قوله ﴿لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾[1].

ثم جاء قوله سبحانه: ﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ ﴾وهو لا يخلو إما أن يكون مضافًا إلي الفاعل كالأول علي معني: ومكتوب عند الله مكرهم، فهو مجازيهم عليه بمكر هو أعظم منه، أو يكون مضافًا إلي الفاعل كالأول علي معني: ومكتوب عند الله مكرهم، فهو مجازيهم عليه بمكر هو أعظم منه، أو يكون مضافًا إلي المفعول علي معني: وعند الله مكرهم الذى يمكرهم به وهو عذابهم الذى يستحقونه، يأتيهم من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون»[2]، فيكون بذلک متضمنًا معني الكيد أو الجزاء، ومقصود به بيان فساد رأيهم الذى باشروه فعلًا مع تحقق ما يوجب تركه، ومن محسنات البديع هنا قوله ﴿مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ ﴾ففيه جناس اشتقاق أكسب المعني جلالًا وجمالًا.

ثم بين سبحانه أنه أسرع مكرا، ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ﴾[يونس: ٢١]، ذلک أنه سبحانه إذا أذاق الناس رحمة من بعد ضراء مستهم، كالرخاء بعد الشدة والخصب بعد الجدب، والمطر بعد القحط، ونحو ذلک كالصحة والسعة، ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِيٓ ءَايَاتِنَا ﴾. قال مجاهد: استهزاء وتكذيب وكان خليقا بهم أن يكونوا أول من يصدق بآياته ويأتى بلفظ

(1) ينظر: روح المعاني للآلوسي.٢٥/٥

(2) الكشاف للزمخشري.٣٨٣/٢

(مِن)[1] المشعرة بابتداء الغاية، أي: أنه يُنشئ المكر أثر كشف الضر ولا يُمهل، فمَن كان هذا حاله، لابد أن يكون جزاؤه بقدر إصراره علي المعصية.. لذا جيء بلفظ (إذَا) الفجائية الواقعة جوابًا لـ (إذا) الشرطية، أي: فى وقت إذاقة الله الرحمة فوجئوا بالمكر.

ولما كانت هذه الجملة تتضمن سرعة المكر منهم، قيل: ﴿ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ﴾ فجاءت أفعل التفضيل، ومعني وصف المكر بالأسرعية: أنه تعالي قبل أن يدبروا مكائدهم قضي بعقابهم، وهو موقعه بهم ومُستدرجهم إليه بإمهاله[2]، ثم يُؤخذون علي غرة منهم والكاتبون يكتبون عليهم جميع ما يفعلونه ويحصونه عليهم، ثم يعرضونهم علي عالم الغيب والشهادة فيجازيهم علي الجليل والحقير والنقير والقطمير[3].

وفيه دليل علي أن أعمالهم وما دبروا فى إخفاء، غير خافٍ علي الكتبة فضلًا عن منزل الكتاب الذى لا تخفى عليه خافية، وفيه أيضًا تجهيل لهم.. وتعليل لأسرعية مكره سبحانه.. كما أن فى قوله: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾التفات إذ لو جري علي قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ لقيل: (إن رسله)..

(١) المصدر بها الآية في قوله تعالى :ثن ٱ ب ب ب پ پ پ.. ثم.
(٢) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان.٥/١٣٦
(٣) ينظر: ابن كثير.٢/٤١١

وفيه أيضًا مبالغة فى الإعلام بمكرهم.. وصيغة الاستقبال والفعلين هى للدلالة علي الاستمرار والتجدد»[1].

وبعد أن بين سبحانه أنه أسرع مكرًا، وأن له المكر جميعًا، وأنه خير الماكرين وأنفذهم كيدًا وأقواهم وأقد رهم علي العقاب من حيث لا يشعر المعاقب، حذّر من أن يأمن الإنسان من مكره وكيده، وشدد علي ذلك النكير، فقال: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ أى: فلا يأمن بأسه ونقمته وقدرته عليهم وأخذه إياهم فى حال سهوهم وغفلتهم ﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ كَذَّبُوا. «ولهذا قال الحسن البصرى رحمه الله: (المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف، والفاجر يعمل بالمعاصى وهو آمن)»[2]، وقد كرر الله المكر هنا مضافًا إليه تحقيقًا لوقوع جزاء المكر بهم[3]، أو التكرير لما سبق علي طريق الجمع بعد التقسيم قصدًا إلي زيادة التحذير والإنذار، تهديدًا للموجودين، فكان الأنسب التخصيص[4] وقصر الخطاب علي أهل مكة.

والوجه فى مجىء الفاء فى قوله: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾[فاطر: ٤٣]:

---

(١) روح المعاني.٤/٩٥

(٢) ابن كثير.٢/٢٣٤

(٣) ينظر: البحر المحيط.٤/٣٤٩

(٤) ينظر: البيضاوي ٤/١٩٦ والكشاف.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

«التنبيه علي تعقيب العذاب.. وقد يقال: إنها لتعليل ما يُفهمه الكلام من ذم الأمن واستقباحه.. أو يقال: إنها فصيحة، ويقدر ما يستفاد من الكلام شرطًا، أى إذا كان الأمن فى غاية القبح فلا يرتكبه إلا من خسر نفسه»[1].

وإنما جاء قوله تعالي: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[فاطر: ١٢٧] لبيان أن تلك هى النتيجة الطبيعية لمن كان هذا حاله، وهذه الآية هى من إرسال المثل، لأن هذا أمر معهود بعد أن حذر الله وأنذر، وبعد أن أخبر عن ذلك فى مثل قوله: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾ وفى هذا الأخير شروع فى بيان ما يترتب علي ما باشروه من المكر والكيد، فقوبل مكرهم بمكره، وهو: إيقاع بلائه بأعدائه دون أوليائه، لذا جاء فى الحديث دعاء: (اللهم امكر لى ولا تمكر بى)[2] «ولم يلتفت أهل العربية فى عصرنا- بل ولا كثير ممن قبلنا- إلي حسن استعمال هذه الكلمة فى لغة التنزيل، بل ظلت علي ما نعرف من دلالة الخديعة

---

(1) روح المعاني للآلوسي.١٩/٩

(2) رواه أبو داود في كتاب الوتر باب ٢٥والترمذي في كتاب الدعوات باب ١٠٣وابن ماجة في كتاب الدعاء باب ٢وأحمد في المسند ٢٢٧/١.

والاحتيال»[1]، بينا هى من جانب الحق تعالي: «إرداف النعم مع المخالفة، وإبقاء الحال مع سوء الأدب، وإظهار الكرامات من غير جهد، ومن جانب العبد: إيصال المكروه إلي الإنسان من حيث لا يشعر»[2]. وهذا خلاصة ما ينبغى أن يقال فى هذه الصفة ونظراتها.

ثامنا: إطلاق صفة الصرف فى حق الله علي وجه المجازاة مشاكلةً

ويبدو هذا ظاهرا فى قول الله تعالي: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم ﴾[التوبة: ١٢٧]، وقوله فى مقابلة من صرفوا أنفسهم عن سماع الحق لتكبرهم: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ ﴾[الأعراف: ١٤٦].. «والصرف: رد الشيء من حالة إلي حالة، أو إبداله بغيره»[3]، «وصرف القلوب: تحويلها عن الهداية»[4].

وقد ذكر الله أولًا - فى بداية آية التوبة: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ ۚ ﴾- ما يصدر عنهم من القول علي سبيل الاستهزاء، ثم ذكر ثانيًا ما يصدر عنهم من الفعل علي سبيل الاستهزاء أيضًا، وهو: الإيماء والتغامز بالعيون، إنكارًا للوحى

(١) من بديع لغة التنزيل د .إبراهيم السامرائي ص٤٤.

(٢) كتاب التعريفات للشريف الجرجاني ص٢٢٧.

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٢٨١.

(٤) معجم ألفاظ القرآن٢/٧٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وسخرية، قائلين: هل يراكم من أحد من المسلمين لننصرف، فإنا لا نقدر علي استماعه، ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم، أو ترامقوا يتشاورون فى تدبير الخروج والانسلال.. يقولون: ﴿هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٍ﴾ وقيل ثمة صفة محذوفة أى: (إذا ما أنزلت تفضحهم وتُذكر فيها مخازيهم، نظر بعضهم إلي بعض علي جهة التقرير، هل يراكم من ينقل عنكم حين تدبرون أموركم؟»، ثم انصرفوا أى عن طريق الاهتداء، والظاهر- وهو الراجح- أنه خبر لمّا كان الكلام فى معرض ذكر التكذيب به أو بالفعل المنسوب إليهم، وهو قوله: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ﴾

ثم ذكر فعله تعالي بهم علي سبيل المجازاة لهم علي فعلهم كقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾[الصف: ٥] قال الزجاج: أضلهم، وقيل: عن فهم القرآن والإيمان به، وقال ابن عباس: عن كل رشد وخير وهدي، وقال الحسن: «طبع عليها بكفرهم»[1]، ويكون ذلك تصويرًا لحالهم ومجازاة بالصرف عن الإيمان بالقرآن فى مقابلة انصرافهم عن سماعه والإيمان به.

وعليه ففى الآية مشاكلة، كما أن ذكر القلب، وهو محط الإيمان، مقصود به هنا: تحويله عن هذا الإيمان بسبب تكذيبهم، ويكون ذلك كله أيضًا علي طريق المجازاة والعقوبة، فيكون قد «سمي العقوبة عليه

---

(1) ينظر: البحر المحيط٥/١١٧

باسمه، كما قال: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشوري: ٤٠]، وقالت العرب: (الجزاء بالجزاء) والأول ليس بجزاء»[1]، علي طريق المشاكلة والوقوع فى الصحبة.

بل إن مما يدل علي نسبة الصرف للمولي سبحانه علي الوجه اللائق به وللوقوع فى الصحبة، قوله: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾[الأعراف: ١٤٦]، والمعني كما «قال قتادة: سأمنعهم فهم كتابى، وقاله سفيان ابن عيينة، وقيل: سأصرفهم عن الإيمان بها، وقيل سأصرفهم عن نفعها، وذلک مجازاة علي تكبرهم، ونظيره: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾[الصف: ٥]»[2] فنسبة (الصرف) لله سبحانه عقوبة لهم وجزاء، كنسبة (الزيغ والكيد والمكر والاستهزاء والخداع) إليه سبحانه، وفى ذلک كله تسمية للذنب باسم الجزاء لأجل المشاكلة والوقوع فى الصحبة كما فى قوله تعالي ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾[الشوري: ٤٠].

---

(١) متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار ص.٣٥٠

(٢) القرطبي.٢٨٣/٧

تاسعًا: إطلاق الثواب على الجزاء السيء مشاكلةً

ويتضح ذلك فى قول الله تعالي: ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ﴾[آل عمران: ١٥٣] وقوله: ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[المطففين: ٣٦].. ففى هذه الآيات إطلاق كلمة الثواب علي الجزاء السيئ مشاكلة، لأنها فى الحقيقة تستعمل فى المحبوب، كما فى قوله تعالي: ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[المائدة: ٨٥]، وقد قيل ذلك فى المكروه كما هو الشأن فى هذه الآيات علي سبيل الاستعارة التهكمية والوقوع فى الصحبة، وهما أمران لا يتناقضان فقد سبق إجراءهما فى بيت ابن الرقعمق فى قوله:

(اطبخوا لى جُبّةً وقميصا)

حيث اعتبار المشابهة، وذلك لمشابهة الطبخ للخياطة والإطعام للكسوة فى النفع، أو مشاكلة باعتبار المصاحبة[1] وكذا هنا، فكما أن ذلك يمكن حمله علي الاستعارة كما صرح بذلك الراغب الأصفهانى باعتبار أن الإثابة الأصل فيها أن تكون على الخير، فإنه يمكن حمله أيضًا علي المشاكلة، وذلك من خلال استعمال المثوبة والتثويب فى الشر، ووقوع ذلك فى صحبة ما كان يفعله المجرمون فى الدنيا علي

(١) ينظر: مواهب الفتاح٤/ ٣١٠ ، وعروس الأفراح٤/٣٠٧

نحو ما حكاه القرآن عنهم فى قوله تعالي ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ﴾[1] الآيات.. هذا عن آيات المطففين.

أما عن آية آل عمران فقد سمى (الغم) (ثوابًا) علي معني: أنه قائم فى هذه النازلة مقام الثواب الذى كان يحصل لولا الفرار.. فتسمية هذا الغمِّ ثوابًا، لوقوعه فى صحبة غمِّ الفرار والمخالفة لنبى الله صلي الله عليه وسلم هو علي وجه المجازاة، وقد جاء علي سبيل المشاكلة والوقوع فى الصحبة.. يقول ابن جرير: «يعنى: فجازاكم بفراركم عن نبيكم وفشلكم عن عدوكم ومعينكم ربكم غمًا بغم.. وسمي العقوبة التى عاقبهم بها من تسليط عدوهم عليهم حتي نال منهم ما نال (ثوابًا)، لمّا كان ذلک فى عملهم الذى سخِطه ولم يرضَهُ منهم.. فدل بذلک جل ثناؤه أن كل عوض كان لمعوض من شىء من العمل خيرًا كان أو شرًا، أو العوض الذى بذله رجل لرجل مستحق اسم (ثواب)، سواء كان ذلک العوض تكرمة أو عقوبة.. وذلک كقول القائل لآخر سلف إليه منه مكروه، لأجازينک علي فعلک ولأثيبنک ثوابک»[2].

---

(1) المطففين الآيات:٣٣-٢٩

(2) تفسير الطبري:٣/٨٨

عاشرًا –إطلاق صفة النسيان في حقه سبحانه على وجه المجازاة مشاكلةً

وذلك قوله تعالي: ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا ﴾[الأعراف: ٥١]، وقوله: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ ﴾[1] وقوله: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴾[طه: ١٢٦] وقوله: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ ﴾[السجدة: ١٤].وقوله: ﴿وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا ﴾[الجاثية: ٣٤]، وقوله: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ ﴾[الحشر: ١٩].

والنسيان المنسوب للمكذبين فى هذه الآيات معناه: الإعراض عن آيات الله سبحانه، ومعاملتها من قبلهم معاملة من لم يذكرها بعد بلاغها إليهم، وتناسيها وإغفالها والتغافل عنها.. فبين لهم سبحانه معاملته إياهم يوم القيامة ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ﴾ أى: نعاملكم معاملة من ينساكم ونجازيكم، والجزاء من جنس العمل لأنه تعالي لا يشذ عن علمه شيء ولا ينساه، كما قال تعالي ﴿فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾[طه: ٥٢]، وإنما قال تعالي ذلك من باب المقابلة. قال العوفى: «نسيهم الله من الخير ولم ينسهم من الشر»[2]، والمعني: «فاليوم لانجازيهم بالحسني كما لم

---

(1) التوبة آية.٦٧

(2) ينظر: ابن كثير٢/٢١٩ ،٣٠/١٦٩

يحسنوا بالطاعة»[1]، كما قال تعالي: ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[طه: ١٢٦] أى: بمثل ذلك أتتك آياتنا واضحة مستنيرة فلم تنظر إليها بعين المعتبر ولم تتبصر، وتركتَها وعَمِيت عنها، فكذلك اليوم ننساك علي عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك.

أما نسيان لفظ القرآن مع فهم معناه والقيام بمقتضاه، فليس داخلًا فى هذا الوعيد الخاص، وإن كان متوعدًا عليه من جهة أخري فإنه وردت السنة بالنهى الأكيد والوعيد الشديد علي ذلك، فقد روي أحمد عن سعد بن عبادة عن النبى صلي الله عليه وسلم قال: (ما من رجل قرأ القرآن فنسيه إلا لقى الله يوم يلقاه، وهو أجزم)[2].

إذًا فآيات النسيان كلها علي نحو ما ذكرنا تدور حول المجازاة، ومقابلة نسيانهم بنسيانه تعالي وذلك عن طريق المشاكلة، إذ إن فى ذلك كله تسمية الذنب باسم العقوبة لوقوعها فى صحبته، وهى هنا مشاكلة تحقيقية لورود المصاحب فى جميع هذه الآيات، ويكون المعني: أنهم تركوا أمره حتي صاروا بمنزلة الناسين له فجازاهم بأن صيرهم بمنزلة المنسى من ثوابه ورحمته، فخرج علي مزاوجة الكلام

---

(1) تنزيل القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار ص١٤٧.

(2) ينظر: ابن كثير٣/١٦٩ . والحديث رواه أبو داود في كتاب الوتر باب ٢١ حديث ١٤٧٤ والدارمي في كتاب فضائل القرآن باب ٣ وأحمد في المسند٢٨٤، ٢٨٥، ٣٢٢، ٥/٣٢٨ .

فهو كقوله تعالي: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾[الشوري: ٤٠].

وهذا ما فهمه علماء السلف، وقد جاء فى الصحيح أنه تعالى يقول للعبد يوم القيامة: (ألم أزوجك؟ ألم أكرمك؟ ألم اسخر لك الجبل والإبل).. فيقول: بلي. فيقول: (أظننت أنك ملاقي؟)، فيقول: لا. فيقول الله تعالي: (فاليوم أنساك كما نسيتنى)[1].

وعلي ذلك فليس المراد من النسيان المعني اللغوى له علي نحو ما ذهب إليه بعض المفسرين، بل مراده فى حق المعاندين: إعراضهم وإغفالهم عن التذكير بآيات الله المنظورة والمسطورة وعدم التدبر فيها.. وهو فى حقه سبحانه مجازاتهم إياهم علي صنيعهم هذا، ومما لا شك فيه أن جزاء المسىء بمثل إساءته جائز وسائغ فى جميع الملل، مستحسن فى جميع العقول، وإذا كان نسيانهم ظلما وعدوًا فنسيانه لهم سبحانه حقًا وعدلًا، ولا تتنافى المشاكلة مع ما تعنيه المجازاة.

ومن محاسن المشاكلة فى هذه الآيات: ما جاء فى قوله: ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمۡ ﴾ علي طريق الاستئناف والتعبير باسميه الجملة، وفى ذلك تشديد فى الانتقام منهم لكونهم قد تركوا ما يُعَدُّ لهذا اليوم مما

---

(1) ينظر: ابن كثير٢/٢١٩ . رواه مسلم في كتاب الزهد حديث رقم ١٦والترمذي كتاب القيامة ٦ وهو جزء من حديث طويل رواه أبو هريرة أوله :(أنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون فيه.. الخ).

لابد منه كزاد المسافر وراحلته، وعُدةُ الأخري: التقوي، فعدم المبالاة منهم فسوق وخروج عن طاعة المولي جل وعلا، ولذا صرح به فى نهاية آيتى الحشر والتوبة فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ أى: الكاملون فى الفسق الذى هو التمرد فى الكفر والانسلاخ من كل خير، وكفي المسلم زاجرًا أن يلم بما يكسب هذا الاسم الفاحش الذى وصف الله به المنافقين[1].

وفيه: «حمل الفاسقون علي الكاملين كأنهم الجنس كله، ليصح الحصر المستفاد من الفصل بالضمير (هم) وتعريف الخبر.. وضمنه معني البعد والخروج»[2] وإلا فكم فاسق سواهم.. ووضع الإظهار هنا فى مقام الإضمار لزيادة التقرير، ولعله لم يذكر المنافقات- مع قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ - اكتفاء بقرب العهد[3]، فى نفس هذه الآية: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾والآية التى تليها[4].

ويلاحظ فى قوله: ﴿فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ «التنبيه علي أن الإنسان

---

(1) ينظر: الزمخشري ٢/٢٠١ والبحر المحيط٥/٦٨

(2) البيضاوي٤/٣٤٢

(3) ينظر: روح المعاني للآلوسي٤/١٣٣

(4) في قوله ﴿ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ﴾[التوبة: ٦٨]

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بمعرفته بنفسه يعرف الله، فنسيانه الله هو من نسيانه نفسه»[1]، كما فيه «إيذان لهم بأنهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم فى العاقبة، وتهالكهم علي إيثار العاجلة واتباع الشهوات، كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين أصحابهما»[2].. والله تعالي أعلي وأعلم.

(1) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص٥١١.

(2) الكشاف للزمخشري٤/٨٧.

البحث الثاني

المشاكلة في غير صفات المجازاة

أولًا: إطلاق الصبغة علي الإيمان بالله وإظهار شعائره:

وذلك قوله تعالي: ﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾[البقرة: ١٣٨]، وإنما جيء بلفظ الصبغة علي طريق المشاكلة التقديرية، فلفظ الصبغة لم يتقدم له ذكر فى الحقيقة، وإنما تقدّم معناه فقط، وهى الحالة المعهودة فى النصاري عند الولادة، فكأن اللفظ وإن لم يتقدم تحقيقا فقد تقدم تقديرًا[١].

ومعني ﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِ ﴾أى: دين الله، قاله ابن عباس[٢]، وسمي صبغة لظهور أثر الدين علي صاحبه كظهور أثر الصبغ علي الثوب، لأنه يلزمه ولا يفارقه كالصبغ فى الثوب[٣].. أو «فطرة الله قاله مجاهد ومقاتل»[٤].. أو خلق الله قاله الزجاج وأبو عبيد.. أو سنة الله، قاله أبو عبيدة.. أو الإسلام، قاله مجاهد أيضًا.. أو جهة الله، يعنى: القبلة، قاله ابن كيسان.. أو حجة الله علي عباده، قاله الأصم.. أو الختان، لأنه يصبغ

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء١/٨٣ ، وبغية الإيضاح٤/٢٤

(٢) ينظر: الطبري١/٤٤٤

(٣) ينظر: البغوي٣/١١٦ ، القرطبي٢/١٤٤

(٤) معاني القرآن للزجاج١/٩٦

صاحبه بالدم فيتطهر، والنصاري إذا ولد لهم مولود غمسوه فى السابع فى ماء يقال له المعمودية فيتطهر عندهم ويصير نصرانيا، واستغنوا به عن الختان فرد الله عليهم بقوله: ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ﴾وَمَا. أو الاغتسال للدخول فى الإسلام عوضًا عن ماء المعمودية حكاه الماوردى[1].. «أو القربة إلي الله، حكاه ابن فارس فى المجمل.. أو التكفين يقال: فلان يصبغ فلانا فى الشىء أى يدخله فيه ويلزمه إياه كما يجعل الصبغ لازما للثوب، وهذه أقوال متقاربة، والأقرب منها هو: الدين والملة، لأن قبله ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾الآية... والعرب تسمي ديانة الشخص بشىء واتصافه به: صبغة، قال بعض شعراء ملوكهم:

وكل أناس لهم صبغة

وصبغة همدان خير الصبغ

صبغنا علي ذاك أبناءنا

فأكرِم بصبغتنا فى الصبغ [2] »

ذلك هو ملخص ما ذكره المفسرون فى معانى الصبغة، وقد رجح بعضهم كونها استعارة إذا كانت الصبغة تعنى: الدين، أو التطهير، قال ابن عطية: «سمى الدين صبغة استعارة من حيث تظهر أعماله، وسمته

---

(1) ينظر: معاني القرآن للفراء٨٢ ، ٨٣/١، الرازي ١٩٤/٤ وينظر: أسباب النزول للواحدي ص.٢٦

(2) البحر المحيط لأبي حيان.٤١١/١

علي المتدين كما يظهر الصبغ فى الثوب وغيره»[1].. وتبدو جمال الاستعارة هنا فى ربط الصبغة بالدين وبيان ما بينهما من شديد العلاقة ووثيق الصلة، فيكون قد شُبِّه بالصبغة بجامع ما يظهر من أثر كل منهما علي ظاهر صاحبه، فيظهر أثر التطهير علي المؤمن حسًا ومعني بالعمل الصالح والأخلاق الطيبة، وذلك كقوله: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾[الفتح: ٢٩]، كما يظهر أثر الصبغ علي صاحبه، ثم حذف المشبه وصرح بالمشبه به.

وإلي مثل هذا ذهب الرازى فهو يقول: سمي الدين صبغة لأن هيئته تظهر بالمشاهدة من أثر الطهارة والصلاة، وهذا ما يعرف بالاستعارة التصريحية، ولكن التعبير عن الإيمان بصبغة الله مشاكلة، لمناسبة المعني المعبر عنه والمعني الذى يستحق أن يعبر عنه بلفظ الصبغة[2].. وأجراها أبو السعود فقال: «إن الصبغة من (الصبغ) كالجلسة من (الجلوس)، وهى: الحالة التى يقع عليها الصبغ، عبّر بها عن الإيمان بما ذكر لكونه تطهيرًا للمؤمنين من أوضار الكفر، وحلية تزينهم بآثاره الجميلة، ومتداخلًا فى قلوبهم، كما أن شأن الصبغ بالنسبة إلي الثوب

(١) المحرر الوجيز١/٤٣٢

(٢) ينظر: البحث البلاغي في تفسير ابن عطية .د .عبد الرازق ريان ص٤٤١،٤٤٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كذلك»[1].

فالكلام فى الآية ورد عند المفسرين والبلاغيين ويدور بين المشاكلة والاستعارة ولا تنافى بينهما، بل إنه فى الأصل استعيرت كلمة صبغة للإيمان أو التطهير، ثم لما وقعت فى صحبة غيرها تقديرًا سميت مشاكلة، وفى ذلك ما فيه من الإبداع البلاغى والفنى.

وانتصاب صبغة إما علي الإغراء كما قاله الكسائى، كقوله تعالي: (فطرة الله)، أى الزموا ذلك عليكموه.. وقال بعضهم: هى بالكسر «بدلًا من قوله ﴿مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾ ونُقِل ذلك عن الأخفش.. أو أنه منصوب بعامل محذوف وجوبًا دل عليه قوله ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾وتقديره: صبغنا الله بالإيمان، أى طهرنا الله تطهيرًا [2].. «وقال سيبويه: هو مصدر مؤكد انتصب عن قوله: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ كقوله: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ »[3]، ويكون المعني: تطهير الله، لأن الإيمان يطهر النفوس فيكون ﴿ءَامَنَّا﴾بمعني تطهير الله مؤكِّدًا لمضمون قوله: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾[4]، وقد يجوز رفعها

---

(1) أبو السعود.١٦٨/١

(2) ينظر: تقرير الشمس على شرح السعد ص٣٦٧/٤، عروس الأفراح ص ٣١٥/٤من شروح التلخيص.

(3) ابن كثير.١٨٨/١

(4) ينظر: تقرير الشمس على شرح السعد٣٦٧/٤ ، عروس الأفراح ٣١٥/٤ من شروح التلخيص.

علي الابتداء بمعنى هى صبغة صنعة الله.. أو رفعها: من رفع الملة.

والخطاب فى قوله: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ إن كان للكافرين، فالمعني: أن المسلمين أمُروا بأن يقولوا للنصاري: (إن شئتم التطهير الحقيقى والإيمان المعتبر الذى يستأهل أن يسمي تطهيرًا فقولوا: آمنا بالله وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرًا لا مثل تطهيرنا، ذلک أن النصاري كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر بشىء يجعلونه فيه كالزعفران، يوكل به القسيس منهم ويضع فيه الملح لئلا يتغير بطول الزمان.

ولمّا كان هذا حالهم ونزلت الآية للرد عليهم فى ذلک، صار التعبير بـ(الصبغة) عن الإيمان الحقيقى: للرد عليهم إيمانهم التغطيس وتطهيرهم الكفر مشاكلة، لأنه يقدَر هذا اللفظ كأنه صادر منهم بقرينه النزول فى شأن الرد عليهم فيما يستحق أن يسمي صبغًا، فهنا مصاحبة المعنيين ومصاحبة اللفظين، إلا أن أحدهما مقدَّر وهو كالمذكور كما بينا، فيكون التعبير للمشاكلة لتقدير المراعى فيها ولو لم يذكر[1].

وإن كان الخطاب للمسلمين فالمعني: أن المسلمين أُمروا بأن يقولوا: (صبغنا الله بالإيمان صبغة ولم نصبغ صبغتكم أيها النصاري)، فعبَّر عن الإيمان بالله بصبغة الله للمشاكلة، لوقوعه فى صحبة صبغة

(1) ينظر: مواهب الفتاح ٣١٤/٤ من شروح التلخيص.

النصاري تقديرًا بهذه القرينة الحالية التى هى سبب النزول من غمس النصاري أولادهم وإن لم يذكر ذلك لفظًا[1].

«والحاصل أن النصاري لما اقتضي فعلهم صبغا ونزلت الآية للرد عليهم، عبر عن المراد بالصبغة للمشاكلة التقديرية حيث صاحب المعني المستحق للتعبير بالصبغ، ولو لم يقع إذ هو مقدر فهو كالمذكور، فكانت الصحبة تقديرية لا ذِكرية»[2] وقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ﴾﴿أُنزِلَ استفهام «معناه النفى، أى: ولا أجد أحسن من الله صبغة، و(أحسن) هنا لا يراد بها حقيقة التفضيل، إذ صبغة غير الله منتفٍ عنها الحُسن، أو يراد التفضيل باعتبار من يظن أن فى صبغة غير الله حُسنًا، لا أن ذلك بالنسبة إلي حقيقة الشىء»[3].

(1) ينظر: تقرير الأنبابي ٣٦٨/٤ وشروح التلخيص٣١٦/٤ :٣١٢

(2) الشروح٣١٤ ،٣١٥/٤.

(3) البحر المحيط٤١٢/١

ثانيًا: تسمية الجزاء بالعدوان:

ومن ذلك قول الله تعالي: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[البقرة: ١٩٣]، وقوله: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾[البقرة: ١٩٤].

ويراد بالعدوان: الجزاء، وهو: العقوبة بالقتل، وإنما سمَّي القتل عدوانًا من حيث كان عقوبة للعدوان وهو الظلم، والجزاء والعقوبة تُسمَّي باسم الذنب علي المقابلة، كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾[الشوري: ٤٠]، وقوله: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ﴾)البقرة آية ١٩٤). وقوله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ﴾[آل عمران: ٥٤]، وحَسُن ذلك لازدواج الكلام، والمزاوجة هنا معنوية، «قال الرماني: (إنما استعمل لفظ العدوان فى الجزاء من غير مزاوجة اللفظ، لأن مزاوجة اللفظ مزاوجة المعني، كأنه يقول: انتهوا عن العدوان فلا عدوان إلا علي الظالمين)، وهذا النفى العام إنما يراد به النهى، أى فلا تعتدوا وذلك علي سبيل المبالغة»[1].. ويمكن أن يقال: سمي جزاء الظلم ظلمًا، لأنه وإن كان عدلًا من المُجَازِى لكنه ظلم فى حق الظالم من عند نفسه، لأنه ظلم نفسه بسبب إلحاق هذا الجزاء به.

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان ٦٨/٢ وينظر: روح المعاني.٧٧/٢

«وفُسِّر الظالمون هنا بـ: من بدأ القتال.. وقيل: من بقى علي كفر وفتنة.. قال عكرمة وقتادة: الظالم هنا من أبى أن يقول: لا إله إلا الله.. وقال الأخفش: المعني: فإن انتهوا فلا عدوان إلا علي من لم ينته وهو الظالم»[1] لنفسه لإصراره علي الكفر علي ما قال، قال تعالي ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] «أو المعني: فلا تعتدوا علي المنتهين لأن مقاتلة المنتهين عدوان وظلم، والتقدير: إنكم إن تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الأمر عليكم، فوضع قوله: ﴿إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ موضع: علي المنتهين، وفى ذلك من المبالغة فى النهى عن قتال المنتهين ما لا يخفى، وعلي ذلك فقد سمي جزاء الظالمين ظلما ووضع العلة موضع الحكم.. وقد يكون المراد من قوله: ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكناية عن النهى عن العدوان عن المنتهين»[2].. وقد أوجز الشهاب هذه الأوجه جميعها ولخصها قائلًا: «إن للعدوان ثلاثة معان:

الأولي: أنه كناية عن النهى عن العدوان علي المنتهين.

الثانى: أنه مشاكلة بتسمية جزاء العدوان عدوانًا.

الثالث: أن المذكور سبب للجزاء، أى: إن انتهوا فلا تتعرضوا لهم،

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان ٦٩/٢ وينظر: روح المعاني.٧٧/٢

(٢) حاشية الشهاب على البيضاوي٢٨٦/٢ ، وينظر: الكشاف.٣٤٢/١

لئلا تكونوا ظالمين فيسلط الله عليكم من يعدو عليكم»[1]، لأن العدوان لا يكون إلا علي الظالمين، ووجه لطيف المجاز هنا: «أن المقابلة لم تقع بين كلمتين بل بين مدلولات كلمة واحدة»[2].

وكذلك فى قوله تعالي: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾[البقرة: ١٩٤]، «سَمَّي جزاء الاعتداء اعتداء علي سبيل المقابلة، والباء فى: (بمثل) متعلقة بقوله: ﴿فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ﴾، والمعني: بعقوبة مثل خيانة اعتدائه.. وقيل الباء زائدة، أى مثل اعتدائه وهو نعت لمصدر محذوف، أى اعتداء مماثلًا لاعتدائه.. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أمر بتقوي الله فيدخل فيه اتقاؤه بأن لا يتعدي الإنسان فى القصاص إلي ما لا يحل له، ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ بالنصرة والتمكين والتأييد وجاء بلفظ (مع) للدلالة علي الصحبة والملازمة، حضا علي الناس بالتقوي دائمًا، إذ مَن كان الله معه فهو الغالب المنتصر»[3]

ويقول الفراء فى تقريره لمبدأ المشاكلة فى الآية: «فالعدوان من المشركين فى اللفظ ظلم فى المعني، والعدوان الذى أباحه الله وأمر بن المسلمين إنما هو قصاص فلا يكون.. ظلما، وإنما كان لفظه

---

(١) حاشية الشهاب على البيضاوي٢/٢٨٦ ، وينظر: الكشاف١/٣٤٢

(٢) عروس الأفراح للسبكي ٤/٣٨ شروح التلخيص.

(٣) البحر المحيط٢/٧٠

واحدًا، ومثله قول الله تعالي: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾[الشوري: ٤٠]، وليست من الله علي مثل معناها من المسيء لأنها جزاء»[١]، ففى الآية أمر بالمجازاة علي الاعتداء والانتصاف من المعتدي، والمعني: فاقتصوا منه»[٢].. وقد جاء هذا الأسلوب علي لغة العرب، وطريقة كلامهم، «تقول العرب: ظلمنى فلان فظلمته، أى جازيته علي الظلم، ويقال جهل فلان علي فجهلت عليه»[٣] وقال الشاعر:

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقال آخر:

ولى فرس للحلم بالحلم ملجم

ولى فرس للجهل بالجهل مسرج [٤]

ويقال أيضًا: تعاطيتَ منى ظلما، تعاطيته منك، والثانى ليس بظلم.

---

(١) معاني القرآن للفراء ١/١١٧

(٢) ما اتفق لفظه واختلف معناه للمبرد ص.١٣

(٣) تفسير البقرة د .أبي المظفر السمعاني وينظر: معاني القرآن للزجاج.١/٢٥٤

(٤) البيت في القرطبي ٢/٣٥٧ و لم أقف على قائله.

ثالثا –تسمية البدل جنتين :

وذلك قوله تعالي: ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾[سبأ: ١٦]، «فالأكل الخمط لا يكون فى الجنة بحال ولا الأثل ولا السدر، وكلمة ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم﴾ بمعني جعله بدلًا ودخلت الباء علي المتروك»[١] قال الزمخشرى: «وتسمية البدل جنتين لأجل المشاكلة، وفيه ضرب من التهكم»[٢].

رابعًا –إطلاق الغوث على الجزاء السيئ

وقد مثَّل هذا قوله تعالي ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ﴾[الكهف: ٢٩]، والمعني: وإن يطلبوا الغوث مما حل بهم من النار، وشدة إحراقها واشتداد عطشهم، يغاثوا: علي سبيل المقابلة والمشاكلة لوقوع ذلك فى صحبة ما يطلب عند الحاجة، وإلا فليست إغاثة.. وروى فى الحديث: "إن المهل الذى يغاثون به هو: عكر الزيت إذا قرب منه سقطت فروة وجهه فيه"[٣]، قال ابن عباس: ماء غليظ مثل دردى الزيت، وعن مجاهد: إنه القيح والدم الأسود، وعن ابن جبير: كل

---

(١) معجم ألفاظ القرآن ٨٦/١ مجمع اللغة.

(٢) الكشاف٣/٢٨٥.

(٣) رواه الترمذي في كتاب صفة جهنم باب ٤ وكتاب تفسير القرآن باب ٦٩ في تفسير (سأل سائل)، ورواه أحمد في المسند ٣/٧١، ٥/٢٦٥ من حديث أبي سعيد الخدري.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

شيء ذائب قد انتهى حرُّه، وذكر ابن الأنبارى: أنه الصديد، وعن الحسن: أنه الرماد الذى ينفط إذا خرج من التنور، وقيل: ضرب من القطران.

وإنما اختص الوجوه لكونها عند شربهم يقرب حرُّها من وجوهم، وقيل: عبّر بالوجوه عن جميع أبدانهم، والمعني: أنه ينضح به جميع جلودهم كقوله ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم﴾[1]، وفى يغاثوا: مشاكلة، لأن الغوث هو العون والمدد من الإغاثة، وهى: الإعانة[2]، فاستعمالها فى غير ذلك مشاكلة لوقوعها فى صحبة ما استعمل فيه اللفظ حقيقة.

خامسًا –إطلاق الهمّ على الدفع والضرب

وذلك قوله تعالي: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾[يوسف: ٢٤]، وقد ذكر الشريف المرتضي فى الأمالى- وغيره- وجوها متعددة لتفسير هذه الآية، أولاها وأقربها إلي الصواب، هو: «أن يكون ما تعلق به همّه عليه السلام، إنما هو ضربها أو دفعها عن نفسه كما يقول القائل: (كنت هممت بفلان) و(وقد هم فلان بفلان) أى بأن يوقع به ضربًا أو مكروهًا.. فلما همَّ بدفعها وضربها أراه الله برهانا علي أنه إن أقدم علي ما همّ به، أهلكه أهلها وقتلوه، أو أنها تدعي عليه المراودة علي القبيح

---

(١) ينظر: البحر المحيط٩/١٢١

(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور٣٣١٢ ، ٣٣٢٣/٣٧ دار المعارف.

وتقذفه بأنه دعاها إليه، وإن ضَرْبَه لها كان لامتناعها فيظن به ذلك من لا تأمل له ولا علم بأن مثله لا يجوز عليه»[1] هذا.

فسمي اعتزامه لضربها ودفعها همًّا، ولوقوعه فى صحبة همها هى بالمعصية والفحشاء وذلك علي طريق المشاكلة الحقيقية، وجواب (لولا) متقدم، وتقديره لولا أن رأي برهان ربه لهمّ بضربها ودفعها، وتقديم جواب لولا جائز مستساغ، وإن كان فى الحقيقة محذوف والجواب يقتضيه، وتقديره: ولقد همّت به وهمّ بدفعها لولا أن رأي برهان ربه لفعل، ومثاله قوله تعالي ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[النور: ٢٠]، أى: ولولا فضل الله عليكم ورحمته لهلكتم، ومثله: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾[التكاثر: ٥، ٦] أى: لو تعلمون علم اليقين لم تتنافسوا فى الدنيا وتفاخروا بها.

وإنما كان همُّها متعلقًا بالقبيح دونه لشهادة الكتاب والآثار، وهى مما يجوز عليه فعل القبيح، والموضع الذى يشهد بذلك من الكتاب قوله تعالي: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[يوسف: ٣٠] وقوله تعالي ﴿وَرَٰوَدَتْهُ

(1) الأمالي للمرتضى ١/٤٧٧ وينظر:.١/٤٧٩

ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ ﴾[يوسف: ٢٣]، وقوله ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[يوسف: ٥١]، وفى موضع آخر ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ ﴾[يوسف: ٣٢]، والآثار واردة بإطباق مفسرى القران ومتأوليه علي أنها همَّت بالفاحشة والمعصية[1]، وهذا الوجه أولي من غيره لورود الأدلة القاطعة عليه، ويكفينا من ذلك ما يدل علي عصمته فى أمثال قوله تعالي: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[يوسف: ٢٤]، وكذلك حكايته عن النسوة قولهن ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ﴾[يوسف: ٥١]، وقول العزيز لما رأي القميص قدَّ من دُبر: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾[يوسف: ٢٨]، وكذا قول امرأة العزيز: ﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾[يوسف: ٣٢]، وقولها بعد ذلك ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾[يوسف: ٥١]، يقول أبو السعود: «ألا يُري إلي ما سبق من استعصامه المبنى عن كمال كراهيته له ونفرته عنه، وحكمه بعدم إفلاح الظالمين، وهل هو إلا تسجيل باستحالة صدور الهمِّ منه عليه

(1) الأمالي للمرتضى ١/٤٧٧ وينظر:.١/٤٧٩

السلام تسجيلا محكمًا»[1].

فهذه كلها قرائن واضحة تدل علي أن يوسف همَّ بغير المعصية، وهو دفعها عنه بالضرب والإهانة، إلا أنه لم يفعل خوفًا من عاقبة ذلك مع أهلها بل لاذ إلي الفرار فأخذت بقميصه تجره إليها[2]، «وإنما عبر بالهَمَّ لمجرد وقوعه فى صحبة همِّها فى الذكر بطريق المشاكلة لا لشبهه به»[3].

سادسًا –إطلاق العقاب على المجازاة على الفعل

وفى ذلك يقول تعالي: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ﴾[النحل: ١٢٦]، ويقول: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ﴾[الحج: ٦٠].. «والعقاب فى العرف: مطلق العذاب ولو ابتداء، وفى أصل اللغة المجازاة علي عذاب سابق، فإن اعتبر الثانى فهو مشاكلة، وإن اعتبر الأول فلا مشاكلة»[4].

هذا وقد أطبق أهل التفسير علي أن آية النحل آية مدنية نزلت فى

---

(١) تفسير أبو السعود.٢٦٦/٤

(٢) ينظر: أضواء على متشابهات القرآن للشيخ خليل ياسين.٢٩٤/١

(٣) تفسير أبو السعود.٢٦٦/٤

(٤) أخرجه ابن سعد ٩/٣ والحاكم ٢١٨/٣.. وهو ضعيف لضعف صالح المري؛ ولكن في معناه حديث أبي بن كعب رضي الله عنه عند أحمد ١٣٥/٥، والترمذي في التفسير باب من تفسير سورة النحل، وقال: حسن غريب ٣١٢٩ وصححه ابن حبان ٤٨٧.

شأن التمثيل بحمزة بن عبد المطلب لما بقر المشركون بطنه يوم أحد، فقد صح عن أبى هريرة أن النبى صلي الله عليه وسلم وقف علي حمزة يوم استشهد فنظر إلي منظر لم ينظر إلى شيء قط كان أوجل لقلبه منه، ونظر إليه قد مُثِّل به فقال: (رحمة الله تعالي عليك فإنك كنت كما علمتُ، وصولًا للرحم فعولًا للخيرات، ولولا حزن من بعدك عليك لسرَّنى أن أترككك حتي يحشرك الله تعالي من أرواح شتي، أما والله لأُمثلنَّ بسبعين منهم مكانك) [1]، فنزل جبريل عليه السلام- والنبى صلي الله عليه وسلم واقف- بخواتيم سور النحل، فكفّر عن يمينه وامتثل لأمر ربه.

ويلاحظ فى تقييد الأمر بقوله سبحانه ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ﴾ حث علي العفو تعريضًا لما فى (إنْ) الشرطية من الدلالة علي عدم الجزم بوقوع ما فى خبرها، فكأنه قيل: «لا تعاقبوا وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به» وقد صرح بذلك علي الوجه الأكمل فقيل: ﴿وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ﴾ أى: عن المعاقبة بالمثل ﴿لَهُوَ﴾ أى: لَصبرُكم هذا -علي حد ﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾- خيرٌ، أى: من الانتصار بالمعاقبة ﴿لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [2].

---

(1) روح المعاني للآلوسي.٥/٢٥٧

(2) ينظر: المرجع السابق٢٥٧ ،٥/٢٥٨

وذهب فريق، منهم: ابن سيرين وابن النحاس ومجاهد، إلي أنها عامة نزلت فيمن أُصيب بظلامة، أن لا ينال من ظالمه إذا تمكن إلا بمثل ظلامته لا يتعداها إلي غيرها وتكون علي هذا مكية كسائر السورة، ووجه الارتباط بما قبلها أنه لما أقر سبحانه نبيه صلي الله عليه وسلم بالدعوة وبين طريقها أشار إليه عليه الصلاة والسلام وإلي من يتابعه بمراعاة العدل مع من يناصبهم، والمماثلة، فإن الدعوة لا تكاد تنفك عن ذلك.

وإلي الأول ذهب جمهور المفسرين قال القرطبى: إنه مما أطبق عليه المفسرون، وما ذكر من لزوم عدم الارتباط عليه بشيء، فإن التنبيه علي تلك القضية للإشارة علي أن الدعوة لا تخلو من مثل ذلك وأن المجادلة تنجر إلي المجالدة، فإذا وقعت فاللائق ما ذكر.. وخصوص السبب لا ينافى عموم المعني، فالمعول عليه عدم العدول عما قاله الجمهور[1].

وعلي أيٍّ فقد سميت المجازاة علي الذنب معاقبة لأجل المقابلة والمشاكلة، ولأجل الوقوع فى الصحبة، ولأجل أن يستوى اللفظان وتتناسب ديباجة القول، والمعني: قابلوا من صنع بكم صنيع سوءٍ بمثله، وهى عكس قوله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ﴾[آل عمران: ٥٤]

(1) ينظر: روح المعاني للآلوسي.٥/٢٥٧

وقوله ﴿مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[البقرة: ١٤، ١٥]، فالمجاز فيهما فى الثانى، وفى ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ فى الأول، فقد سميت (عقوبة) لمشاكلة اللفظ، ويحتمل أن يكون عاقبتم بمعني أصبتم عقبى، كقوله فى الممتحنة ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟﴾[1]، فيكون فى الكلام تجنيس[2].

ولكن أكثر المفسرين خرَّجها علي المشاكلة، وخرَّجها بعضهم كأبى السعود علي المجاز المرسل فقال فى تفسير ﴿بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ "(أى: بمثل ما فعل بكم)، وقد عبّر عنه بالعقاب علي طريقة إطلاق اسم المسبب علي السبب نحو (كما تدين تدان)"[3]، ولا تناقض بين هذا وذاك بعد أن استقر أمر المشاكلة عندنا علي أنه من قبيل المجاز المرسل وبعد أن ساق الخطيب وغيره أمثلة المشاكلة للمجاز المرسل، وعلي حد قول السيوطى فإن الذى عليه المحققون من علماء البلاغة أن اللفظ المستعمل فى المشاكلة هو من قبيل المجاز لا الحقيقة، وإلا فلا تعارض بين المجاز والمشاكلة لأن كلا من القائلين بهذا أو ذاك ينظر إليه من زاوية معينة وينظر تحقيق هذه المسالة فى مبحث

---

(1) ينظر: البحر المحيط٥/٥٤٩ ، القرطبي١٠/٢٠٢

(2) ينظر: معترك الأقران للسيوطي٢/٣٣١

(3) أبو السعود٥/١٥٢

المشاكلة بين الحقيقة والمجاز.

ويراد (بالصابرين) فى أية النحل فى قوله: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾ المخاطبون أى ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوقع الصابرون موقع الضمير ثناء من الله عليهم بأنهم صابرون علي الشدائد، أو وصفهم بالصفة التى تحصل لهم إذا صبروا عن المعاقبة، وإما أن يرجع إلي جنس الصبر وقد دل عليه (صبرتم) ويراد (بالصابرين) جنسهم كأن قيل: وللصبر خير للصابرين، ونحم قوله تعالي: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[الشوري: ٤٠].. ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[البقرة: ٢٣٧]»[1].. هذا عن آية النحل.

أما آية الحج فقد نزلت فى قوم من المؤمنين بينهم كفار فى الأشهر الحرم فأبى المؤمنون قتالَهم وأبى المشركون إلا القتال، فلما اقتتلوا نصر الله المؤمنين عليهم، وعليه فـ«تسمية الابتداء بالجزاء لملابسة له من حيث إنه سبب، و(ذلك) مسبب عنه، كما يحملون النظير علي النظير والنقيض علي النقيض للملابسة»[2].

ونخلص من هذا أنه فى كلا الموضوعين، نري القرآن الكريم يستخدم لفظ العدوان والعقوبة فى الرد والجزاء، ليرغب الناس فى

---

(1) الكشاف ٢/٤٣٥

(2) البحر المحيط٦/٣٨٤ ، وأبو السعود ٦/١١٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الصفح والعفو والمغفرة، خاصة وأنه اشترط المثلية فى الرد علي العدوان، والذى سوغ استخدام العقوبة هنا فى العدوان هو مصاحبتها للفظ نفسه (عاقب) فى آية الحج (وعاقبوا) فى آية النحل وهو ما يطلق عليه المشاكلة ويعبر عنه صاحب الكشاف غيره أحيانا بالمزاوجة[1].

سابعًا –تسمية الزحف مشيًا :

ومصداق ذلك فى قوله تعالي: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾[النور: ٤٥]، فقد «جاء ذكر الزاحف مع الماشية وتسمي بتسميته علي طريق المشاكلة، وذكر بعضهم أنها من قبيل الاستعارة فيكون قد سمَّي الزحف مشيا استعارة لقيامه مقام المشى، وليس من قبيل ذكر المقيد وإرادة المطلق كما إذا ذكر المشفر وأريد به الشفة مطلقًا، لأن خصوصية الزحف مقصودة»[2] وهو ما ذكره الزمخشرى كواحد من احتمالين فى الآية حين قال:

«فإن قلت لم سمي الزحف علي البطن مشيا قلتُ: علي سبيل الاستعارة كما يقال فلان لا يتمشي له أمر، ونحوه استعارة الشفة مكان

---

(١) الكشاف ٢/٤٤٥

(٢) المسائل البلاغية في تفسير كمال باشا ماجستير ص٢٩٤

الجحفلة، والمشفر مكان الشفة ونحو ذلك»[1]، ولعل حجة من رجحوا كونها من الاستعارة: أن المشاكلة البديعية طريقة أخري لا يصار إليها عند صحة الاستعارة البيانية[2]، فقصر المشاكلة علي أنها لون من ألوان البديع مُبعِد إياها عن المجاز، ولعل ذلك ما حدا بالزمخشرى إلي أن يجعل احتمال كون هذا الآية من المشاكلة هو الاحتمال الآخر قائلا: «إنها جاءت علي طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين»[3]، وقد ترجح لدينا أن من المشاكلة ما يصح إجراؤها علي الاستعارة كما فى بيت ابن الرقعمق حين قال:

قالوا اقترح شيئا نُجد لك طبخَه

قلتُ اطبخوا لى جُبّةً وقميصا

فقوله: (اطبخوا لى جُبّةً وقميصا) استعارة باعتبار المشابهة، لمشابهة الطبخ للخياطة والإطعام للكسوة فى النفع[4]، وذلك فيما أفضنا فيه عند الكلام عن المشاكلة بين الحقيقة والمجاز.

فالحقيقة- أن هذه الآية ليس فيها ما يمنع أن تكون من قبيل المشاكلة علي نحو ما ذهب إليه كثير من علماء البلاغة والتفسير،

---

(1) الكشاف ٣/٧١ و ينظر: هامش المصدر السابق واضواء على متشابهات القرآن للشيخ خليل ياسين.٢/٦٠

(2) ينظر: المسائل البلاغية في تفسير كمال باشا ماجستير ص.٢٩٤

(3) الكشاف.٣/٧١

(4) ينظر: مواهب الفتاح ٤/٣١٠ وعروس الأفراح ٤/٣٠٧ من شرح التلخيص.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فيكون قد ذكر الزاحف مع الماشية، وذِكرُ (المشى) بدلا من (الزحف) سببه الوقوع فى صحبة ما كان المشى طبيعته، وتلك هى المشاكلة.. وهى مع ذلك لا تمنع إجراءها علي الاستعارة بتشبيه ما يزحف من المخلوقات بما يمشي منها، بجامع أن كلا منهما من عجيب خلقه سبحانه وصنيع قدرته.. وليس صحيحا ما ذكره كمال باشا فى تفسيره- بعد ذلك- من أن المشاكلة البديعية طريقة أخري لا يصار إليها عند صحة الاستعارة البيانية[1]، وذلك بعد أن عرفنا أن المشاكلة ما هى إلا ضرب من المجاز عبَّر عنها بعضهم بأنها استعارة، وعبّر عنها بعضهم بأنها مجاز مرسل، وأنها ليس مجرد محسن عرضى يؤتى به فقط لتزيين الكلام وتحسينه علي نحو ما سبق أن فصلنا فيه القول فى الباب الأول.

ثامنًا -إطلاق كلمة (الدِّين) على ما عليه المشركون:

يقول تعالي ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[الكافرون: ٦]، فسمي سبحانه ما عليه الكافرون والمشركون دينا علي سبيل المشاكلة حيث يقول سبحانه: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[الكافرون: ٦].. وقد نزلت هذه الآية عندما أراد الكافرون تقريب وجهتى النظر فقالوا لرسول الله صلي الله عليه وسلم نعبد إلهك سنة، وتعبد آلهتنا سنة فأنزل الله هذه السورة

(1) ينظر المسائل البلاغية ماجستير ص٢٩٤

بالبراءة من دينهم بالكلية، لأن الكفر كله ملة واحدة، فهى كالشيء الواحد فى البطلان لذا فاصلهم الله عز وجل من أول الأمر حتي لا يطمع فى نجاح هذا المسعي، إذ لا تقريب بين النور والظلام، ولا بين الحق والباطل، وأصحاب هذه المقولة ليسوا علي دين حق حتي يدعون غيرهم إليه، وإنما هم مطبوعون علي نعرة العصبية مما وجدوا عليه آباءهم، فهمهم الأكبر أن يفتنوا المسلمين عن دينهم حتي يكونوا سواء، وذلك مصداقا لقول الله تعالي ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗ﴾[النساء: ٨٩]، بل إنهم يتمنون أن يسود النفاق بين الطرفين وذلك مصداقا لقوله ﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ﴾ [القلم: ٩].

إن الدين السماوى دين واحد سماه الله: (الإسلام) وهو دين المرسلين والنبيين جميعا، سار به مركبهم بدءً بآدم عليه السلام يوم أن تلقي من ربه كلمات فتاب عليه إلي أن ختم برسالة خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم، وهود دين الله عز وجل نسبه لذاته سبحانه حيث يقول: ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣]، وأمر رسوله صلي الله عليه وسلم بأن يقول: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[آل عمران: ٨٤]، وهو الدين الوحيد المعتمد عند الله

تعالي، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[آل عمران: ٨٥].

كما أن الإسلام وحى سماوى أنزله الله ليُتّبع فلا يخضع للتعديل حسب الأهواء والأغراض، لهذا لا يُتصوّر أن يلتقى الإسلام والجاهلية فى منتصف الطريق، وفى الآية بيان أنهم أصحاب ظواهر فقط، أما العقيدة عندهم فهى مزعزعة الأركان، لذا فهم علي استعداد دائمًا للمساومة والتخلى عن الكثير منها فى مقابل أن يتخلي أصحاب العقيدة الصحيحة عن بعض ما عندهم، لذا قال سبحانه: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾[الكافرون: ٦] واستعمل فى شركهم كلمة (دين) علي طريق المشاكلة، مظاهرةً فى الإنكار عليهم والتهديد لهم كما قال تعالي ﴿ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ﴾ فكأنه قيل لهم: اهلكوا أنفسكم إن كان ذلك خيرا لكم، كذا آية الكافرون فهى لم تُذكر «إلا علي سبيل اللوم والتوبيخ لهم علي التمسك بما هم عليه من الباطل، ولم يُرَد أن يرضوا بما هم عليه من الدين ليتمسكوا به، وذلك لا يصح إلا مع القول بأنهم قادرين علي الإقلاع والعدول عنه إلي دين محمد صلى سلم»[1].

وقيل إن المشاكلة فى اسم الموصول (ما) فى قول الله تعالي: ﴿ لَآ

(1) متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار ص٧٠٣

أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾[الكافرون: ٢، ٣]، وهو بمعني: (الذى) يقول ابن القيم:

«وقيل فى ذلك: إن فى (ما).. قصد ازدواج الكلام فى البلاغة والفصاحة مثل قوله: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾[التوبة: ٦٧]، ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ ﴾[البقرة: ١٩٤]، فكذلك ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾[الكافرون: ٢]، ومعبودهم لا يَعقل، ثم ازدوج مع هذا الكلام قوله ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾[الكافرون: ٣، ٥]، فاستوي اللفظان وان اختلف المعنيان ولهذا يجئ فى الأفراد»[1]، فيكون فى السورة مشاكلة وازدواج.

تاسعا –إطلاق السيئة على الجزاء العادل

وذلك قوله تعالي: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾[الأنعام: ١٦٠] وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا ﴾[يونس: ٢٧] وقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـَٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾[الروم: ١٠]، وقال ﴿مَّنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾[غافر: ٤٠] وقال ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ ﴾[الشوري: ٤٠].

حيث نلاحظ فى هذه الآيات الغضب علي هؤلاء الذين يسيئون إلي

---

(1) بدائع الفوائد لابن القيم الجوزية. ١/١٩

الناس، وفى ضوء هذا تتقرر القيمة البلاغية للمجاز هنا، وإنه إبراز لقوة السببية، وذلك كله يمهد لأن يعبِّر القرآن عن المجازاة بالسيئة لوقوعها فى صحبتها كما هى طريقة المشاكلة.. أو أنها تجامعه ولا تنافيه وكل هذا يجرى علي أساس أن (السيئة) بمعناها الشرعى الذى هو المقابل للحسنة، فإذا قلنا إن المراد بها المعني اللغوى، وهو: فعل ما يسوغ، كانت السيئة الثانية حقيقة لأنها أيضًا تسوء وتُخرج الآيات عن كونها من قبيل المشاكلة، إذ إن «المشاكلة لا تقوم علي علاقة بين المعني الأصلى والمعني الذى استعملت الكلمة فيه، فالذى يقول:

(إنى بنيت الجار قبل المنزل)

إنما ذكر اختيار الجار للفظ البناء لوقوعه فى صحبة البناء، وليس ثمة علاقة بين الاختيار والبناء وإنما هو شىء يجري فى كلامهم حبا للمشاكلة، واعتمادًا علي وضوح المعني، وهو من العناصر التى يحلو بها الكلام وتحسن ديباجته»[1]، يقول البيضاوى فى تفسيره لآية الشوري: «سمي الثانية (سيئة) للازدواج، أو لأنها تسوء من نزل به»، وقال الشهاب: «قوله (للازدواج).. أى: المشاكلة، بيان لوجه تسمية كل من الإصابة للبغى وجزائها وهو الانتصار (سيئة)، مع أن الجزاء ليس سيئة فى نفسه، فإما أن يكون تسمية الجزاء سيئة للمشاكلة، أو هما علي

(1) التصوير البياني د .أبو موسى ص ٣٥١وينظر: أعلام الموقعين٣/٢١٨

حقيقتهما لغة لأن كلا منهما يسوء من نزلت به»[1].

وجعل الخطيب الآية من قبيل المجاز المرسل أو الحقيقة، كما أن الزركشى مثل بها لعلاقة السببية مرة، ومرة ثانية مثّل بها لإطلاق اسم الخاص وإرادة العام لأن المراد السيئة الأولي، ثم مثَّل بها أيضًا لإطلاق اسم الضدين علي الآخر، لأنها من الله حسنة، ويفهم من كلام الزمخشرى أنها حقيقة، وقال العلوى: إنها من المجاز فى المفرد لعلاقة التضاد، ويمكن أن يقال: إن هذا من باب التشبيه فى المجاز لأن جزاء السيئة يشبهها فى كونها سيئة بالنسبة إلي من وصل إليه ذلك الجزاء.

وينتقد السبكى فى ذلك الخطيب والعلوى فيقول: «ثم إن ما ذكره المصنف هنا- أى فى باب المجاز المرسل- مخالف لما سيأتى فى البديع، لأنه عد قوله: (وجزاء سيئة) من المشاكلة وفسرها بما يقتضي أنها سميت سيئة من مجاز المقابلة لذكرها مع السيئة قبلها، لا للتشبيه ولو كانت للتشبيه لجاز تسمية الجزاء سيئة وإن لم يذكر قبلها لفظ السيئة»[2].

والحق أنه وإن استبعد السبكى أن تجتمع المشاكلة فى أمثال قول

---

(1) حاشية الشهاب على البيضاوي.٤٢٦/٧

(2) البيان عند الشهاب الخفاجي د .النكلاوي٥١٤/٢ ، وينظر: بغية الايضاح٩٦/٣ ، والبرهان ٢٧١/٢،٢٦٠ ، والشروح ٣٨/٤ وامالي المرتضى ١٤٧/٢والبحر المحيط.٥٢٣/٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الله تعالي ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾[الشوري: ٤٠] مع مجاز الاستعارة، وعلاقة التشبيه فإن ذلك لا يمنع أن تجتمع فى هذه الأمثلة ونحوها مع المجاز المرسل وإحدي علاقاته، فيكون قد تجوز بلفظ السيئة عن الاقتصاص لأنه مسبب عنها فسميت مجازًا مرسلًا، ثم لما وقع جزاء السيئة فى مقابل السيئة وسمي الجزاء باسم الذنب سميت مشاكلة، ولا تنافى بينهما فى الحقيقة علي نحو ما ذكرناه سابقًا.

ويكمن جمال الإبداع القرآن وسر التعبير عن هذه الأمور والتجوز بألفاظها عن الاقتصاص فى كونها مسببة عنها، فلو أنها وقعت ابتداء ممن ليس له فيها وجه حق لما تم الجزاء عليها بمثلها، وفى ذلك ما فيه من الزجر والردع من وقوع أمثال هذه الاعتداءات ابتداء، وفى ذلك أيضًا منع للشر وردع لأصحابه ولمن تسول له نفسه بالقيام به أو النزوع إليه، ومن هنا كان التعبير «عن المجازاة بالاعتداء لأنه سببها، وقد سوغت هذه السببية أن تقيم الاعتداء مقام ما يترتب عليه وتنيب عنه فى الدلالة، ووراء هذا المجاز: إبرازٌ لقوة السببية بين الاعتداء وجزائه، وأنه- أعني الجزاء- يجب أن يكون نتيجة ومحصلة لازمة للاعتداء فهو لا يتخلف عنه، وكأن هذه الفاء أيضًا مشعرة بسرعة المكافحة وضرورة الذنب»[1].

([1]) التصوير البياني د .محمد أبو موسى ص٣٤٨.

علي أن تسمية الجزاء باسم الذنب، وكذلك «جزاء المسىء بمثل إساءته جائز فى جميع الملل مستحسن فى جميع العقول»[1]، ومقرر فى أعراف الناس وقوانين الأرض وشرائع السماء، وأهم ما فى ذلك كله أن القرآن ناقض فى ذلك الجاهلية فيما كان عليه من مدح الظلم كما فى بيت عمرو بن كلثوم و«اشترط المثلية فى الاعتداء جريا علي قانون العدل وأمرا بالإنصاف»[2].

(1) الصواعق المرسلة لابن القيم ص٣٠٧

(2) بديع القرآن لابن أبي الأصبع ص٢٨٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الفصل الثالث

تنوع المشاكلة في النظم القرآني باعتبار الحقيقة والمجاز

- المبحث الأول: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته على جهة المجاز.
- المبحث الثاني: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته على جهة الحقيقة.

المبحث الأول
ذكر الشيء بلفظ غيره
لوقوعه في صحبته على جهة المجاز

ومن المهم أن نتعرف علي نوعية أسلوب المشاكلة فى القرآن الكريم، وعلي ما إذا كان هذا الأسلوب من قبيل الحقيقة أم من قبيل المجاز، والوقوف من ثم علي القول الفصل فى ذلك، وما حدانا للحديث علي الحقيقة ومعرفة أسلوب المشاكلة فى القرآن الكريم علي نحو ما ألمعنا هو ما لمسته من انفراد القرآن بأسلوب متميز عن غيره فى تناوله للمشاكلة، فالمشاكلة علي نحو ما هو متعارف عليه – وهو ذكر الشيء بلفظ غيره للوقوع فى الصحبة –وجدت فى القرآن الكريم بهذا المعني وعلي نمط ما كان فى كلام العرب فجاءت بهذا المعني بنوعيها التحقيقى والتقديرى وجاءت أيضًا بهذا المعني حاملة معني المجاز وانخرط فيها ما يندرج تحت المجاز المرسل تارة وما ينطوى تحت المجاز بالاستعارة تارة أخري.

لكن الجديد والذى انفرد به القرآن هو أن المشاكلة قد جاءت فى كثير من الأحيان حاملة معني الحقيقة لا المجاز، والتغاير إنما وقع فى المعني الواحد فكان منه ما هو مذموم وهو الذى يحمل معني الاعتداء

ويرجع إلي الظلم والكذب، فيذم لكونه متضمنًا للكذب أو الظلم أولهما جميعًا، ومنه ما كان مقابلًا له وواقعًا فى صحبته وهو المعني المحمود الذى يحمل معني المجازاة علي القبيح بالحق والعدل وهو حسن مقبول، وقد كثر ورود هذا الأخير فى القرآن وتضافرت مواضعه، وتعددت مواقعه بنوعيه الحقيقى والتقديرى.

لذا أثرت الحديث عن هذه الأنواع جميعها من أنواع المشاكلة لمعرفة حقيقة ما عليها، ولاستكناه ما فيها من أسرار واستجلاء المجاز من الحقيقة، كما آثرت أن أفرد ذلک بالبحث ولم أشأ أن أدخله فى أقسام المشاكلة المعروفة والتى تكلمت عنها فى الفصل الأول من الباب الأول من البحث.

ونبدأ أولًا بالنوع المتعارف عليه وهو ما استعمل فيه اللفظ بلفظ غيره لوقوعه فى الصحبة فنقول وبالله التوفيق:

أولًا :ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته على جهة المجاز

وقد جاء هذا اللون بكثرة فى القرآن الكريم فكان منه التحقيقى ومنه التقديرى وكان منه ما جاز حمله علي المجاز المرسل ومنه ما جاز حمله علي الاستعارة لعلاقة المشابهة، وذلک علي نحو ما جاء فى أساليب العربية وما جاء علي ألسنة العرب واعتادوه فمما جاء علي جهة المشاكلة الحقيقة وجاز حمله علي المجاز المرسل قول الله تعالي

﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾[البقرة: ١٩٤]، فقد سمي جزاء الاعتداء اعتداء علي سبيل المشاكلة والوقوع فى الصحبة، «والمعني: فاقتصوا منه، يمزج به اللفظ بلفظ غيره كقول العرب: (الجزاء بالجزاء) والأول ليس بجزاء، وتقول: (فعلت بفلان مثل ما فعل بى)، أى: اقتصصت منه، والأول بدأ ظالمًا والمكافئ إنما أخذ حقه، فالفعلان متساويان والمخرجان متباينان، إذ كان الأول ظالمًا»[١].

وجدير بالذكر فإن تسمية جزاء الاعتداء اعتداء من إطلاق اسم السبب علي المسبب[٢]، ومعلوم أن علاقة السببية هى إحدي علاقات المجاز المرسل ومثله قول الله تعالي ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾[الشوري: ٤٠] فجزاء السيئة ليس بسيئة، وإنما سُمِّي باسمه لقصد المشاكلة ولوقوعه فى صحبة ما له الاسم حقيقة.. يقول صاحب بديع القرآن، «إن السيئة الثانية ليست بسيئة وإنما هى مجازاة عن السيئة سميت باسمها لقصد المزاوجة»[٣].

«وهى ليست من الله علي مثل معناها من المسىء لأنها جزاء»[٤]،

---

(١) ما اتفق لفظه واختلف معناه للمبرد ص ١٣وما قبلها.

(٢) ينظر: عروس الأفراح٤ /٣٨ ، والإيضاح ٤ /٣٧ شروح التلخيص.

(٣) بديع القرآن لابن أبي الأصبع ص٢٨٠

(٤) معاني القرآن للفراء ص١١٧٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وفى نفس الوقت فإن هذه الآية كسابقتها من قبيل المجاز المرسل لعلاقة السببية، «فإنه أطلق السيئة التى هى سبب القصاص، عليه»[1]، وبتعبير آخر «تجوز بلفظ السيئة عن الاقتصاص لأنه سبب عنها»[2]، وعلي ذلك فإن سر التعبير عن هذه الأمور والتجوز بألفاظها عن الاقتصاص يكمن فى كونها مسببه عنها، فلو أنها وقعت ابتداء ممن ليس له فيها وجه حق لما تم الجزاء عليها بمثلها، وفى ذلك ما فيه من الزجر والردع من وقوع أمثال هذه الاعتداءات من البداية، وفى ذلك أيضًا ما فيه من منع للشر وردع لأصحابه ولمن تسول له نفسه بالقيام به أو بالهم لفعله.

ومن هنا كان التعبير «عن المجازاة بالاعتداء لأنه سببها وقد سوغت هذه السببية أن تقيم الاعتداء مقام ما يترتب عليه وتنيب فى الدلالة ووراء هذا المجاز إبراز لقوة السببية بين الاعتداء وجزائه وأنه – أعنى: الجزاء – يجب أن يكون نتيجة ومحصلة لازمة للاعتداء، فهو لا يتخلف عنه، وكأن هذه الفاء أيضًا مشعرة بسرعة المكافحة وضرورة الترتب»[3]، وفى ذلك من بلاغة القرآن وروعة الأداء ما فيه.

---

(1) عروس الأفراح ٤ /٣٨ من شروح التلخيص.

(2) الإيضاح ٤ /٣٧ من شروح التلخيص.

(3) التصوير البياني د .محمد أبو موسى ص.٣٤٨

فإذا ما أضفنا إلي ذلك مبدأ الرد علي العدوان بالمثل، أيقنا أن ذلك إنما جاء أمرًا بالإنصاف وجريًا علي قانون العدل الإلهى، إذ إن الآيات بهذا قد جاءت آمرة بالمجازاة علي الاعتداء بدون ما زيادة وبالانتصاف من المعتدى، وفى ضوء هذا تتقرر هنا القيمة البلاغية للمجاز وإبراز قوة السببية، آخذين فى الاعتبار التعبير عن المجازاة بالسيئة لوقوعها فى صحبتها، وعلي ذلك فإن المشاكلة تجامع المجاز ولا تنافيه فيكون سبحانه قد تجوز بلفظ السيئة عن الاقتصاص لأنه مسبب عنها فسميت مجازاً مرسلًا، ثم لما وقع جزاء السيئة فى مقابل السيئة وسمي الجزاء باسم الذنب سُمِّيت مشاكلة.

ويري العلوى- وإن كان هذا مرجوحًا- أن الآية «من باب التشبيه فى المجاز لأن جزاء السيئة يشبهها فى كونها سيئة، بالنسبة إلي من وصل إلى ذلك الجزاء»[1]، فتكون استعارة، ويرد السبكى علي هذا القول بضرورة أن تكون العلاقة هنا سببية فتكون الآية من قبيل المجاز المرسل، لأنها لو كانت للتشبيه لجاز تسمية الجزاء سيئة وإن لم يذكر قبلها لفظ السيئة، وقوله هذا يقتضى أن يكون تسميتها سيئة من مجاز المقابلة لذكرها مع السيئة قبلها لا للتشبيه[2].

---

(1) الطراز للعلوي. ١ /٧١

(2) ينظر: البيان عند الشهاب الخفاجي .النكلاوي ٢ /٥١٤ والشروح٤ /٣٨ ، عروس الأفراح للسبكي.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وما قيل فى هاتين الآيتين يقال فى قوله تعالي: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ [النحل: ١٢٦] وقوله: ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ [الحج: ٦٠]، فقد أطلق علي المجازاة علي عذاب سابق لفظ (العقاب) لوقوعه فى صحبة الاعتداء الواقع ابتداء لأجل المشاكلة والمزاوجة فى الكلام، فأكثر المفسرين خرجها علي المشاكلة، وخرجها بعضهم كأبى السعود وغيره علي المجاز المرسل فقال فى تفسير: ﴿بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾«أى بمثل ما فُعل بكم، وقد عبر عنه بالعقاب علي طريقة إطلاق اسم المسبب بالسبب نحو (كما تدين تدان)»[1].

ولا تناقض بين هذا وذاك بعد أن استقر أمر المشاكلة عندنا علي أنه من قبيل المجاز المرسل وبعد أن ساق الخطيب وغيره أمثلة المشاكلة للمجاز المرسل علي نحو ما أفضنا فيه القول.. والقرآن حينما يأتى بهذا الأسلوب وعلي هذه الطريقة إنما يأتى بها كما قلنا علي لغة العرب وطريقة كلامهم، يقول العرب: «(ظلمنى فلان فظلمته) أى جازيته علي الظلم ويقال: (وجهل فلان علىّ فجهلت عليه)»[2].

---

(١) أبو السعود ص.٥ /١٥٢

(٢) معاني القرآن للزجاج.١ /٢٥٤

ويقول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا

«قوله هذا ما هو إلا من قبيل المماثلة والمشاكلة اللفظية فى الصورة وإن اختلف اللفظان فى المعني، ذلك أننا إذا علمنا أن الغرض من سَوق عمرو بن كلثوم لهذا البيت فى معلقته هو الفخر والمدح، وعرفنا منذ الوهلة الأولي أنه لم يقصد إلي البدء بظلم أو أن يجهل علي غيره دون مبرر، فإن هذا لا يتناسب مع ما ذكر البيت لأجله لأن العاقل لا يفخر بالجهل ولا يتمدح به»[1].

فتعين أن يكون لفظ الجهل فى قوله: (فنجهل) إنما جاءت لأجل المشاكلة والوقوع فى الصحبة، ومع هذا فإن هذا البيت يذكره أصحاب الشروح فى باب المجاز المرسل تحت تسمية الشيء باسم سببه، ذلك أن «الجهل الأول حقيقة والثانى مجاز عبر به عن مكافأة الجهل»[2].

«وإنما أراد المجازاة علي الجهل لكونه سببه، ففى هذا التعبير إشارة حاسمة من الشاعر إلي أن الجهل عليهم إنما هو جهل علي من جَهِل،

(1) التصوير البياني .د .محمد أبو موسى ص.٣٤٩

(2) الإيضاح ٤ /٣٧ وينظر: عروس الأفراح.٤ /٣٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

لأن الجزاء لا يتخلف بل إنهم سيجدون عنده جهلًا فوق الجهل»[1].

خلاصة الأمر أن المشاكلة لا تنافى المجاز المرسل بل تجامعه وهذه هى جل كتب البلاغة وفى مقدمتها شروح التلخيص «تذكر بعض الشواهد من علاقة السببية فى باب المشاكلة فالخطيب مثلًا يذكر قوله تعالي ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾[الشوري: ٤٠]، ضمن شواهد البابين، وكذلك بيت عمرو بن كلثوم، وآية ﴿فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ ﴾وَلَا. ويجب أن يلاحظ أنه يترتب علي ذلك فرق جوهرى فى المعني لأن اعتبار أن السيئة عبِّر بها عن المجازاة نظرًا لعلاقة السببية يَسقطُ حين يقال: إنه عبر عن المجازاة بالسيئة لوقوعه فى صحبتها كما هى طريقة المشاكلة، فإذا اعتبرنا بيت عمرو فى آية ﴿فَٱعۡتَدُواْ﴾من باب المشاكلة نكون قد غفلنا سببية العداوة وسببية الجهل فى المجازاة والمكافحة، وهذا جزء مهم من المعني وربما كان مقصدًا من مقاصده، وهو واضح فى الآية والبيت كما هو واضح فى آية الشوري ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾[الشوري: ٤٠]، لأنها جاءت عقب قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴾[الشوري: ٣٩] »[2]، والمستنكَر هو اعتبار أن الأمرين متناقضان وأنهما لا يجتمعان.

وكما تجامع المشاكلة التحقيقية المجاز المرسل تجامع الاستعارة

---

(1) التصوير البياني ص.٣٤٩

(2) ينظر: التصوير البياني .د .محمد أبو موسى ص.٣٥٠

ففى قول الله تعالي: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ﴾[النور: ٤٥]، جاء ذكر الزاحف مع الماشين وتَسَمَّي بتسميته علي طريق المشاكلة، وذكر بعضهم أنها من قبيل الاستعارة فيكون قد سمي الزحف مشيًا استعارة لقيامه مقام المشى»[١] فيكون قد استعار المشى للزحف مشبهًا الزاحف بالماشى، ثم تُنوسى التشبيه، ثم ادُّعِيَ دخول المشبه فى جنس المشبه به، ثم استعير المشى للزحف واشتق من المشى الفعل المضارع (يمشى) علي طريق الاستعارة التبعية التصريحية.

وقد ذهب الزمخشرى إلي جعل هذا المثال استعارة فى أحد احتمالين ذكرهما للآية فقال: «فإن قلتَ: لم كان الزحف علي البطن مشيًا؟؛ قلتُ: علي سبيل الاستعارة كما يقال (فلان لا يتمشي له أمر) ونحوه استعارة الشفة مكان الجحفة والمشفر مكان الشفة ونحو ذلك»[٢]، يقول ذلك فى الوقت الذى يجعل الاحتمال الثانى للآية أن تأتى علي المشاكلة فيقول: «إنها جاءت علي طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين»[٣]، وتسميته باسمه ووقوعه فى صحبته.

---

(١) المسائل البلاغية في تفسير ابن كمال باشا ماجستير ص٢٩٤٩

(٢) الكشاف٣ /٧١

(٣) الكشاف٣ /٧١

ولا أدرى ما السر وراء جعل الاحتمالين كل منهما علي حدة مما يوحى بأن جعل الآية من قبيل المشاكلة شيء وجعلها من قبيل الاستعارة شيء آخر، بينما الأمران فى الحقيقة غير متنافيين وقريب من قول صاحب الكشاف هذا، قول من ذهب إلي أن المشاكلة البديعية طريقة أخري لا يصار إليها عند صحة الاستعارة البيانية[1]، فبدا وكأنهما أمران متناقضان.

والحق أن هذه الآية وأمثالها ليس ثمة ما يمنع أن تكون من قبيل المشاكلة علي نحو ما ذهب إليه كثير من علماء البلاغة والتفسير، فيكون قد ذكر الزاحف مع الماشين، وذكر المشى بدلًا من الزحف سببه الوقوع فى صحبة ما كان المشى طبيعته وتلك هى المشاكلة.. ويتم مع ذلك إجراؤها علي الاستعارة بتشبيه ما يزحف من المخلوقات بما يمشى منها بجامع أن كلا منهما من عجيب خلقه سبحانه وصنيع قدرته، خاصة بعد أن عرفنا أن المشاكلة ما هى إلا ضرب من المجاز، والقرآن فى هذا إنما جاء علي لغة العرب وطريقة حديثهم ونسج كلامهم، ففى بيت ابن الرقعمق:

قالوا اقترح شيئًا نجد الله لک طبخَه

قلت اطبخوا لى جُبّةً وقميصا

---

(1) ينظر: المسائل البيانية ص.٢٩٤

«جامعت المشاكلة فيه الاستعارة إذ إن فى قوله: (اطبخوا لى جهة وقميصا)، استعارة باعتبار المشابهة لمشابهة الطبخ للخياطة والإطعام للكسوة فى النفع»[1]، وقد جاء ذكر خياطة الجُبّةً بلفظ الطبخ لوقوعها فى صحبة طبخ الطعام)[2].

وخلاصة الأمر: وهو الحق الذى نرسله عن يقين واطمئنان أن أساليب المشاكلة التحقيقية هى من المجاز، فمنها ما يندرج تحت المجاز المرسل ومنها ما ينطوى تحت المجاز بالاستعارة.

وما ذكرناه هنا عن المشاكلة التحقيقية، نقوله أيضًا عن المشاكلة التقديرية، ومثاله قول الله تعالي: ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[البقرة: ١١٣]، وقد أشار الفراء إلي تقديرية المشاكلة فى هذه الآية فقال: «فإن قال قائل: أرأيت قوله: ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[البقرة: ١٩٣]، أعدوان هو وقد أباحه الله لهم؟، قلنا: ليس بعدوان فى المعنى، إنما هو لفظ علي مثل ما سبق قوله- يعنى بذلك قوله تعالي: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[البقرة: ١٩٠].. فالعدوان من المشركين فى اللفظ ظلم فى المعني، والعدوان الذى أباحه الله وأمر به المسلمين، إنما هو قصاص،

(١) مواهب الفتاح٤ /٣١٠ ، وعروس الأفراح٤ /٣٠٧

(٢) ينظر: مختصر السعد ٤ /٣١١ شروح.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فلا يكون القصاص ظلمًا وإنما كان لفظه واحدًا»[1]، وكأن المعني والتقدير: (انتهوا عن العدوان، فلا عدوان إلا علي الظالمين)، وقد جامعت هذه المشاكلة التقديرية المجاز المرسل.. ذلك أنه سبحانه أراد بالعدوان هنا الجزاء، وهو: العقوبة بالفعل، وسمّي القتل عدوانًا من حيث كان عقوبة للعدوان وهو الظلم، فسمي جزاء العدوان عدوانًا لتسببه عنه، وعلي ذلك فإن الجزاء والعقوبة تسمي باسم الذنب علي المقابلة والمشاكلة والوقوع فى الصحبة.

وكما أن المشاكلة التحقيقية تجامع المجاز المرسل فإن المشاكلة التقديرية كذلك تجامعه، فما سُمِّى الجزاء عدوانًا إلا لتسببه عنه[2].. ولذا كانت العلاقة هنا سببية وهى إحدي علاقات المجاز المرسل.. ومثل ذلك يقال عن مجامعة المشاكلة التقديرية للاستعارة وعلاقة المشابهة، ويظهر ذلك فى قول الله تعالي: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾[البقرة: ١٣٨]، فإطلاق الصبغة علي الإيمان بالله سبحانه وإظهار شعائره جيء به علي طريق المشاكلة التقديرية، إذ إن لفظ الصبغة لم يتقدم فى الحقيقة وإنما تقدم معناه فقط وهى الحالة المعهودة فى النصاري عند الولادة فكأن اللفظ وإن لم يتقدم تحقيقًا

---

(1) معاني القرآن للفراء ص.١١٦

(2) ينظر: عروس الأفراح.٤ /٣٨

فقد تقدم تقديرًا[1]، وهى مع ذلك قد ترجح كونها استعارة قال ابن عطية:

«سمى الدين صبغة استعارة من حيث تظهر أعماله وسمته علي المتدين كما يظهر الصبغ فى الثوب وغيره»[2]، «فيكون قد شبه الدين بالصبغة بجامع ما يظهر من أثر كل منهما علي ظاهر صاحبه، فيظهر أثر التطهير علي المؤمن حسًا ومعني بالعمل الصالح والأخلاق الطيبة وذلك كقوله: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾[الفتح: ٢٩]، كما يظهر أثر الصبغ علي صاحبه، ثم حذف المشبه وصرح بالمشبه به، وإلي مثل هذا ذهب الرازى فهو يقول: «سمى (الدين) (صبغة)، لأن هيئته تظهر بالمشاهدة من أثر الطهارة والصلاة»[3]، وهو ما يعرف بالاستعارة التصريحية.. وأجراها أبو السعود فقال: «إن الصبغة قد عبر بها عن الإيمان بما ذكر، لكونه تطهيرًا للمؤمن من أوضار الكفر وحليةً تزينهم بآثاره الجميلة، ومتداخِلًا فى قلوبهم، كما أن شأن الصبغ بالنسبة إلي الثوب كذلك»[4].

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء ١ /٨٣ والإيضاح وبغية الإيضاح٤ /٢٤

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية١ /٤٣٢

(٣) تفسير الرازي٢ /٩٥

(٤) أبو السعود١ /١٩٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بل إن الأمر يصل بواحد كابن قتيبة لأن يجعل المشاكلة التقديرية واحدة من علاقات الاستعارة المتعددة.. وبواحد كالشريف الرضى لأن يصرح بذلك فيقول: إنه سبحانه جعل دينه «بمنزلة الصبغ، لأن أثره ظاهر ووسمه لائح؛ وهذا من محض الاستعارة»[1].. فالحديث فى الآية يدور عند المفسرين والبلاغيين بين المشاكلة والاستعارة ولا تنافى بينهما، بل إنه فى الأصل استعيرت كلمة (صبغة) للإيمان أو التطهير، ثم لما وقعت فى صحبة غيرها تقديرًا سميت مشاكلة.

(1) تلخيص البيان في مجازات القرآن ص١١٨

المبحث الثاني

ذكر الشيء بلفظ غيره

لوقوعه في صحبته على جهة الحقيقة

أما المشاكلة التى تعنى المجازاة علي الفعل بمثله والتى تتعلق بصفات الله جل وعلا من أمثال قوله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥، ١٦]، وقوله: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[التوبة: ٦٧]، وقوله ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾[النساء: ١٤٢]، وقوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤، ١٥]، وقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[الصف: ٥]، وقوله: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ [النمل: ٥٠].. فإنها تُحملُ علي الحقيقة ولا يجوز أن تحمل علي المجاز بأى حال من الأحوال، وعلي ذلك أدلة اللغة والعقل والإجماع.. ذلك لأن المتكلم فى الصفة لو قال: إنها مجاز مراد بها غير ظاهره للزم إنشاء وضع جديد بذلك اللفظ، وكان حكمه علي الله ورسوله أنه أراد بهذه الألفاظ- ألفاظ صفات الله سبحانه- خلاف معانيها المفهومة عند التخاطب وهذا ضد البيان الذى قال الله عنه واصفًا كتابه العزيز: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، وعليه فلا مفر من حمل هذه الصفات علي ما كان منها محمودا لائقا بجلاله علي

وجه لا يشابه صفات المخلوقين علي نحو ما ألمحنا وسيأتى توضيحه.. وإلا للزم اتصافه تعالي وفى القرآن بصفات النقص، وهذا محال.. هذه واحدة.

أما الثانية فقد صرح الناس قديمًا وحديثًا بأن الله لا يجوز أن يتكلم بشيء فيما يتعلق بذاته وصفاته ويعنى به خلاف ظاهره، وعلي ذلك النقل والعقل وإجماع الأمة أما النقل فقوله تعالي: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢]، وقوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف: ٣]، وهذا يدل علي وجوب فهمه علي ما يقتضيه ظاهره باللسان العربى إلا أن يمنع منه دليل شرعى، وأما العقل: فلأن المتكلم بهذه النصوص أعلم بمراده من غيره وقد خاطبنا باللسان العربى المبين فوجب قبوله علي ظاهره وإلا لاختلفت الآراء وتمزقت الأمة[1].

وأما الإجماع فيدل عليه قول القاضى أبو يعلى: «ويدل علي إبطال التأويل- أى صرف الصفات عن ظاهر معناها- أن الصحابة ومن بعدهم من التابعين، حملوها علي ظاهرها ولم يتعرضوا لتأويلها ولا صرفوها عن ظاهرها»[2].. وقول أبى المعالى الجوينى: «وذهب السلف إلي

---

(1) ينظر: القواعد المثلى لابن عثيمين ص٣١٢

(2) الفتوى الحموية ص٥٣

الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر علي مواردها» ثم قال: «والذى نرتضيه رأيًا وندين الله به عقدًا اتباع سلف الأمة.. إذ لو كان تأويل هذه الظواهر مسوغًا أو محتومًا لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة»[١]. وقول القادر بالله: «كل صفة وصف أو وصفه بها رسوله صلي لله عليه وسلم، فهى صفة حقيقية لا صفة مجاز»[٢].. «وقول أبى عمر بن عبد البر إمام أهل المغرب: «أهل السنة مجمعون علي الإقرار بالصفات الواردة كلها فى القرآن والسنة والإيمان بها وحملها علي الحقيقة لا علي المجاز»[٣].

والسبب الثالث فى وجوب حمل صفات المجازاة الدالة علي المشاكلة علي الحقيقة دون المجاز: أن «من أعظم وسائل التعطيل- وهذا ما وقع فيه أهل البدع والجهمية والمعتزلة والخوارج- القول فى الصفات بأنها مجاز ومراد بها غير ظاهرها، لأن ذلك سيكون ذريعة لنفى كثير من صفات الكمال والجمال، ونفى ما ثبت فى كتاب الله وسنة رسوله لا شك أنه محال»[٤].

---

(١) الرسالة النظامية ص١٦٥ ، ١٦٨ وينظر: الفتوى الحموية ص٥٩. وفتح البارى لابن حجر ٤١٨/١٣.

(٢) معارج القبول.١ /١٣١

(٣) التمهيد ٥٦/٤ وينظر: الفتوى الحموية ص٥١.

(٤) منع جواز المجاز للشنقطي ص٣٠٤.

وتكمن خطورة لقول بمجازية الصفات وأن المراد منها غير ظاهرها فيما يستلزمه ذلك من لوازم باطلة، منها أن يكون الله سبحانه قد أنزل فى كتابه وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم من هذه الألفاظ ما يضلهم ظاهرها ويوقعهم فى التشبيه والتمثيل، ومنها: أن يكون قد ترك بيان الحق والصواب ولم يفصح به، بل رمز إليه رمزًا وألغزه إلغازًا، ومنها: أن يكون قد كلف عباده ألا يفهموا من تلك الألفاظ حقائقها وظواهرها، ومنها: أن يكون أفضل الأمة وخير القرون قد أمسكوا عن قول الحق فى هذا النبأ العظيم الذى هو من أهم أصول الإيمان إما جهلًا وإما كتمانًا.

علي أن كمال علم الله وبيانه ونصحه وكمال تيسيره للذكر، يمتنع عليه سبحانه أن يريد بكلامه خلاف ظاهره وحقيقته وينافى حمله علي التأويل المخالف لحقيقته وظاهره[1].. ولهذا كله وجب حمل صفات الله سبحانه، والتى تحمل معني المشاكلة علي الحقيقة دون المجاز علي عكس ما ذكرنا قبلًا، فيكون هذا أمر مستثني وتأخذ المشاكلة بذلك طابعًا مميزًا عن غيرها ويكون التغاير هنا واقعًا فى اللفظ الواحد وهو يحمل معنيين مختلفين كل منهما حقيقة فى محله:

الأول منهما: مذموم وهو الذى يحمل معني الاعتداء، لأنه يرجع إلي

(1) ينظر: الصواعق المرسلة ص٤٢،٩٧٠

الظلم والكذب، فُيذم لكونه متضمنًا للكذب أو للظلم أو لهما جميعًا.

والثانى: وهو ما كان مقابلًا للأول وواقعًا فى صحبته، وهو: المعني المحمود الذى يَحمل معني المجازاة علي القبيح بالحق والعدل.. ذلك أن صفات (الكيد والمكر والخداع والنسيان) ونحوها من الصفات التى تحمل معني المشاكلة والوقوع فى الصحبة، هى: صفات كمال فى حال ونقص فى حال، وعليه فلا تثبت لله سبحانه إثباتًا مطلقًا ولا تنفي عنه نفيًا مطلقًا، بل لابد من التفصيل فتجوز فى الحال التى تكون كمالًا وتمتنع فى الحال التى تكون نقصًا، ولهذا لم يذكرها الله تعالي من صفاته علي سبيل الإطلاق، وإنما ذكرها فى مقابلة من يعاملونه ورسله بمثلها كقوله: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾[الأنفال: ٣٠]، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾[الطارق: ١٥، ١٦]، وهذا النوع من الصفات هو الذى يغلب عليه طابع المشاكلة وذلك لوقوع مكره وكيده المحمود والذى يليق به سبحانه فى صحبة مكرهم وكيدهم المذموم.

وهكذا وبمثل هذا وصف نفسه ووصف بعض خلقه بالخداع: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾[النساء: ١٤٢]، والاستهزاء ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[البقرة: ١٤، ١٥]، وبالحياء ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وبالنصر ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠]، وبالنفس:

﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[المائدة: ١١٦]، والنسيان ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ [الأعراف: ٥١]، والسخرية ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩]، والصرف ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم﴾[التوبة: ١٢٧]، وبالجزاء السيء ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾[الروم: ١٠]، وبالزيغ ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[الصف: ٥]، فلله سبحانه (مكر وخداع واستهزاء وحياء ونسيان وكيد وسخرية وجزاء بالسيئ وزيغ) يليق بجلاله وبعد له وبمجازاته لأعدائه وأعداء نبيه ودينه، لا كمثل (مكر وخداع واستهزاء وحياء، ونسيان وكيد وسخرية) البشر.

فشتان بين نسبة هذه الصفات إلي الله جل وعلا ونسبتها إلي المخلوقين.. فنسبتها إليه تكون بما يليق بكماله وجلاله وذاته وهى حقيقة، ونسبتها للمخلوقين مناسبة لحالهم وعجزهم وفنائهم وافتقارهم وهى أيضًا حقيقة، فما بين الصفة والصفة من المخالفة، كمثل ما بين الذات والذات وما بين نسبة هذه الصفات إلي الخالق ونسبتها إلي المخلوق من المنافاة كمثل ما بين ذاته سبحانه وذواتهم، إذ لا مناسبة بين صفات الخالق وصفات المخلوق وبالتالى لا تنتفى هذه الصفات التى أثبتها الله لنفسه.

وهل يستطيع إنسان كائنًا من كان أن يتقدم بين يدى رب السموات

والأرض ويقول هذا الذى وصفت به بنفسك لا يليق بك ويلزمه من النقص كذا وكذا، فأنا أؤوله وألغيه وآتى بيد له من تلقاء نفسى من غير استناد إلي كتاب أو سنة.. فمن فعل ذلك فنفي وصفًا أثبته الله لنفسه، فقد جعل نفسه أعلم من الله- سبحانه هذا بهتان عظيم- كما لا يستطيع أحد أن يظن أن صفة خالق السموات والأرض تشبه شيئًا من صفات الخلق، وإلا فهو بذلك جاهل ضال مضل، فلم يبق إلا الإيمان بصفات الله جل وعلا منزهًا ربه عن التعطيل والتشبيه[1].

ونبدأ فى الحديث عن هذا اللون من ألوان المشاكلة للتعرف علي آثار السابقين ومناقشة ما أصابوا فيه وما أخطئوا، وذلك بشيء من التفصيل والتوضيح، فنقول وبالله التوفيق:-

١- المشاكلة في صفة الحياء-:

وسواء كانت المشاكلة فى قوله تعالي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا﴾[البقرة: ٢٦]، تقديرية لوقوعها فى صحبة ما قاله الكفار: (أما يستحى رب محمد أن يضرب مثلًا بالذباب والعنكبوت)، أو كانت تحقيقية لوقوعها فى صحبة قولهم بأن الله أعلي وأجل من أن يضرب المثل بالمستوقد وبالصيب.. فإن صفة الحياء قد جاءت هنا منفية عنه سبحانه مما يدل علي جواز اتصافه تعالي بها،

(١) ينظر: الرسالة التدمرية لابن تيمية ص ١١ -٨ودراسات لآيات وأسماء الصفات للشقنيطي ص١٤: ٤

وذلک يقتضى نسبتها إليه فى حال الإثبات علي النحو اللائق به جل وعلا، وبهذا جاءت الأحاديث والآثار، ففى الحديث الشريف: (إن الله يستحيى من ذى الشيبة المسلم أن يعذبه)، وقال صلوات الله وسلامه عليه: (إن الله حيى كريم، يستحى إذا رفع إليه العبد يديه أن يردهما صفرًا حتي يضع فيهما خيرًا)[1]، وإذا كان الأمر كذلک فإن الصواب إثبات هذه الصفة علي الوجه الذى يليق به سبحانه، دون توهم نقص أو اشتقاق ودون ما تأويل، لأن المتأوِّل للصفة ما ذهب إلي ما ذهب إليه إلا لظنه أن ظاهر الصفة لا يجوز فى حق الله سبحانه.

ومن هنا ندرک خطأ التأويل فى صفة الحياء وإخراجها عن ظاهر معناها علي نحو ما ذهب إليه بعض المفسرين، فقد رجح بعضهم أن يكون معني: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ﴾قَبۡلُ أى: لا يترک»[2]، بحجة «أن الترک من ثمرات الحياء لأن الإنسان إذا استحيي من فعل شىء تركه فيكون من باب تسمية المسبب باسم السبب»[3].. ورجح بعضهم أن يكون معني لا يستحيى: لا يمتنع.. وذهب البعض الآخر إلي أن المعني: لا يخشي، وأنها جاءت بمعني الخشية لأنها أيضًا من ثمراته ورجحه

---

(1) تفسير أبو السعود ١ /٧١ والكشاف ١٠ /٢٦٣ . والحديثان سبق تخريجهما.

(2) تفسير ابن عطية.١ /٢٠٤ .

(3) الكشاف.١/٢٦٣

الطبرى هذا بعض ما قيل فى آية البقرة.

وعليه فقد ذكروا أن الحياء المنفى فى آية الأحزاب ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ أى: لا يترك تأديبكم وبيان الحق حياء، ولما كان الحياء مما يمنع الحيى من بعض الأفعال قال: ﴿لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ بمعني: لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيى منكم، وبمثل هذا قال البيضاوى[1] والنسفى[2] والحق أن فى ذلك نفيًا لصفات أثبتها الله لنفسه وذلك يحوى شبهة التكذيب لله ولكتابه والاتهام له سبحانه بالعجز عن القدرة علي التعبير بما يريد، كما أن فيه إخراج للصفة عن ظاهرها أو تفسيرها بلازمها، وهو وإن أجازه بعض أهل العربية فالذى يظهر أن صفة الحياء صفة يتصف بها الإنسان، ومن لوازم هذه الصفة: الخشية ولا ينبغى أن تفسر الصفة بلازمها إذا إن تفسير الصفة بلازمها ليس مذهبًا للسلف[3].

والصواب ما أثبتته ابن عطية وأوضح فيه معني المشاكلة حين قال فى سبب نزول آية البقرة: إنه لما كان الجليل القدر فى الشاهد لا يمنعه من الخوض فى نازل القول إلا الحياء من ذلك، ردَّ الله بقوله:

---

(1) تفسير البيضاوي٧/ ١٨٣

(2) تفسير النسفي٣/ ٢٢٨

(3) ينظر: المفسرون بين الإثبات والتأويل للمغراوي١٣٤، ١٣٥، ١٠/١٧٣

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ﴾عن القائلين كيف يضرب الله مثلًا بالذباب ونحوه، أى: أن هذه الأشياء ليست من نازل القول، إذ هى من الفصيح فى المعني المُبْلغ أغراض المتكلم إلي نفس السامع فليست مما يستحيى منه.

فإذا ما أضفنا إلي ذلک أن المشاكلة جاءت هنا لمقابلة الحياء المتعلق بالبشر، وهو: تغير وانكسار يعترى الإنسان من خوف ما يعاب به عليه، أو هو انقباض النفس عن القبائح، بحيائه سبحانه اللائق فى حقه والمغاير – بالطبع – لحياء البشر وهو المحمود من نوعى الحياء، لوقوعه فى صحبة الأول، أدركنا أن اللجوء إلي تأول الصفة أمر مخالف للشرع وللعقل ولسلف الأمة الصالح، وعرفنا أن الحياء مثله فى ذلک مثل سائر صفات الله سبحانه مما أثبته للخلق من سمع وبصر وكلام ورضا وغضب.. إلخ.. وذلک علي اعتبار أن الأمر فى هذه الصفات ليس علي إطلاقه وأن كُلّا فيهما بحسب ما أضيف إليه، إذ وشتان بين إثبات ذلک له سبحانه وإثباته للخلق، فللخالق جل وعلا صفات حقيقية تليق به، وللمخلوق صفات حقيقية تناسبه وتلائمه وكل ذلک حقيقة فى محله[1].

كما أن صفاته سبحانه ليس فيها ما يستحيل علي العقل حتي يُلجأ

(1) ينظر: منع جواز المجاز للشنقيطي ص٥٣، ص٣،٤

فيها إلي المجاز أو لوازم الصفة، بل إن ذلك لا يجوز البتة، وبخاصة مع عدم وجود قرينة مانعة، ذلك أن من أعظم وسائل التعطيل القول فى الصفات بأنها مجاز، ومرادٌ بها غير ظاهرها لأن ذلك نفى لصريح ما أثبته تعالي لنفسه، كما أنه سيكون ذريعة لنفى كثير من صفات الكمال والجمال وذلك لا يجوز بحال[1]، فضلًا علي أن القول بذلك هو قول الجهمية والمعطلة[2].

٢- المشاكلة في صفتي السخرية والاستهزاء:

ففى قول الله تعالي ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾[التوبة: ٧٩]، وقوله ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[البقرة: ١٤، ١٥] جعل سخريته سبحانه واستهزائه - وهو حسن محمود لأنه يحصل معني المجازاة بالحق بالعدل - فى مقابلة سخريتهم وسوء صنيعتهم واستهزائهم بالمؤمنين علي سبيل المشاكلة والوقوع فى الصحبة، ولأن صرف الصفات عن ظاهرها، أو تأويلها أمر مخالف لصريح النقل والعقل والإجماع ـــ علي نحو ما أوضحنا- فقد لزم أن تحمل هذه الصفات علي ظاهرها اللائق بالله جل وعلا دون ما تأويل لها أو إخراج لها عن ظاهرها، ودون اللجوء إلي القول بمجازيتها، وتكون المشاكلة هى

---

(١) ينظر: البحر المحيط ١ /١٢١

(٢) ينظر: الصواعق المرسلة ص٣٠٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقوع سخريته واستهزائه سبحانه الحسن، فى صحبة سخريتهم واستهزائهم القبيح، فإذا ما كان الأمر كذلك عرفنا خطأ ما ذهب إليه بعض المفسرين من اللجوء إلي تأويل أو إخراج مثل هذه الصفات عن ظاهرها إلي المجاز بحجة «أن الاستهزاء لا ينفك عن التلبيس وعن الجهل لقوله: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [البقرة: ٦٧]، وذلك علي الله محال»(١).

لأنا إذا وضعنا فى الاعتبار أنه أطلق علي الجزاء اسم (السخرية) لبيان أن ذلك من جنس صنيعهم، وعلمنا أن الصفات منها ما هو محمود وهو ما جاء علي جهة المجازاة بالعدل والحق وهو هنا استهزاء وسخرية تليق به لا علي تصور العبث واللهو، وأن ذلك واقعًا فى مقابلة استهزائهم البغيض والمذموم بالله ورسله وعباده المؤمنين، واللائق بهم، علي طريق المشاكلة وأن الصفات تختلف حقائقها باختلاف موصوفاتها، فللخالق جل وعلا صفات حقيقة تليق به وللمخلوق صفات حقيقية تناسبه وتلائمه، رُفِعَ عنه صفة الاستقباح، وعُلِم أنه إنما أطلق كذلك لوقوعه فى صحبة الأول تحقيقًا، وإخبارًا عن الله أنه مجازيهم جزاء الاستهزاء ومعاقبتهم عقوبة السخرية، فأخرج خبره عن جزائه إياهم وعقابه لهم، مَخْرَج خبره عن فعلهم الذى عليه

(١) ينظر: الفخر الرازي١ /١٩١

استحقوا العقاب فى اللفظ، وإن اختلف المعنيان كما قال جل ثناؤه: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾[الشوري: ٤٠]، ومعلوم أن الأولي من صاحبها سيئة وأن الأخري عدل، لأنها من الله جزاء للعاصى علي معصيته[1].

٣- المشاكلة في صفتي الخداع والكيد:

فى قول الله تعالي ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾[النساء: ١٤٢]، وقوله: ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا﴾ [الطارق: ١٥، ١٦]، إطلاق صفة الخداع والكيد عليه سبحانه مشاكلة لوقوعه فى صحبة خداع ومكر المعاندين علي جهة المجازاة وتسمية العفو باسم الذنب، فيكون قد عبر عن هذا المعني- معني المجازاة- بالمخادعة والكيد علي وجه المقابلة وتسمية الفعل الثانى باسم الفعل المسبب له تحقيقًا، ويدل علي ذلك صيغة المفاعلة التى جاءت فى صفة الخداع، ومن المعلوم أن المفاعلة لا تكون إلا من فاعلَين، فتكون حاملة معني المجازاة وأن الجزاء من جنس العمل يقول ابن كثير فى معني المخادع نفسه: ذلك بأن «يعطيها أمنيتها ويسْقِها كأس سرورها، وهو موردها حياض عطبها ومجرعها به كأس عذابها، ومزبرها من غضب الله وأليم عقابه ما لا قبل لها به.. ظنًا منه مع

(1) ينظر: الطبري١٠٢ ،١٠ /١٠٣

إساءته إليها فى أمر معادها أنه إليها لحسن»[1].

ولعل فى ذلك ما يثبت تكلف من أراد صرف هذه الصفة أيضًا بحذف المضاف فيها و إقامة المضاف إليه مقامه، ويجعل المعني يخادعون رسول الله صلي الله عليه وسلم، ويؤيد ما ذهبنا إليه أن ما لا يحتاج إلي تقدير أولي مما يحتاج فلا وجه إذًا لإضمار مضاف طالمًا أن المعني من غيره صحيح.. يقول ابن القيم فى بيان جواز وصف الله نفسه بمثل هذه الصفات دون ما تأويل لها أو تقدير بحذف مضاف:-

إن صفات الخداع والكيد وأمثالها «منقسمة إلي محمود ومذموم فما كان منها متضمنًا للكذب والظلم فهو مذموم، وما كان منها بحق وعدل ومجازاة علي القبيح فهو حسن محمود، فإن المخادع إذا خادع بباطل وظلم حسن من المجازى له أن يخدعه بحق وعدل، وذلك إذا مكر واستهزأ ظالمًا متعديًا كان المكر به والاستهزاء عدلًا حسنًا، كما فعله الصحابة بكعب بن الأشرف وابن أبى الحقيق وأبى رافع وغيرهم ممن كان يعادى رسول الله صلي الله عليه وسلم فخادعوه حتي كفوا شره وأذاه بالقتل وكان هذا الخداع والمكر نُصْرة لله ورسوله، وكذلك ما خدع به نعيم بن مسعود المشركين عام الخندق حتي انصرفوا.. وقد

---

(1) ابن كثير١٠ /٤٨

قال النبى صلي الله عليه وسلم (الحرب خدعة) [1]، وجزاء المسىء بمثل إساءته جائز فى جميع الملل، مُستحْسنٌ فى جميع العقول، ولهذا كاد سبحانه ليوسف حتي أظهر- الله- لأخوته ما أبطن خلافه جزاء لهم علي كيدهم له مع أبيه حيث أظهروا له أمرًا وأبطنوا خلافه فكان هذا من أعدل الكيد»[2].

هذا وقد ذهب[3] الراغب الأصفهانى وهو القائل بتقدير حذف المضاف أثناء حديثه عن صفة المكر وتعلقها بالله سبحانه، ذهب إلي أن المكر صرف الغير عما يقصده بحيله وأبان أن ذلك علي ضربين: مكر محمود وهو «أن يتحري بذلك فعلَ جميل، وعلي ذلك قال: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ومذموم وهو أن يتحري به فعلَ قبيح قال: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ﴾وقال فى الأمرين: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا﴾ [النمل: ٥٠]» [4]، وكان عليه أن يقول بمثل ذلك فى قوله سبحانه: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾فيكون الباب علي نسق واحد،

---

(1) رواه البخاري كتاب الجهاد باب ٥٧ والمناقب ٣٥ ومسلم كتاب الجهاد حديث ١٨، ١٩، والزكاة ١٥٣ وأبو داود كتاب الجهاد والسنة والترمذي كتاب الجهاد وابن ماجة كتاب الجهاد وأحمد في المسند .

(2) ينظر: البيان في غريب القرآن لابن الأنباري ص ٥٥والبحر المحيط لابي حيان١ /٥٦

(3) الصواعق المرسلة لابن القيم ص٣٩٧٠

(4) المفردات في غريب القرآن للاصفهاني ص٤٨٧٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ويسلم بذلك من شبهة التأويل والتعطيل لبعض صفاته سبحانه والأصل أن معني: (الكيد والمكر والاستدراج والخداع)، هو الأخذ الشديد من جهة الأمن[1]، وسماه تعالي (كيدًا وخداعًا)، لنزوله بالعباد من حيث لا يشعرون، ولكونه فى صورة (الكيد) حيث كان سببًا للهلاك، وذلك جائز فى حقه سبحانه يقول جل فى علاه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤]، ويقول: ﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٞ﴾[القلم: ٤٥]، ويقول: ﴿إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ﴾[آل عمران: ١٧٨]، وذلك حجة علي المتأولة والمعتزلة فى صرفهم هذه الصفات عن ظاهرها دون قرينة عقلية أو نقلية تقول بصرف هذه الصفات عن ظاهرها.

المشاكلة في صفتي الإزاغة والصرف:

وفى قوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾[الصف: ٥] وقوله: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾[التوبة: ١٢٧]، أيضا مشاكلة لوقوع جزاء الله العادل لهم بالحق والعدل فى مقابلة وصحبة صنيعهم القبيح علي ما ارتكبوه، ومن المعلوم أن المعتزلة لهم باع طويل فى تأويل الصفات وإخراجها عن ظاهرها إلي المجاز، وما كلامهم فى خلق العباد لأفعالهم عنا ببعيد، يقول

---

(1) ينظر: النسفي٤ /٢١٣، ١٠ /١٥٣

القاضى عبد الجبار فى المتشابه: «أما تعلقهم بقوله تعالي: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ [الصف: ٥]، فى أنه تعالي يخلق الكفر وسائر المعاصى فبعيد، وذلك أنه وصفهم بالزيغ وأضاف ذلك إليهم فى الحقيقة، وبيَّن أن عند ذلك تزيغ قلوبهم فالمراد به أن يعاقبهم علي ذلك[1].

وهذا الفهم- الذى ذهب إليه عبد الجبار وكذا المعتزلة والمتأولة- فهم خاطئ إذ لو لم تكن الإزاغة من قبله تعالي لما جاز أن يُدْعي فى رفع ما لا يجوز عليه فعله[2]، فى قوله تعالي ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾ولما جاز أن يقع هذا الدعاء إلي الله فى رفع الزيغ عن قلوب المؤمنين فى مقابلة زيغ الذين فى قلوبهم مرض من الذين اتبعوا ما تشابه من كتاب الله سبحانه ابتغاء الفتنة، علي وجه المقابلة والوقوع فى صحبة من له الاسم وقوعًا حقيقيًا.

علي أن ما ذهب إليه أصحاب التأويل هنا فى تفسير (الزيغ) المنسوب إليه سبحانه من منع الألطاف وعدم الإدامة علي الاستقامة، قد أوقعهم فيما فروا منه من نسبة مالا ينبغى إلي الله جل وعلا، فما فروا منه فى نفى صفة الزيغ وقعوا إبان نسبتهم معانى الزيغ إليه سبحانه.

---

(1) متشابه القرآن ص٦٥٣.

(2) ينظر: البحر المحيط٢ /٣٨٦

ولعل فى ذلك أيضًا ردًا علي من تأثر بالقاضى عبد الجبار فذهب إلي القول فى مثل ذلك بالاستعارة كالشريف والرضى الذى صرح بأن ذلك أدخل فى باب الكلام علي الآى المتشابهة، ثم راح يحيل هذه الصفة التى أثبتها الله لنفسه مؤولا قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾وقائلًا: إنها بمعني: (لا تحمِّلنا من التكاليف ما لا طاقة لنا به فتزيغ قلوبنا، أى تميل عن طاعتك وتعدل عن طريق مرضاتك)، ثم يقول: وقد يجوز أن يكون المراد بذلك، أى: أدم لنا ألطافك لتدوم قلوبنا علي الاستقامة ولا تزيغ عن مناهج الطاعة، ثم يرجع عن معتقده هذا عن نسبة الإزاغة إليه سبحانه، وكأن الله أراد للحق أن يجرى علي لسانه فيقول عن قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ [الصف: ٥]، إنهم لما زاغوا عن الحق حكم عليهم بالزيغ عنه، وحكمه بذلك أن يأمر أوليائه بذمهم ولعنهم والبراءة منهم عقوبة لهم علي ذميم فعلهم ثم يقول: وقد يجوز أن يكون معني ذلك أنهم لما زاغوا عن الحق خذلهم وأبعدهم وخلاهم واختيارهم[1].

ولعلنا نجد فى كلام ابن كثير وهو سلفى المعتقد ما يدحض هذا القول، ويؤيد أن يكون ذلك علي سبيل المجازاة والمشاكلة علي وجه

---

(1) ينظر: تلخيص البيان ص٣٣٤ :٣٣٣، وحقائق التأويل للشريف الرضي ص ٣١ :١٥وينظر: الكشاف ٤٠ /٨٨

الحقيقة لا المجاز.. يقول ابن كثير: فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به، أزاغ الله قلوبهم عن الهدي وأسكنها الشك والحيرة والخذلان، كما قال تعالي: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[الأنعام: ١١٠]، علي أن عدلا من الله عز وجل إزاغة من زاغ قلبه من عباده من طاعته، فلذلك استحق المدح من رغب إليه فى أن يزيغه لتوجيهه الرغبة إلي أهلها ووضعه مسألته موضعها مع تظاهر الأخبار عن رسول الله صلي الله عليه وسلم برغبته إلي ربه فى ذلك مع محله منه وكرامته عليه، فعن أم سلمة أن رسول الله صلي الله عليه وسلم كان يقول: (يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبى علي دينك)، ثم قرأ ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾.. كما جاء عنها أن رسول الله صلي الله عليه وسلم كان يكثر فى دعائه أن يقول: (اللهم مقلب القلوب ثبت قلبى علي دينك)، قالت: قلت يا رسول الله، فإن القلب ليقلب قال: (نعم، ما خلق الله من بشر من بنى آدم إلا وقلبه بين إصبعين من أصابعه فإن شاء أقامه وإن شاء أزاغه)[1].

وما ذكرنا هنا يقال أيضًا فى صفة الصرف فقد حمله الزمخشرى فى الآية علي الدعاء كطريقته الاعتزالية فى نسبته الصلاح والأصلح لله وفى تأويله للصفات، فقال فى الآية «دعاء عليهم بالخذلان ويصرف

(1) ينظر: الطبري٣ /١٢٥ .. والحديث سبق تخريجه.

قلوبهم عما فى قلوب أهل الإيمان من الانشراح بأنهم قوم لا يفقهون»[1]، وإلي مثل هذا ذهب المرتضي فى الأمالى حين ذكر للصرف معان كثيرة منها: «الحكم والتسمية والشهادة»[2]، والقاضى عبد الجبار فقال: «ولو أراد بذلك الكفر والمنع من الإيمان لما جاز أن يجعله كالجزاء علي انصرافهم»[3]، والحق ما ذكرناه أولًا ومن أن القلب وهو محط الإيمان مقصود به هنا تحويله عن هذا الإيمان بسبب تكذيبهم، ويكون ذلك كله أيضًا علي طريق المجازاة والعقوبة لانصرافهم هم أولًا وتكبرهم عن سماع الحق، فسمي العقوبة عليه باسمه، كما قال: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾[الشوري: ٤٠]، وكنسبة (الزيغ والكيد والمكر والاستهزاء والخداع).

٤- المشاكلة في صفة النسيان:

من أمثال قوله جل وعلا: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ﴾[التوبة: ٦٧]، وللمتأولة فى صفة النسيان المتعلقة به سبحانه كلام كثير وطرق مختلفة فى صرف الصفة عن ظاهرها إلي طريق المجاز أو الاستعارة.. يقول الخازن: «سمَّي الله تعالي جزاء نسيانهم بالنسيان علي المجاز»، ثم علل

---

(١) الكشاف ٢ /٢٢٣

(٢) الآمالي للمرتضى ١/٣١٢

(٣) متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار ص٢٤٩

ذلك بقوله: «لأن الله تعالي لا ينسي شيئًا، فهو كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾[الشوري: ٤٠]، فيكون المراد من هذا النسيان أن الله لا يجيب دعاءهم ولا يرحم ضعفهم وذلتهم، بل يتركهم فى النار كما تركوا الإيمان والعمل»[١].

وفى ذلك نفيٌ لصفة أثبتها الله لنفسه فى غير ما آية وصرفلإ لها عن ظاهرها، بل ويصر الخازن علي هذا فى تفسيره لآية التوبة: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ﴾ فيقول: «هذا الكلام لا يمكن إجراؤه علي ظاهره لأنا لو حملنا علي النسيان الحقيقى لم يستحقوا ذمًا عليه، لأن النسيان ليس فى وسع البشر دفعه، وأيضًا فإن النسيان فى حق الله محال فلابد من التأويل، وقد ذكروا- المتاولة- فيه وجهين:

الأول: معناه أنهم تركوا أمره حتي صاروا بمنزلة الناسين له فجازاهم بأن صيرهم بمنزلة المنسى من ثوابه ورحمته فخرج علي مزاوجة الكلام.

الثانى: أن النسيان ضد الذكر، أى: كما تركوا ذكر الله وعبادته، ترك الله ذكرهم فيمن ذكرهم بالرحمة والإحسان»[٢].

ثم يسير سيره هذا فى تفسيره لكل الآيات المتعلقة بصفة (النسيان)

---

(١) تفسير الخازن. ١ /٩٣

(٢) تفسير الخازن. ٢ /٢٤٤

كآية السجدة وغيرها.. وبمثل قوله فى مجازية النسيان فى حقه سبحانه قال البيضاوى فذكر فى آية السجدة أن نسيانه من قبيل الاستعارة أو المجاز المرسل وكذا فى آية الجاثية[1]، التى أجاز فيها أن تكون الصفة أيضًا من قبيل الاستعارة المكنية، وآية الأعراف وفيها صرح أن الكاف للتعليل لا للتشبيه وأجري الاستعارة قائلًا: شبه معاملته تعالي مع هؤلاء، بالمعاملة مع من لا يُعتد به ويُلتفتُ إليه فيُنسي، لأن النسيان لا يجوز علي الله تعالي، كما شبه عدم إخطارهم لقاء الله ببالهم وقلة مبالاتهم، بحال من عرف شيئًا لم نسيه[2]، بجامع عدم المبالاة.

ونجيب أن ذلك إن صح فى حقهم بهذا المعني فلا يصح فى حقه سبحانه، لكون ذلك يفضى إلي القول بما لا يليق فى حقه جل فى علاه، وكذلك فى القول بالمجازية فى هذه الصفة خطأ جسيم، فغنيٌّ عن البيان أن القول بالمجازية فى الصفات وعدم إجرائها علي ظاهرها، وبالتالى تأويلها وإثبات الصفة فى حق العبد فقط- علي ما أفاده كلام الخازن والبيضاوى ومن سار علي دربهما- مخالفة صريحة لفهم سلف الأمة الصالح، إذ إن فى القول بأن النسيان فى حق البشر ليس فى وسعهم دفعه، وأنه فى حق الله محال ولابد من التأويل، كثير مغالطة،

---

(1) ينظر: تفسير البيضاوي٧ /١٥٢ ،٨٠ /٢٤

(2) ينظر: نفس المرجع٤ /١٧٣

لأن المراد من النسيان ليس المعني اللغوى له الذى يكون بحق العاصين علي نحو ما ذهب إليه الخازن وغيره، بل مراده فى حق المعاندين: إعراضهم وإغفالهم عن التذكير بآيات الله المنظورة والمسطورة وعدم التدبر فيها، ونسيانه سبحانه مجازاتهم إياهم علي صنيعهم هذا.

ومما لا شك فيه أن جزاء المسىء بمثل إساءته جائز وسائغ فى جميع الملل، مستحسن فى جميع العقول، وإذا كان نسيانهم ظلمًا وعدوًا، فنسيانه لهم سبحانه حقًا وعدلًا، ولا تتنافي المشاكلة مع ما تعنيه المجازاة، وهذا هو الفهم الصحيح لنسبة النسيان له جل وعلا يقول ابن القيم: «إنه لما كان غالب استعمال مثل هذه الألفاظ فى المعانى المذمومة ظن المعطلون أن ذلك هو حقيقتها، فإذا أطلقت لغير الذم كانت مجازًا، والحق خلاف هذا الظن، وأنها منقسمة إلي محمود ومذموم فما كان منها متضمنًا للكذب والظلم فهو مذموم، وما كان منها بحق وعدل ومجازاة علي القبيح فهو حسن محمود.. فعلم أنه لا يجوز ذم- مثل- هذا الأفعال علي الإطلاق كما لا تمدح علي الإطلاق»[1].

وعلي ذلك فالنسيان إنما يذم إذا استعمل فى حقه سبحانه بمعناه اللغوى وهو «ترك ضبط ما استودع، إما الضعف قلبه، وإما عن غفلة، وإما

(1) الصواعق المرسلة لابن القيم ص٣٠٧،٣٠٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عن قصد حتي ينحذف عن القلب ذكره.. قال تعالي: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الكهف: ٦٣]، ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ [الكهف: ٧٣]، ﴿فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة: ١٤]، ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾[الزمر: ٨] [1]، فذاك هو المستحيل فى حقه سبحانه كما فى قوله: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢]، فالمنفى من النسيان هنا الغفلة والذهول وتعالي الله عن ذلك علوًا كبيرًا).

وفيما ذكرناه رد علي المتأولة من علماء الخلف بصفة خاصة وعلي المعتزلة بصفة عامة، وقد أساء هؤلاء وأولئك فى فهم التشبيه وأداة التشبيه فى الآيات السالفة الذكر، وحملوا تلك الصفة علي الاستعارة والمجاز[2].. والحق أن ثمة مشاكلة فى الآية «لوقوع نسيانه الحسن فى صحبة نسيانهم القبيح ويري ابن تيمية أن وجه القصور فى هذا المنهج- منهج التأويل- يرجع إلي أن أصحابه لم ينتبهوا إلي أن الأسماء والصفات المقدسة ثابتة بالشرع، فالله موصوف بصفات الكمال منزه عن النقائص، وكل كمال وُصف به المخلوق من غير

(1) المفردات في غريب القرآن للاصفهاني ص٥١١

(2) ينظر: الزمخشري٢ /٢٠٠ ، والبحر المحيط٤ /٣٠٥ ،٥ /٦٨

استلزمه لنقص فالخالق أحق به، وكل نقص نزه عنه المخلوق فالخالق أحق أن ينزه عنه» [1]، لأن دلالة السمع علي كل ذلك كدلالته الإرادة والسمع والبصر والقدرة.. فمن أنكر هذه الصفات أو أراد تعطيلها أو تعطيل بعضها كان مكذبًا لله ومدعيًا أنه أعلم منه وأقدر منه فى الحديث عنه، فلم يبق إلا الإثبات بلا تمثيل والتنزيه بلا تعطيل، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الشوري: ١١]، ﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[الحجرات: ١٦]، ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ١٤].

٥- المشاكلة في صفة النفس:

وذلك قوله تعالي ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴾ [المائدة: ١١٦]، حيث أطلق الله تعالي علي ذاته: (النفس) لوقوعه فى صحبة نفس عيسي عليه السلام للمشاكلة والمقابلة.. ولكن ذهاب البعض إلي منع اتصاف الله سبحانه بهذه الصفة لدلالتها علي الإيهام بنحو ما جاء فى قوله: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾[آل عمران: ١٨٥]، أدي بالكثيرين من علماء التفسير والبلاغة إلي تأويل هذه الصفة بالنسبة له تعالي.

ففى قوله جل وعلا: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴾ [المائدة:

---

(١) منهج علماء الحديث .د .مصطفى حلمي ص٢٣٣.

١١٦]، قيل المعني: تعلم ما أُخفي ولا أعلم ما تخفى، وقيل: تعلم ما عندى ولا أعلم ما عندك، وقيل: تعلم ما كان منى فى الدنيا ولا أعلم ما كان منك فى الآخرة، وقيل: تعلم ما أقول وأفعل ولا أعلم ما تقول وتفعل، وقيل: تعلم ما أريد ولا أعلم ما تريد، وقيل: تعلم ما فى غيبى ولا أعلم ما فى غيبك، وقيل: تعلم ما أعلم ولا أعلم ما تعلم، وقيل: تعلم سرى ولا أعلم سرك، وقال الزمخشرى: تعلم معلومى ولا أعلم معلومك[1].

وهذا كله يتضمن شبهة التأويل للصفة والإخراج لها عن ظاهر معناها بلا قرينة مانعة.. ولقد نبه ابن القيم علي أن التأويل شر من التعطيل الذى هو نفى الصفات الإلهية وإنكار قيامها بذات الله سبحانه.. لأنه يتضمن التشبيه والتعطيل والتلاعب بالنصوص وإساءة الظن بها، فإن المعطل والمؤول قد اشتركا فى نفى حقائق الأسماء والصفات، وامتاز المؤول بتلاعبه بالنصوص وإساءة الظن بها ونسبة قائلها إلي التكلم بما ظاهره الضلال والإضلال فجمعوا بين أربعة محاذير:

١- اعتقادهم أن ظاهر كلام الله ورسوله محال باطل ففهموا

---

(1) ينظر: البحر المحيط ٤ /٥٩ والرازي ٣ /٤٧٣ والبيضاوي ١ /١٦٧ والنسفي ١ /٢٤٠ والخازن ٢ /٢١٤،١٤٩ ، وتلخيص البيان للرضي ص ١٣٥وقد صرح باستعارتها وكذا المرتضى في الأمالي ١٠ /٣٢٦.

التشبيه أولًا.

٢- ثم عطلوا حقائقها بناء منهم علي ذلك الفهم الذى لا يليق بهم ولا يليق بالرب سبحانه.

٣- نسبة المتكلم الكامل العلم الكامل البيان التام النصح – وهو الله – إلي ضد البيان والهدي والإرشاد، لأن ذلك يتضمن أنهم كانوا أعلم منه وأفصح وأنصح للناس.

٤- تلاعبهم بالنصوص وانتهاك حرماتها[1].

علي أن كل هذه التأويلات التى ذهب إليها أصحاب مذهب التأويل فى النفس قد أتوا بها علي الرغم من وضوح وبيان أن نفس الله تغاير نفوس البشر، ومعاذ الله أن يقع فى وهم مسلم صحيح الإيمان إن نفس الله كنفس الإنسان والحيوان، أو أنها تدخل فى عموم قوله تعالي: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[آل عمران: ١٨٥].

وأسلم ما قيل فى تفسير هذه الآية ما جاء عن الطبرى رحمه الله، ففى تفسيره لقوله تعالي ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ يقول: «إنك يا ربى لا يخفي عليك ما أُضمره فى نفسى مما لم أنطق به وما أظهره بجوارحى، فكيف بما قد نطقتُ وأظهرتُه بجوارحى، يقول: لو كنتُ قد قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله لكنتَ قد علمته، لأنك

(١) ينظر: الصواعق المرسلة لابن القيم ص٣٧،٣٨.

تعلم ضامر النفوس مما لم أنطق به فكيف بما قد نطقت، ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ ﴾ يقول: ولا أعلم أنا ما أخفيتَه عنى، فلم تطلعنى عليه لأنى إنما أعلم من الأشياء ما أعلم، ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾إنك أنت العالم بخفيات الأمور التى لا يطلع عليها سواك ولا يعلمها غيرك[1]، وفى هذا إثبات بصفة النفس له سبحانه، وما دام الله قد أثبت له نفسًا فهو كما أثبت، وإن كان البعض يري أنه من الأحوط أن يتوقف الأمر علي المسموع خوفًا من الوقوع فى المحظور، لذا أوجبوا الاقتصار علي ما ورد للإيهام»[2].

والحق الذى أراه أن الأمر لا يحمل إيهامًا ولا لبسًا، والمسألة ببساطة أن نعتقد ما ورد من ذلك من نصوص، ولا أري بأسًا من إطلاق النفس علي ذاته سبحانه، أو اعتبارها صفة من صفاته علي اختلاف فى ذلك بين العلماء، فالنفس ثابتة لله عز وجل بالآيات والأحاديث المتفق عليها، وأهل الحق يثبتونها ويمسكون عما وراء ذلك من الخوض فى حقيقتها أو كيفيتها[3]، وما دام الله قد أثبت له نفسًا فهو كما أثبت، فأنى لنا أن نؤول أو نعطل صفة أثبتها الله لنفسه؟

---

(1) ينظر: تفسير الطبري.

(2) الأنبابي٢ /٢٩٦ ، حاشية الدسوقي ٤ /٣١٢ شروح التلخيص.

(3) ينظر: المفسرون بين الإثبات والتأويل للمغراوي ص٣٩٦ :٣٩٣

ومعلوم أن ما بين نسبة هذه الصفات إلي الخالق ونسبتها إلي المخلوق من المنافاة كمثل ما بين ذاته سبحانه وذواتهم إذ لا مناسبة بين صفات الخالق وصفات المخلوق ولا بين ذاته سبحانه وذواتهم فأين الإيهام إذًا؟ وكما أن الناس مفطورون علي الإقرار بالخالق جل فى علاه فإنهم مفطورون أيضًا علي أنه أجل وأكبر وأعلي وأعلم.

٦- المشاكلة في صفة المكر:

وقد جاء ذلك علي التحقيق كما فى قوله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾[آل عمران: ٥٤]، وقوله ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا﴾[النمل: ٥٠]، وعلي التقدير كما فى قوله: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[الأعراف: ٩٩]، «لمجيء ذلك فى مقابلة مكر المعاندين والمكر الذى يعنى: إيصال المكروه إلي الغير علي وجه يخفي فيه، أو أنه التدبير المحكم ليس بممتنع عليه سبحانه»[1].

وعلي ذلك فالقول بأنها من المجاز سواء كان المجاز المرسل أو بالاستعارة لعلاقة المشابهة أو للحذف، قول مجانب للصواب، وهو تعطيل لصفة أثبتها الله لنفسه وإخراج لها عن ظاهر معناها، ولذلك

(1) روح المعاني ٣/ ١٧٩

خطورته ومخالفته لأدلة النقل والعقل والإجماع فضلًا عن أن القائلين بذلك هم الجهمية والمعطلة والمعتزلة علي نحو ما أوضحنا سابقًا، من أن القائلين بذلك بنوا كلامهم علي أمرين:

أحدهما معنوى، وهو: أن مسمي هذه الألفاظ ومعانيها مذموم، فلا يجوز اتصاف الرب تعالي بها، وآخر لفظى وهى أنها لا تطلق عليه إلا علي سبيل المقابلة فتكون مجازًا، وأن ذلك أمر مردود، إذ الحق والصواب أن معانى هذه الصفات تنقسم إلي محمود ومذموم وأن المذموم منها يرجع إلي الظلم والكذب، فما يذم منها إنما يذم لكونه متضمنًا للكذب أو الظلم أولهما جميعًا، وهذا هو الذى ذمه الله تعالي.. وما كان منها بحق وعدل ومجازاته علي القبيح فهو حسن محمود، فإن الماكر والمخادع إذا فعل ذلك بباطل وظلم حسن من المجازى له أن يخدعه بحق وعدل، وذلك بأنه إذا مكر المعاند أو استهزأ ظالمًا متعديًا كان المكر والاستهزاء به عدلًا حسنًا، هذا بالنسبة للأمر المعنوى.

أما اللفظى فإن هاهنا ألفاظًا تطلق علي الخالق والمخلوق، فإن كانت حقائقها توافق صفات المخلوقين وخصائصهم، فذلك منتف فى حق الله قطعًا وإلا فلا، فالذى فر إلي المجاز إنما كان لظنه أن حقائق ذلك مما يختص بالمخلوقين وأنه لا فرق بين صفة وصفة وفعل

وفعل، والحقيقة أن الأمر بخلاف ذلك[1].

فإذا ما وقفنا علي خطورة جعل الصفة من المجاز، وما يترتب علي ذلك من مخالفة لأدلة العقل والنقل وخروج علي إجماع السلف، وعرفنا الدوافع وراء القول بالمجاز فى الصفات والأدلة علي بطلانها، أدركنا حقيقتين هامتين تجدر الإشارة إليهما:

الحقيقة الأولي: هو خطأ ما توارثه علماء البلاغة وغيرهم من وقوع المجاز فى آيات المجازاة التى تحوى مشاكلة، سواء كان مجازًا مرسلًا أو بالاستعارة أو أى نوع من أنواع المجاز.. ففى قول الله تعالي: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ ﴾[آل عمران: ٥٤]، يذكر صاحب الإيضاح وكذا أصحاب الشروح- شروح التلخيص- أن الآية من قبيل المجاز المرسل لعلاقة السببية وسار علي دربهم جل علماء البلاغة ودارسيهم.

يقول الخطيب القزوينى فى هذه الآية: أنه سبحانه «تجوز بلفظ المكر عن عقوبته لأنه سببها»[2]، وبمثل هذا نطق أصحاب شروح التلخيص.. فهذا بهاء الدين السبكى- علي سبيل المثال- يعدد الاحتمالات التى يمكن أن تُحمل عليها هذه الآية فيقول: «قيل: مجاز كذلك، من إطلاق المسبب علي السبب، وقيل: من مجاز المقابلة،

(1) ينظر: الصواعق المرسلة ص.٣١٠ :٣٠٦

(2) الإيضاح للقزويني.٤/٣٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ويفسده قوله تعالي: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٩٩]، فإنه لم يذكر قبله ولا بعده مكر الآدمى فلا مقابلة[١].

وهم – كذا من سار علي دربهم – غير محققين فى ذلك، إذ القول بالمجاز آيًا كان مسماه هو إخراج للصفة عن ظاهر معناها، وفى ذلك ما فيه من الأخطاء الشرعية المتعلقة بالعقيدة ويكفى من ذلك مخالفة إجماع أهل السنة والجماعة وسلف الأمة وفيهم يقول ابن تيمية رحمه الله: «وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة وما ورد من الحديث ووقفت من ذلك علي ما شاء الله تعالي من الكتب الكبار والصغار، أكثر من مائة تفسير فلم أجد إلي ساعتى هذه عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئًا من آيات الصفات وأحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المعروف»[٢].

وعلي ذلك فإن القائلين بإخراج الصفات عن ظاهرها، متأثرين- علموا أو لم يعلموا- بما تكلفه المشبهة والنافين لصفات الله سبحانه، وبما أملاه عليهم مذهبهم الباطل القائل بتأويل الصفات، ومرادهم منه «صرف اللفظ عن ظاهره وهذا- للأسف- هو الشائع فى عرف

---

(١) ينظر: شروح التلخيص.٤/٣٨

(٢) مجموع الفتاوى.٦ /٣٩٤

المتأخرين من أهل الأصول والفقه»[1].

أقول: إن القائلين بذلك أضافوا إلي التجوز فى الصفات ما يؤكده، فذكروا أن حمل الصفة علي الحقيقة إنما هو احتمال ضعيف، وجاءوا بصيغة التضعيف فذكر الخطيب بعد أن جزم فى الآية بالمجاز المرسل لعلاقة السببية قائلًا: «قيل: ويحتمل أن يكون مكر الله حقيقة لأن المكر هو التدبير فيما يضر الخصم وهذا محقق من الله تعالي باستدراجه إياهم بنعمه مع ما أعد لهم من نقمه»[2]، وبمثل ذلك أيضًا نطق أصحاب الشروح.

والحق فى ذلك علي ضوء ما خلصنا إليه أن هذه الآية- وكذا ما كان علي شاكلتها من آى المجازاة- لابد من حملها علي الحقيقة، وهى من المشاكلة فى الصميم، ووقوعها فى الصحبة إنما جاء من ناحية ورود هذه الصفة وما جاء علي شاكلتها علي معنيين: أحدهما جائز فى حقه لأنه يحمل معني المجازاة بالحق والعدل وهو مستحسن ومقبول، والثانى قبيح يليق بالمعاندين من البشر وهو الذى يتضمن معني الظلم والكذب أو هما جميعًا.. والجمع بينهما هو من المشاكلة والوقوع فى الصحبة.

---

(1) الصواعق المرسلة ص١١

(2) الإيضاح للخطيب القزويني ٤/ ٣٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أما الحقيقة الثانية: فهى ما وقع فيه ابن القيم الجوزية، فهو علي الرغم من أنه قد خص كتابه (الصواعق المرسلة علي الجهمية والمعطلة) الذى يحمل بين دفتيه ما يناهز الأربعين وستمائة صفحة- من أوله إلي آخره فى الذب عن صفات المولي سبحانه والرد علي شبه المعطلة والمتأولة، والقائلين بالمجازية فى الصفات وخروجها عن ظاهر معناها، وعلي الرغم من أنه صدّر الجزء الثانى من كتابه هذا وعنون له بـــ (فصل فى كسر الطاغوت الثالث الذى وضعته الجهمية لتعطيل حقائق الأسماء والصفات وهو طاغوت المجاز)[1]، واستطاع تحطيمه من خمسين وجهًا ذكرنا منها نتفًا فى طيات بحثنا هذا.

إلا إنه رحمه الله فاته ذلك الأمر أثناء حديثه فى (الفوائد المشوق إلي علوم القرآن)[2] عن المجاز وأقسامه، فذكر فى القسم الثانى منه وتحت عنوان (إطلاق السبب علي المسبب) قول الله تعالي ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ وقال معلقًا: «تجوّز بلفظ المكر عن عقوبته لأنه سبب لها»[3].

ومما يدل علي أنه يقصد من ذلك المجاز قوله بعدها وبصيغة

---

(1) الصواعق المرسلة ص ٢٨٤وما بعدها.

(2) إن صح نسبته إليه وان كنت أكاد أجزم أنه ليس له.

(3) الفوائد المشوق إلى علوم البلاغة ص١٦، ١٧.

التضعيف: «ويحتمل أن يكون الله حقيقيًا لأن المكر هو التدبير فيما يضر الخصم خفية وهو متحقق من الله تعالي لاستدراجه إياهم بما أجري عليهم من نعمه مع ما أعد لهم من نقمه»[1]، كما ذكر ذلك فى قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾[النساء: ١٤٢]، فقال بأن «فيه مذهبين: أحدهما أنه من مجاز الحذف تقديره: إن المنافقين يخادعون رسول الله صلي الله عليه وسلم خادعهم، فيكون خداعهم رسول الله صلي الله عليه وسلم حقيقيًا، وأما خدع الله إياهم فيجوز أن يكون من مجاز التعبير بلفظ السبب علي المسبب- أى السببية وهى إحدي علاقات المجاز المرسل.. ويجوز أن يكون من مجاز التشبيه، ومعناه أنه عاملهم معاملة المخادع بما أخفاه عنهم من إرادة إضرارهم وإهلاكهم»[2]، فيكون بذلك قد أدخلها فى باب الاستعارة وعلاقة المشابهة، كذا بما يعنى تأثره فى هاتين الآيتين بالخطيب وغيره من شراح التلخيص - مع أنه هو الذى قوض دعوي المجازية فى الصفات فى كتابه (الصواعق المرسلة) وبيّن أن هذه الصفات لا تذم علي الإطلاق ولا تمدح علي الإطلاق، وأن الجانب المحمود منه هو الذى يليق به سبحانه لأنه يحمل معني المجازاة بالحق والعدل وهو أمر

(١) الفوائد المشوق إلى علوم البلاغة ص١٦، ١٧٠

(٢) الفوائد المشوق إلى علوم البلاغة ص١٦، ١٧٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

مستحسن فى جميع العقول، ومقرر فى شرائع السماء وقوانين الأرض وأعراف الناس ولا خلاف عليه بين البشر[1].

بل إنا نراه فى كتاب (الفوائد) يعود ويرجع عما قاله أولا، ويقرر أن المكر الذى وصف به نفسه، هو: مجازاته للماكرين بأوليائه ورسله، فقابل مكرهم السيء بمكره الحسن، فيكون المكر منهم أقبح شيء من تلك المخادعة والمكر»[2]، وكان عليه أن يسير علي هذا النهج فيجعله طريقًا واحدًا بدلًا من أن يتردد بين الشيء ونقيضه.

خلاصة الأمر:

أن المشاكلة هنا فى صفات المجازاة لها سَمْتٌ معين ونمط خاص يختلف عنها فى غير الصفات، ففى غير صفات المجازاة يقع اللفظ مكان غيره علي جهة المصاحبة فيجامع المجاز المرسل وعلاقة غير المشابهة أو الاستعارة وعلاقة المشابهة، أما فى صفات المجازاة فإن اللفظ يقع مكان غيره وفى مصاحبته لكن علي جهة الحقيقة ذلك أن استهزاءه سبحانه بالمستهزئين، وسخريته بالساخرين، ومكره بالماكرين، وكيده للكائدين، هو منه بحق، والله سبحانه يوصف بذلك

---

(1) ينظر: الصواعق المرسلة ص ٣٠٧ وما بعدها.

(2) الفوائد لابن القيم ص.١٤٥

علي الوجه الذى يليق بجلاله وعظمته، ولا يشابه ما يقع من الخلق لأن أعداءه فعلوا هذه الأفعال معاندة للحق وكفرًا به، وإنكارًا له، فعاملهم سبحانه بمثل ما فعلوا علي وجه لا يشابه فيه أفعالهم، ﴿وَمَاظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[النحل: ٣٣]، «وكما أن ذاته سبحانه لا تشبه الذوات فكذا صفاته لا تشبه الصفات، وأن صفات هذا يخصه وصفات هذا يخصه»[١].. «وحاصل تحرير الحق فى مسألة آيات الصفات علي وجه لا إشكال فيه مبنى علي أمرين:

- الأول: الإيمان بكل ما ثبت فى الكتاب العزيز والسنة الصحيحة علي وجه الحقيقة لا المجاز.
- الثانى: نفى التشبيه والتمثيل عن كل وصف ثبت لله فى كتاب أو سنة صحيحة»[٢].

والله نسأله سبحانه ألا يزغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يلهمنا الصواب فى القول والعمل.. اللهم أمين.

(١) الفتوى الحموية لابن تيمية ص١٣، ١٤.

(٢) منع جواز المسألة للشنقطي ص٥٣، ٥٤.

الخاتمة

الخاتمـــــــــــــــة

وبعد:

فتلك هى المشاكلة فى القرآن الكريم، وتلك هى مواقعها وأثرها وتأثرها، وهذه أغراضها التى تناولت جل ما تكلم فيه القرآن الكريم بما لها من تصوير جمالى وأداء فنى وتأثير نفسى.. ومما لا ريب فيه أن القرآن الكريم قد نزل ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[النحل: ٨٩]، ﴿وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟﴾[النور: ٣٤]، ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران: ١٣٨]، [المائدة: ٤٦]. ومن هنا تنوعت موضوعاته.. فجاءت مشتملة علي الأصول الاعتقادية والأمور الشرعية ومسائل الأخلاق وقصص الأنبياء وتاريخ الأمم، وهذه الأشياء لم تكن فى معظمها معروفة فى لغة العرب، ولم يتناولها عربى فى العصر الجاهلى لا جملة ولا تفصيلًا، لا فى قصيدة ولا فى خطبة، ولا فى مَثَلٍ أو وصية ولا فى غير ذلك من فنون الأدب العربى الجاهلى، ولما لم تتسع اللغة بمدلولات ألفاظها لتلك الموضوعات الواسعة المتنوعة، كان من الضرورى أن يأتى ذلك فى ثوب فنى ليبقي له التأثير فيؤدى بذلك مهمته فى الحياة، إذ إن من المسلم به فى الدراسات النقدية أن الأسلوب لكى يحقق هدفه فى التأثير لابد أن يتجنب تقرير المعانى بطريقة مجردة، ويتحاشي أداء

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الأفكار بشكل مباشر، وليس أمام ذلك من خيار إلا أن تتخذ هذه المعانى من تنوع التعابير سبيلًا، ومن تعدد الأساليب طريقًا إلي تجسيم تلك المعانى وتصوير الأفكار.

والمجاز بمختلف أنواعه- والمشاكلة واحدة منها- هو محور هذا التنوع ومصدره، وقد أدركنا ما للمشاكلة من قدرة علي التصوير الأدبى والفنى لمصائر العاصين والمعاندين، وذلك من خلال حديثنا عن مواقعها ومحاسنها فى القرآن الكريم، وهنا تكمن دواعى وقوع المشاكلة فى القرآن الكريم، فهى دواعى يستدعيها التعبير عن المعانى المختلفة والموضوعات المتعددة التى جاءت بها آى الذكر الحكيم بهذا النمط الأسلوبى.

ولقد توصلتُ من خلال بحثى هذا إلي عدة حقائق تجدر الإشارة إليها:

أولًا - أن غاية القرآن الكريم إنما هى توجيه البشر وإصلاح نفوسهم وأن هذه الغاية لابد أن تتمثل فى أسلوب فنى أخّاذ، يهدف إلي لمس البداهة وإيقاظ الإحساس لينفذ منهما مباشرة إلي البصيرة ويتخطاها إلي الوجدان، وتكون مادته هى المشاهد المحسوسة والحوادث المنظورة، والحقائق البديهية الخالدة التى تتفتح لها البصيرة المستنيرة وتدركها الفطرة المستقيمة.

ثانيًا - أن المشاكلة قد توفرت فيها كل هذه العناصر من جمال الأسلوب وروعة الأداء، بل والأكثر من هذا فقد نفذت المشاكلة فى كل موضوعات القرآن ومعانيه وضربت فيها بسهم وافر.. فعن الأصول الاعتقادية وصفات المولي سبحانه تحدثَتْ الآيات: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ﴾[البقرة: ١٣٨]، ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾[النساء: ١٤٢]، ﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾[إبراهيم: ٤٦]، ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾[الكافرون: ٦].. وعن الأمور الشرعية والأحكام الفقهية تكلمَتْ: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ﴾ [الشوري: ٤٠]، ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧].. وعن مسائل الأخلاق أفْصحَتْ: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣]، ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].. وبشأن قصص الأنبياء أوضحَتْ- ففى حق عيسي عليه السلام نزل ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، وفى تآمر الكفار بسيد الخلق صلي الله عليه وسلم: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وفى هود عليه السلام: ﴿قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾[هود: ٣٨]، وفى يوسف عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف: ٢٤]، وفى صالح عليه

السلام: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾[النمل: ٥٠]، وبحق موسي عليه السلام: ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ ﴾ [الصف: ٥].. وعن التحذير من مصائر هؤلاء المعاندين وأمثالهم أنذرَتْ ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡ ﴾[الحشر: ١٧].. وفى الحديث عن مصائر الأمم المكذبة وأخذ العبرة منها أسهمَت: فعن المنافقين جاء قول الله تعالي: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾ [البقرة: ١٤، ١٥]، وعن المتآمرين علي عيسي عليه السلام: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٤]، وفى قوم سبأ: ﴿وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ﴾ [سبأ: ١٦]، وعن كفار مكة: ﴿ أَمۡ يُرِيدُونَ كَيۡدٗاۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلۡمَكِيدُونَ ﴾[الطور: ٤٢]، ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴾ [الطارق: ١٥، ١٦].. وعن جزاء يوم القيامة وأهوالها أنذرَتْ وأوعدَتْ: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه: ١٢٦]، ﴿ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾[المطففين: ٣٦].

فكل هذه الأساليب فى المشاكلة ومجيئُها فى صورة معبرة، تبين مدي أهميتها وضرورتها فى لغة القرآن.. «ومعلوم أن التصوير هو الأداة المفضلة فى أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن

المعني الذهنى والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنسانى والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التى يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة، فإذا المعني الذهنى هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنسانى شاخص حى، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية، فأما الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر فيوردها شاخصة حاضرة فيها الحياة وفيها الحركة[1].. وبكل ذلك جاءت المشاكلة.

ثالثًا- أما عن الحقيقة الثالثة التى خرجتُ بها من هذه الدراسة فهى أن المفسرين لكتاب الله سبحانه وعلي رأسهم أبو حيان والرازى والطبرى والزمخشرى.. هم من أوعي الناس بحركة البيان، فلربما كان المفسر لغويًا ونحويًا وأوتى من علوم البلاغة ما لم يتوفر فى المتخصصين فى هذه العلوم، ففى مبحث المشاكلة نلحظ أن طبقة المفسرين قد أثْرَوا بطريق أو بأخري الدرس البلاغى حتي نقل أرباب البلاغة والبيان فى بعض الأحايين عباراتهم دون ما زيادة تذكر.

رابعًا - توصلتُ إلي ضرورة الوقوف عند صفات الله سبحانه علي ما هى عليه، دون اللجوء إلي القول بمجازيتها أو إخراجها عن ظاهرها، وناقشت فى ذلك ابن القيم حين ذب بكل قوة عن هذا الأمر العقدى

---

(1) التصوير الفني في القرآن الكريم .لقطب ص١٨٤،١٨٥.

ثم ناقض نفسه بعد ذلك عندما تناول هذا الجانب من الناحية التطبيقية، ورددتُ فى ذلك علي الخطيب القزوينى، بل وعلي جل علماء البلاغة والبيان ممن أجمعوا علي القول بالتجوز فى أمثال قول الله تعالي: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء: ١٤٢] وقوله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ﴾[آل عمران: ٥٤] وقوله صلي الله عليه وسلم: (إن الله لا يمل حتي تملوا)، وسقتُ من الأدلة علي ذلك ما فيه الكفاية، وبينت أن هذا النوع من المشاكلة بالذات يجب حمله علي الحقيقة دون ما تشبيه وعلي الوجه اللائق بجلاله جل وعلا.

خامسًا - كما توقفت خلال ما تعرضت له فى مبحث تطور المشاكلة علي مدي العلاقة التى كانت تربط بين كثير من ألوان البديع والتى يجمع بينها وبين بعضها وجه شبه، كالجناس والمشاكلة والمزاوجة والمقابلة، وكيف كان ذلك كله ممزوجًا فى بداية الأمر مع مسائل البيان حتي جاء من يميز بينها ويفصِّل القول فى أقسامها وأنوعها.

سادسًا - أظهرت اقسامًا لمشاكلة كانت مطمورة فى الشروح والحواشى ولم يُكتب لها الظهور إلي وقت قريب، وبيَّنت أن أقسام المشاكلة يجب تناولها بشكل يوضح علاقة المصاحبة كواحدة من علاقات المجاز المرسل، ويُفَصِّل القول فى أنواع هذه المصاحبة من

ضدية وتماثل وتلبس وغيرها، كما بيّنتُ أن من أقسام المشاكلة ما يجب حمله علي الحقيقة وهى صفات المجازاة التى أثبتها الله سبحانه لنفسه وأثبتها له سيد الخلق صلي الله عليه وسلم، وبذلك أكون قد رددت شَتات كثير من أنواع المشاكلة كانت متفرقة ومبعثرة، وصوبتَ ما كان متعلقا فيها بالصفات بما لا يتعارض مع إدراجه فى باب المشاكلة.

سابعًا – عمدتُ إلي جميع ما ذكر فى القرآن من مشاكلة بطريقة علمية مبنية علي الحصر، فقاربتُ بين أنواعها، وأدنيت بين أغراضها، ومازجت بين معانيها، وجمعت بين أشتاتها، مرة من خلال جمع كل ما جاء فى المعني الواحد مبينًا ما فيها من روعة أداء وجمال تصوير، وجعلت ذلك فى الفصل الثانى من الباب الأخير تحت عنوان (محاسن المشاكلة فى القرآن الكريم).. ومرة أخري من خلال جمع ما جاء فيها من أغراض فجعلت كل غرض منها علي حدة وذلك علي نحو ما جاء فى الفصل الأول منه وجعلت ذلك تحت عنوان (مواقع المشاكلة فى القرآن الكريم) كل ذلك من خلال منهج تطبيقى عملى.

وإن كان لى من توصيات فى نهاية حديثى عن المشاكلة، فهى توصية لا أبغى بها إلا وجه الله سبحانه، ألا وهى ضرورة إعادة النظر فى دراسة جانب التوحيد لله فيما يتعلق بصفاته وذاته، هذا النوع من

شبكة الألوكة - قسم الكتب

التوحيد الذى عده بعض من كتب فى العقيدة أساسا ينبنى عليه سائر أنواع التوحيد الأخري من توحيدٍ للألوهية وتوحيد للربوبية، وعلل لذلک بأن ضمن صفات الله سبحانه كونه إلها وكونه ربا وخلص من هذا إلي أن توحيد الله فى ذاته وصفاته وأسمائه هى أساس عقيدة التوحيد(١).

وحري بنا ونحن ننوه إلي ضرورة هذا الأمر أن نعيد النظر فى مناهج الدراسة لنسَيَّر ما يخالف منها عقيدة السلف فنحيرها عليه ونرجعها إليه.. وأخص بالذكر هنا ما جاء فى باب المشاكلة من أمثال ما ذكر الخطيب ومن تأثر به من التجوز فى صفات المجازاة من (مكر وخداع) وخلافه، إذ إن ذلک عاقبته وخيمة، ومسلماته خطيرة، ونتائجه فظيعة علي نحو ما أشرنا وأجملنا.

كما أخص بذلک ما يدرس فى الأزهر- كعبة العلم ومعقل القرآن وحصن الإسلام- من مناهج تدرس علي طلابه ومن عقائد يجب تصحيحها.. فليس من المعقول أن ندرس لأولادنا منذ نعومة أظفارهم عقيدة التأويل فى الصفات وقصرها علي سبع منها، وليس من المستساغ أن نجعلهم يحفظون أن «ما ورد من النصوص التى يوهم ظاهرها مشابهة الله تعالي للحوادث، مؤول ومصروف عن ظاهره،

(١) ينظر: دعوة التوحيد أصولها والأدوار التي مرت بها .د .محمد خليل هراس ص٧٠،٧١

فتحمل اليد فى قوله تعالي: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾علي القدرة، ويحمل الوجه فى ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ﴾علي الذات، ويحمل الاستواء فى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾علي الاستيلاء والملك.. وأن (جاء) فى قوله تعالي ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾مسند إلي فاعل محذوف وهو (أمر) أو (ملك) والمعني وجاء أمر ربك أو ملك ربك[1]

فكل هذا ليس من المقبول أن نعقد أذهان أبناءنا عليه وهم فى ريعان شبابهم، أو أن نريهم علي أن لله سبع صفات لا غير، علي نحو ما هى فى شرح البيجورى علي الجوهرة وفيها يقول صاحب الجوهر:

(وقدرة إرادة وغايرت

أمرًا وعلمًا والرضا كما ثبت

وعلمه ولا يقال مكتسب

فاْتَبِعْ سبيل الحق واطرح الريب

حياته كذا الكلام السمع

ثم البصر بذى أتانا السمع) [2].

وأن ما عداها لابد من بحث لها عن مخرج، حتي لا نكون مكذبين

---

(1) مذكرات التوحيد للشيخ حسين عبد الرحيم مكي ص ٦والمقرر على الصف الأول من المرحلة الإعدادية.

(2) شرح البيجوري على الجوهرة لإبراهيم البيجوري ص ٨١ :٧٠منهج العقيدة المقرر على المرحلة الثانوية.

لكتاب الله جاحدين لصفاته منكرين لآياته، وليس حيال ذلك إلا التأويل والتعطيل لهذه الصفات.

ليس من المعقول أن يحدث ذلك ونحن نعلم أن هذه الفكرة الخاطئة تضرب بجذورها فى أعماق التاريخ إلي عصر المعتزلة والجهمية والمشبهة وغيرهم من الذين ظهروا فى حقبةٍ كثر فيها الكلام عن صفات الله وأفعاله، حتي سُمِّي هذا النوع من العلوم بعلم الكلام.. وجميعنا يعلم أن السلف وأئمة الهدي قد درجوا علي الإقرار بكل هذه الصفات الله جل وعلا، والإثبات لما ورد منها فى كتاب الله وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم من غير تعرض لتأويل أو تعطيل أو تكييف أو تشبيه، وقد أُمرنا بالاقتفاء بآثارهم والاهتداء بهداهم، وحَذِّرنا المحدثات وأُخبرنا أنها من الضلالات فقال صلي الله عليه وسلم: (عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)[1]

يقول الشوكانى رحمه الله: «إن مذهب السلف من الصحابة- رضى الله عنهم والتابعين وتابعيهم، هو إيراد أدلة الصفات علي ظاهرها من

(1) رواه أحمد في المسند وأبو داود في السنة وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

دون تحريف لها ولا تأويل متسعف لشيء منها»[1].

فإذا ما علمنا ذلك، وعرفنا أن مذهب التأويل وقصر الصفات علي سبعٍ منها قد تراجع عنه أصحابها من الأشاعرة فيما روي من أن أبا الحسن الأشعرى وقف بالمسجد الجامع بالبصرة مناديًا بأعلي صوته: «من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه نفسى، أنا فلان بن فلان كنت أقول بخلق القرآن وأن الله لا يري بالإبصار، وعن كلٍّ ذلك أنا تائب مقلع»[2] وألف علي إثر ذلك كتابيه (الإبانة) و(مقالات الإسلاميين).. وعرفنا ما أورده ابن القيم من أمثلة عشرة أبطل فيها دعوي المجاز والتأويل فى صفات الله، كان أولها قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ وقد رد المجاز فيه من عشرة أوجه، ثم تناول قوله: (استوي العرش)، فرد القائلين بالمجاز فيه والتأويل من اثنين وأربعين وجهًا فى اثنتين وعشرين صفحة، ثم صفة اليد وردَّ علي متأوليها من عشرين وجها فى ست عشرة صفحة، ثم صفة الوجه من ست وعشرين وجها..[3] الخ.

إذا ما عرفنا كل ذلك أدركنا خطورة هذا الأمر من عقيدة التوحيد وعرفنا أنه من المفروض أن نعيد النظر لتكون عقيدتنا هى عقيدة سلف

---

(1) التحف في مذاهب السلف ص١٣.

(2) الفهرست لابن النديم ص ١٨١تحقيق فلوجل سنة١٨٧١ م.

(3) ينظر: الصواعق المرسلة لابن القيم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الأمة المستقاة من نبع الوحيين الصافيين كتابًا وسنة.

وإن كان بحثى قد ختم بهذه التوصية التى أرجو أن تجد آذانا صاغية لوضعها قيد البحث والتنفيذ، أود أن أنوه فى نهاية رسالتى هذه إلي أن المولي سبحانه أبى العصمة إلا لكتابه الكريم ولرسوله الأمين، وإذا كان فحول العلم الذين كرسوا حياتهم فى طلبه وتعلمه وتعليمه.. يظهر الخطأ فى كتبهم وحسبهم فخرًا أن تعد أخطاؤهم، فما بالنا وقد شغلتنا أموالنا وأهلونا وأصبح علمنا متعلقا بالارتزاق وبالشهادات، لا شك أننا أحق بالخطأ والوقوع فى الزلل.. ولكن يكفينى أن أكون قد بذلت فى ذلك قصاري الجهد، فإن كان من صواب، فمن الله وحده وبتوفيقه جل وعلا، وإن كانت الأخري فتلك طبيعة البشر وكل ابن ادم خطاء.

والله وحده نسأل أن يجبر تقصيرنا، وأن يسدد علي طريق الحق والخير خطانا، وألا يزغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يجعلنا خير خلف لخير سلف.. إنه علي ما يشاء قدير وبالإجابة جدير، وهو نعم المولي ونعم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

اسم السورة	رقم الآية	الآية	الصفحة
البقرة	٩	﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾	٩٢
	١٥،١٤	﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾	٢٣
	١٦	﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾	٥٤
	١٩،١٧	﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا﴾ ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾	١٧٦
	٢٦	﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا﴾	٣٥
	٣٠	﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾	٢١٢
	٦٧	﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾	٧٤
	٩٣	﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡ﴾	٢٠٥

٧٥	﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾	١٣٦	
٧٧	﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾	١٣٨	
١٩٩	﴿ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾	١٧٨	
١٩٩	﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾	١٧٩	
٢٩٨	﴿ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾	١٩٠	
٣٢٩	﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	١٩٣	
١٨	﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾	١٩٤	
٢٨٢	﴿ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡ ﴾	٢٣٧	
٥٦	﴿ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ ﴾	٢٨٦	
٢٤٨	﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا	٧	

آل عمران		﴿ تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ﴾	
	٨	﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا ﴾	٢٤٨
	٢٨، ٣٠	﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ ﴾	٦٧
	٥٤	﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾	٢٣
	٨٣	﴿ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾	٢٨٦
	٨٤	﴿ قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾	٢٨٦
	٨٥	﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ ﴾	٢٨٦
	١٥٣	﴿ فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ ﴾	٢٦٣
	١٧٨	﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ ﴾	٣١٢
	١٨٥	﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ ﴾	٣١٩
النساء	٨٩	﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ	٢٨٥

	سَوَآءً ۖ ﴾		
	﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾	١٤٢	٣٠١
	﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾	١٥٧	٢٥٢
المائدة	﴿فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾	١١	٢٣
	﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾	٦٤	٧٨
	﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾	٨٥	٢٦٣
	﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴾	١١٦	٢٣
الأنعام	﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾	٥٤،١٢	٥٠
	﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾	٤٤	١٧٦
	﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ	١١٠	٢٤١

	﴿ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾		
	﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾	١٦٠	٢٨٧
الأعراف	﴿ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا ﴾	٥١	٢٦٥
	﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾	٩٧،٩٩	٣٢٢
	﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾	١٤٦	٢٦١
	﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾	١٩٢	٢٥٠
	﴿ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾	١٩٥	٢١٧
الأنفال	﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾	١٨	٢١٧
	﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾	٣٠	٢٣٧
	﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم ﴾	٤١	٢٠٥

التوبة	٣٩	﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا﴾	٢٤٥
	٦٢	﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾	٢٠٥
	٦٤	﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ﴾	٢٤٠
	٦٥	﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾	٨٧
	٦٧	﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾	٢١٨
	٦٨	﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ﴾	٢٦٨
	٧٩	﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾	٢٢٢
	٨٥	﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا﴾	٢٤٦
	١٢٦	﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾	٢٢٥
	١٢٧	﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾	٢٦١

يونس	٢١	﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًاۚ﴾	٦٥
	٢٧	﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا﴾	٢٨٧
	٧١	﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ﴾	٤١
هود	٣٨	﴿قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾	٧٥
	٥٥	﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾	٢٤٢
	٥٧	﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔاۚ﴾	٢١٨
	١٠٢	﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ﴾	٢٤٤
يوسف	٢	﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	٣٠٢
	٢٣	﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾	٢٠١
	٢٤	﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ	٢٧٧

	مِن دُبُرٍ ﴾		
	﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ﴾	٢٨	٢٧٩
	﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا ﴾	٣٠	٢٧٨
	﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾	٣٢	٢٧٩
	﴿ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾	٥١	٢٧٩
	﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾	٨٢	٢٠٤
	﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾	٨٦	٢٤٢
	﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾	٨٧	٢٠٨
الرعد	﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ	٣٢	٢٤٤

	كَانَ عِقَابِ ﴾		
	﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ﴾	٤٢	٢٥١
إبراهيم	﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾	٣٣	٢٣٣
	﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾	٤٦	٣٢٩
النحل	﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾	٣٣	٣٢٧
	﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾	٨٩	٣٢٨
	﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ﴾	١٢٦	٦٧
الإسراء	﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ ﴾	٣٧	٢٥٧
	﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾	٨٤	١٣

الكهف	٢٩	﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟﴾	٢٧٧
	٦٣	﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾	٣١٧
	٧٣	﴿لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ﴾	٣١٧
مريم	٩٠	﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾	٢١٢
طه	١٢٦	﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾	٢١٦
	٥٢	﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾	٢٦٥
الحج	٤٠	﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾	٢٤٩
	٤٨	﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ﴾	٢٤٤
	٦٠	﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ﴾	١٠٦
	٧٣	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا﴾	١٨٧
المؤمنو	٥٥،٥٤	﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ	٢١٩

ن		﴿ وَبَنِينَ ﴾ ﴿ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾	
النور	٣	﴿ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾	٢٠٩
	٢٠	﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾	٢٧٨
	٤٥	﴿ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ، وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ ﴾	١٣٠
النمل	٤٩	﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ، وَأَهْلَهُ، ﴾	٢٥٥
	٥٠	﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾	٧٩
	٥١	﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ ﴾	٢٣٧
العنكبوت	٤١	﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ ﴾	١٨٧
الروم	١٠	﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا ﴾	٢١٤

	٤٤	﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ ﴾	٨٦
	٤٧	﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ ﴾	٢٥١
لقمان	١٣	﴿ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾	٢٧٤
	٢٤	﴿ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴾	٢١٨
السجدة	٥	﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾	١٦٦
	١٤	﴿ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ ﴾	٦٥
الأحزاب	٥٣	﴿ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴾	٣٠٤
سبأ	١٦	﴿ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ ﴾	٢٧٦
فاطر	٤٣	﴿ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئِۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ ﴾	٢٦٠
الصافا	٧١،٧٢ ،	﴿ وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ	٢٥٠

ت	٧٣	﴿ ١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾	
ص	٥٨	﴿ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴾	١٢
الزمر	٨	﴿ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ ﴾	٣١٨
	٧٠	﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾	٨٧
غافر	٤٠	﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾	٢٨٧
فصلت	٤٠	﴿ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾	٢٢٠
الشوري	١١	﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾	٣١٨
	٣٩	﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾	١٩٨
	٤٠	﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾	١٩٦
	٤١	﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾	١٩٦

	﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ ﴾	٤٢	١٩٦
	﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾	٤٣	١٩٦
الزخرف	﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾	٣	٣٠٢
الدخان	﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾	٤٩	٢٠٣
الجاثية	﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾	١٣	٢٣٣
	﴿ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾	٣٤	٢٦٥
محمد	﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾	٧	٢٤٩
الفتح	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾	١٠	٢٠٥
	﴿ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾	٢٩	٧٥
الذاريا	﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ	٣٧	٤٣

ت			
		﴿ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾	
الطور	٤٢	﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾	٤٢
الرحمن	٦٠	﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾	٨٦
الواقعة	١٧	﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾	٤٤
الحديد	١٣	﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾	٢٣٥
المجادلة	١٨	﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ﴾	٢٣٤
	٢٢	﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾	٢٠٩
الحشر	٩	﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾	٤١
	١٩	﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ﴾	٢٦٥
الصف	٥	﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾	٢٤٨

الملك	١٤	﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾	١٩٥
القلم	٩	﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾	٢٨٥
	٤٤،٤٥	﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾	٢٤١
المرسلات	٣٩	﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾	٢٢٢
النبأ	٢٤	﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾	٢٢١
	٣٠	﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾	٢٢١
المطففين	٢٩	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ﴾	٧٤
	٣٤	﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾	٧٤
	٣٦	﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾	٢٦٣
الطارق	٦	﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾	٥٣
	١٥،١٦	﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾	٢١٨

القارعة	٧	﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾	٥٣
التكاثر	٦،٥	﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾	٢٧٨
الكافرون	٣،٢	﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾	٢٨٧
	٥	﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾	٢٨٧
	٦	﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾	٢٢٠

فهرس الأحاديث النبوية

الحرف	الحديث	رقم الصفحة
الألف	(إذا رأيتَ الله يعطى العبد فى الدنيا علي معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج)	٢٠٩
	(أرأيتَ لو كانت لك إبل فجدعت هذه فقلت صرماء، وتشق هذه، وتقوت: بحيرة، فساعد الله أشد وموساه أحد..)	٣٩
	(أما أحدهم فآوي إلي الله فآواه الله.. الخ)	١١٠
	(أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى..)	١١٦
	(إن الله حييٌّ كريم يستحى إذا رفع إليه العبد يديه أن يردهما صفرًا).	٣٠٧
	(إن الله لا يمل حتي تملوا)	٦٩

	(إن الله يستحيى من ذى الشيبة المسلم)	١٧٥
	(إن المهل هو: عكر الزيت إذا قرب منه سقطت فروة رأسه فيه)	٢٧٨
	(أنت كما أثنيت علي نفسك..)	١٧٠
	(إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم...)	١١٣
التاء	(تبايعونى علي أن لا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرفوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم...)	١١٤
الجيم	(جاءت أم سليم إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقالت :يا رسول الله إن الله لا يستحيى من الحق فهل علي المرأة من غسل إذا احتلمت؟)	١١١
الحاء	(الحرب خدعة)	٣١٢
الراء	(الرجل يعمل بعمل أهل الجنة حتي ما يكون بينه وبينها إلا ذراع.. الخ)	٢١٠
اللام	من دعائه صلي الله عليه وسلم :	٢٦٢

	(اللهم امكر لى ولا تمكر بى)	
	من دعائه صلي الله عليه وسلم (اللهم مقلب القلوب ثبت قلبى علي دينک..)	٣١٥
	قال سعد بن عبادة :(لو رأيت رجلًا مع امرأتى لضربته بالسيف غير مصفح.. الخ) ..	١١٥
الميم	(ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتابه ويتدارسون فيما بينهم إلا حفتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة..الخ	١١٠
	(ما مِن رجل قرأ القرآن فنسيه إلا لقى الله يوم يلقاه وهو أجزم)	٢٦٧
	(من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه..) إلخ	١١٨
	(مِن الكبائر: الأمن من مكر الله)	٢١٠
	(مَن بلّغ ذا سلطان حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبّت الله تعالي قدميه	٢٥١

	علي الصراط يوم القيامة)	
الواو	وقف النبى صلي الله عليه وسلم علي حمزة يوم استشهد فنظر إلي منظر لم ينظر إلي شيء قط كان أوجل لقلبه منه.. الخ	٢٨٠
	(وما زاد الله تعالي عبدًا بعفو إلا عزاً)	١٩٨
الياء	(يا عبادى إنكم لن تبلغوا نفعى فتنفعونى ولن تبلغوا ضرى فتضرونى) ..	٢١٧
	يقول تعالى للعبد يوم القيامة :(ألم أزوجك؟ ألم أكرمك؟ ألم أسخر لك الجبل والإبل ..الخ)..	٢٦٧

فهرس المصادر والمراجع

١) الإتقان فى علوم القرآن، لجلال الدين بن عبد الرحمن السيوطى طبعة الحلبى القاهرة.

٢) أثر النحاة فى البحث البلاغى، د. عبد القادر حسن- دار نهضة مصر

٣) أسرار البلاغة، للشيخ عبد القادر الجرجانى- شرح د. محمد عبد المنعم خفاجى مكتبة القاهرة شارع الصنادقية بميدان الأزهر بمصر سنة ١٣٩٩هـ- سنة ١٩٧٩م.

٤) الإشارات والتنبيهات فى علم البلاغة، لمحمد بن على بن محمد الجرجانى- تحقيق د. عبد القادر حسين- دار نهضة مصر سنة ١٩٨٢م.

٥) أضواء علي متشابهات القرآن، للشيخ خليل ياسين دار ومكتبة الهلال ببيروت.

٦) الأطول- شرح التلخيص للعصام، المطبعة العامرة سنة ١٢٨٤هـ

٧) إعجاز القرآن، لأبى بكر محمد بن الطيب الباقلانى تحقيق السيد أحمد صقر دار المعارف سنة ١٩٦٣م.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٨) أمالى المرتضي، غرر الفوائد ودرر القلائد، للشريف المرتضي علي بن الحسين العلوى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب عيسي الحلبى ط١ سنة ١٣٧٣ه- سنة ١٩٥٤م.

٩) أهم المصطلحات البلاغية فى القرنين الثالث والرابع الهجريين وتطورها. دكتوراه لمحمد عبد الرحمن شعبان عبد ربه، إشراف. أ. د صادق إبراهيم خطاب سنة ١٤٠٣ه، سنة ١٩٨٣م كلية اللغة العربية رقم ٣٠٠٦.

١٠)أوضح المسالك إلي ألفية ابن مالك لابن هشام الأنصارى، طبعة المكتبة التجارية الكبري بمصر تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد.

١١)الإيضاح للخطيب القزوينى شروح التلخيص.

١٢)البحث البلاغى فى الربع الأول من تفسير ابن عطية دكتوراه عبد الرزاق عبد العليم بربان إشراف د. عبد العظيم المطعنى سنة ١٤٠٠هـ- سنة ١٩٨٧م.

١٣)البديع لابن المعتز: تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجى. دار العهد الجديد للطباعة الطبعة الثانية سنة ١٩٥٨م.

١٤)بديع القرآن لابن أبى الأصبع الطبعة الثانية تحقيق د.

حفنى محمد شرف. دار نهضة مصر للطبع والنشر.

١٥) بدائع الفوائد، لابن القيم الجوزية الطبعة الثانية سنة ١٣٩٢ه مكتبة القاهرة بالأزهر القاهرة

١٦) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح فى علوم البلاغة للشيخ عبد المتعال الصعيدى- الطبعة الرابعة- مطبعة مكتبة الآداب.

١٧) البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى د. محمد أبو موسي ط- دار الفكر.

١٨) البلاغة تطور وتاريخ. د. شوقى ضيف الطبعة الثالثة- دار المعارف- القاهرة.

١٩) البلاغة العربية تاريخها. مصادرها. مناهجها. د. علي عشرى زايد سنة ١٩٨٢م، مكتبة الشباب بالمنيرة- القاهرة.

٢٠) البلاغة فى تفسير أبى السعود، دكتوراه للشحات محمد عبد الرحمن سنة ١٤٠٤ه- سنة ١٩٨٤م رقم ١١٥.

٢١) البيان والتبيين، للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون ط مكتبة الخانجى سنة ١٩٧٥م.

٢٢) البيان فى غريب إعراب القرآن، لأبى البركات بن الأنبارى تحقيق د. طه عبد الحميد طه الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة ١٣٨٩ه- ١٩٦٩م.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٢٣)البيان عند الخفاجى فى كتابة عناية القاضى وكفاية الراضى. د. فريد محمد بدوى النكلاوى مطبعة الأمانة شبرا مصر سنة ١٤٠٤هـ- سنة ١٩٨٤م.

٢٤)تأويل مشكل القرآن لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة بشرح وتحقيق السيد أحمد صقر مكتبة ابن قتيبة دار إحياء الكتب العلمية عيسي الحلبى- القاهرة.

٢٥)تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهرى- تحقيق أحمد عبد الغفور عطا دار العلم للملايين بيروت طبعة ثانية سنة ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٢٦)تاج العروس من جواهر القاموس شرح القاموس المحيط للإمام اللغوى سيد محمد مرتضي الزبيدى، دار ليبيا للنشر والتوزيع بنغازى- شرح القاموس.

٢٧)تحرير التحبير فى صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبى الأصبع المصرى، تحقيق د. حفنى محمود شرف، المجلس الأعلي للشئون الإسلامية بالقاهرة سنة ١٣٨٣هـ- سنة ١٩٦٣م.

٢٨)التحف فى مذاهب السلف للإمام الشوكانى شريف هزاع دار فجر للتراث - طبعة أولي سنة ١٤١١ - ١٩٩٠.

٢٩) التصوير البيانى د. محمد أبو موسي. مكتبة وهبة القاهرة.

٣٠) التعريفات للشريف علي بن محمد الجرجانى دار الكتب العلمية بيروت طبعة أولي سنة ١٤٠٣هـ- سنة ١٩٨٣م.

٣١) تفسير القرآن العظيم للإمام عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى.

٣٢) تفسير الخازن المسمي لباب التأويل فى معانى التنزيل دار المعرفة بيروت لبنان، الناشر محمد أمين المطبعة اليمينية سنة ١٣١٧هـ

٣٣) تفسير الجليل المسمي بمدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى المطبعة اليمنية سنة ١٣٢٦هـ- ١٩٠٨م.

٣٤) التفسير الكبير المسمي بالبحر المحيط لأبى حيان وبهامشه النهر الماد، والدر اللقيط مطبعة النهضة الحديثة الرياض.

٣٥) تفسير أبى السعود إرشاد العقل السليم إلي مزايا القرآن الكريم للإمام أبى السعود محمد بن محمد العمادى، دار أحياء التراث العربى بيروت.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٣٦) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة.

٣٧) تفسير الفاتحة والبقرة لأبى المظفر السمعانى دكتوراة دراسة وتحقيق إشراف د. محمد سيد طنطاوى سنة ١٤٠٢هـ

٣٨) التفسير الكبير تفسير فخر الدين الرازى- دار الفكر للطباعة والنشر بيروت.

٣٩) تقرير الشمس الأنبابى علي سعد الدين التفتازانى لتلخيص المفتاح مطبعة السعادة سنة ١٣٠٣هـ القاهرة.

٤٠) تلخيص البيان فى مجازات القرآن طبعة أولي للشريف الرضى تحقيق محمد عبد الغنى حسن، ط الحلبى بالقاهرة سنة ١٣٧٤هـ- ١٩٥٥م.

٤١) التمهيد لابن عبد البر، لشهاب الدين أبو عمرو دار الفكر طـ ١٤٢٣/١ - ٢٠٠٢.

٤٢) تنزيه القرآن عن المطاعن، للقاضى عبد الجبار، دار النهضة الحديثة بيروت- لبنان.

٤٣) جامع البيان فى تفسير القرآن، لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ط أولي سنة ١٣٢٣هـ المطبعة الأميرية.

٤٤) الجامع لأحكام القرآن، لأبى عبد الله محمد بن أحمد

الأنصارى مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٥٩هـ- سنة ١٩٤٠م.

٤٥)الجهود البلاغية، لجلال الدين السيوطى دكتوراه لعبد الرازق محمد محمود فضل- إشراف د. فريد النكلاوى سنة ١٤٠٦هـ- سنة ١٩٨٥م.

٤٦)حاشية الشهاب المسماة بعناية القاضى وكفاية الراضى علي تفسير البيضاوى- مطبعة الحلبى ط ثانية سنة ١٣٨٨هـ

٤٧) حاشية الشيخ عبد الحكيم السيالكوتى علي المطول، مطبعة إسلانبول سنة ١٣٠٦ه.

٤٨)حاشية الأنبابى الشهيرة بالتجريد فى علم المعانى والبيان والبديع، مطبعة السعادة سنة ١٣٠٣هـ

٤٩)حاشية الدسوقى علي شرح السعد من شروح التلخيص.

٥٠)حقائق التأويل فى متشابه التنزيل للشريف الرضى دار المهاجر بيروت لبنان.

٥١)خزانة الأدب وغاية الأرب لتقى الدين أبى بكر المعروف بابن حجة الحموى طبعة أولي المطبعة الخيرية بالجمالية القاهرة سنة ١٣٠٤هـ

٥٢)دراسات فى علم البديع. د. أحمد محمد علي ط أولي

شبكة الألوكة - قسم الكتب

سنة ١٤٠٦هـ- سنة ١٩٨٦م مطبعة الأمانة شبرا- القاهرة.

٥٣)ديوان المتنبى شرح أبى البقاء مطبعة الحلبى القاهرة سنة ١٣٩٠هـ- ١٩٧١م.

٥٤)ديوان المتنبى بشرح البرقوقى.

٥٥)ديوان المتنبى، دار صادر، بيروت.

٥٦)روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى لأبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسى البغدادى ط دار الفكر بيروت.

٥٧)سر الفصاحة تحقيق الشيخ عبد المتعال الصعيدى ط محمد علي صبيح سنة ١٣٧٢ه- ١٩٥٣م.

٥٨)شرح سعد الدين التفتازانى مع تقريرات الأنبابى مطبعة السعادة سنة ١٣٠٣هـ

٥٩)شرح عقود الجمان لجلال الدين عبد الرحمن السيوطى مطبعة الحلبى- القاهرة سنة ١٣٥٨هـ- سنة ١٩٣٩م.

٦٠)شرح المعلقات السبع. دار الجيل بيروت، وطبعات صبيح سنة ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م والتجارية الكبري سنة ١٣٩٠هـ- ١٩٧١م القاهرة.

٦١)الصاحبى لابن فارس تحقيق السيد أحمد صفر ط دار

أحياء الكتب العلمية بمصر سنة ١٩٧٧م.

٦٢)الصبغ البديعى فى اللغة العربية د. أحمد إبراهيم موسي، المكتبة العربية لوزارة الثقافة دار الكتب العربى للطباعة والنشر القاهرة سنة ١٣٨٨هـ- سنة ١٩٦٣م.

٦٣)الصحاح فى اللغة والعلوم تجديد صحاح العلامة الجوهرى تقديم الشيخ عبد الله العلايلى إعداد نديم مرعشلى. دار الحضارة العربية بيروت.

٦٤)صحيح البخارى ط الحلبى- القاهرة.

٦٥)الصناعتين لأبى هلال العسكرى تحقيق علي محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم دار أحياء الكتب العلمية بمصر سنة ١٩٧١م.

٦٦)صفوة التفاسير للشيخ محمد علي الصابونى.

٦٧)الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز لأمير المؤمنين يحيى بن حمزة بن على العلوى اليمني ط المقتطف بمصر سنة ١٣٣٤هـ سنة ١٩١٤م دار الكتب الخديوية.

٦٨)عروس الأفراح فى شرح تلخيص المفتاح للخطيب القزوينى لبهاء الدين السبكى شروح التلخيص.

٦٩)العقيدة النظامية لأبى المعالى ابن الإمام الجوينى ت د.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

محمد الزبيدى ط١، دار النفائس بيروت.

٧٠)العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده لأبى علي الحسن بن رشيق القيروانى الأذي حققه محمد محيى الدين عبد الحميد ط سنة ١٣٧٤هـ- سنة ١٩٥٥م مطبعة السعادة بمصر.

٧١)فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير للشوكانى محمد بن على بن محمد دار الفكر بيروت سنة ١٤٠٣هـ- سنة ١٩٨٣م.

٧٢)فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن حسن آل الشيخ تحقيق محمد حامد الفقى الطبعة السابعة سنة ١٣٧٧هـ-١٩٥٧م مكتبة السنة المحمدية.

٧٣)الفتوي الحموية لشيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية الطبعة الثالثة المكتبة السلفية سنة ١٣٩٨هـ نشر قصى محب الدين الخطيب.

٧٤)الفوائد الإمام شمس الدين محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية الناشر المكتبة القيمة حدائق القبة القاهرة.

٧٥)الفوائد، لمشوق إلي علوم القرآن لابن القيم الجوزية مكتبة المتنبى- القاهرة.

٧٦)القواعد المثلى فى صفات الله وأسمائه الحسني لمحمد

الصالح العثيمين دار الكتب السلفية- القاهرة

٧٧)القاموس المحيط لمجد الدين الفيروزبادى الطبعة الرابعة المكتبة التجارية الكبري أول ش محمد علي- القاهرة سنة ١٣٥٧هـ-١٩٣٨م.

٧٨)الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل فى وجوه التأويل لأبى القاسم جاد الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى بحاشية السيد الشريف الجرجانى وابن المنير دار الفكر للطباعة والنشر بالقاهرة.

٧٩) كشاف اصطلاحات العلوم والفنون للتهانوى ترجمة د. عبد المنعم محمد حسنين تحقيق د. لطفى عبد البديع، المؤسسة المصرية العامة للتأليف سنة ١٣٨٢ه- سنة ١٩٦٣م.

٨٠)الكليات معجم فى المصطلحات والفروق اللغوية لأبى البقاء أيوب بن موسي الحسينى الكفوى تحقيق د. عدنان درويش محمد المصرى دمشق سنة ١٩٧٦م منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومى.

٨١)لسان العرب- لابن منظور طبعة دار المعارف- القاهرة.

٨٢)ما اتفق لفظه واختلف معناه لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد النحوى عن النسخة الموجودة بخزانة بانكى بور (بتنة-

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الهند) ط السلفية القاهرة.

٨٣) المتنبى (رسالتنا إلي الطريق إلي ثقافتنا) د. محمود محمد شاكر- مكتبة الخانجى بمصر سنة ١٤٠٧ه- سنة ١٩٨٧م.

٨٤) متشابه القرآن للقاضى عبد الجبار بن أحمد الهمذانى تحقيق د. عدنان محمد زرزور- جامعة دمشق ط دار التراث القاهرة.

٨٥) المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير تحقيق: د. أحمد الحوفى د. بدوى طبانة، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ط سنة ١٣٨١ه- ١٩٦٢ مطبعة الرسالة.

٨٦) مجمع البيان فى تفسير القرآن لأبى علي الفضل بن الحسن الطبرسى- دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر بيروت.

٨٧) مجموع الفتاوي لشيخ الإسلام ابن تيمية مطبعة المدنى- القاهرة.

٨٨) المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية تحقيق الأستاذ أحمد صادق الملاح المجلس الأعلي للشئون الإسلامية ط أولي بمطبعة الأهرام التجارية سنة ١٣٩٤هـ

٨٩) محيط المحيط بطرس البستانى مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح بيروت سنة ١٩٨٣م.

٩٠)مختصر الصواعق المرسلة علي الجهمية والمعطلة لابن القيم الجوزية- مكتبة المتنبى القاهرة.

٩١) مختصر سعد الدين التفتازانى علي تلخيص المفتاح للخطيب القزوينى، شروح التلخيص.

٩٢)المسائل البلاغية فى تفسير ابن كمال باشا ماجستير، عبد الحافظ محمد عبد الحافظ سنة ١٤٠٥هـ- سنة ١٩٨٥م. رقم ١٢٧٩، كلية اللغة العربية- القاهرة.

٩٣)المصباح فى علم المعانى والبديع لبدر الدين أبى عبد الله محمد بن جمال الدين الأندلسى ط أولي سنة ١٣٤١هـ المطبعة الخيرية.

٩٤)المطول لسعد الدين التفتازانى علي تلخيص المفتاح للخطيب القزوينى بحاشية السيد الشريف مطبعة أحمد كامل سنة ١٣٣٠هـ

٩٥)معترك الأقران فى إعجاز القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى تحقيق علي محمد البجاوى. دار الفكر العربى- القاهرة.

٩٦)معارج القبول- للشيخ أحمد حافظ حكى ط دار الكتب السلفية- القاهرة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٩٧)معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص لعبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباس المطبعة المصرية سنة ١٣٠٤هـ

٩٨)معانى القرآن لأبى زكريا يحيى بن زياد الفراء تحقيق أحمد يوسف نجاتى، محمد علي النجار ط ثانية الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٠م.

٩٩)معجم ألفاظ القرآن الكريم لمجمع اللغة العربية الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر الطبعة الثانية سنة ١٣٩٠هـ- سنة ١٩٧٠م.

١٠٠) المعجم الوسيط. إخراج إبراهيم أنيس، د. عبد الحليم منتصر، محمد خلف الله أحمد، ط ثانية سنة ١٣٩٢هـ- سنة ١٩٧٢م.

١٠١) مفتاح العلوم لأبى يعقوب يوسف بن أبى بكر محمد بن علي السكاكى، ط أولي الحلبى سنة ١٣٥٦هـ- سنة ١٩٣٧م.

١٠٢) المفسرون بين الإثبات والتأويل فى آيات الصفات لمحمد بن عبد الرحمن المغراوى دار طيبة السعودية.

١٠٣) المفردات فى غريب القرآن لأبى القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الراغب الأصفهانى ط الحلبى- القاهرة.

١٠٤) من بديع لغة التنزيل: د. إبراهيم السامرائى كلية الآداب الجامعة الأردنية ط أولي سنة ١٤٠٤هـ- سنة ١٩٨٤ مؤسسة الرسالة.

١٠٥) منع جواز المجاز فى المنزل للتعبيد والإعجاز لمحمد الأمين بن محمد الشنقيطى مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع بالهرم- القاهرة.

١٠٦) مواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح لأبى يعقوب المغربى شروح التلخيص.

١٠٧) الوساطة بين المتنبى وخصومه لعلي بن عبد العزيز الجرجانى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوى عيسي الحلبى- القاهرة.

١٠٨) نقد الشعر لقدامة بن جعفر تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجى ط أولي مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة سنة ١٣٩٨هـ- سنة ١٩٧٨م.

١٠٩) النكت فى إعجاز القرآن لأبى الحسن علي بن عيسي الرمانى دار المعارف- المطبعة الثانية سنة ١٣٨٧هـ- سنة ١٩٦٨م تحقيق د. محمد زغلول سلام.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فهرس الموضوعات

المقدمـــــــــــة ٥
المشاكلة.. معناها، ١٢
أطوارها، دلالاتها ١٢
معنى المشاكلة وأقسامها ١٣
المبحث الأول..... ١٤
تمهيد..... ١٤
في معنى المشاكلة لغة واصطلاحًا..... ١٤
المبحث الثاني أقسام المشاكلة ٢٦
النوع الأول: ٢٧
النوع الثاني: ٤٤
الوقوع في صحبة ضده، وله هو الآخر صورتان:..... ٤٤
النوع الثالث:..... ٤٧
النوع الرابع: ٤٨
التطور التاريخي والفني للمشاكلة..... ٥٨
المبحث الأول..... ٥٩
تطور المشاكلة من الناحية التأريخية ٥٩
تمهيد ٥٩
أولًا: المشاكلة قبل القرن الثالث الهجري: ٦٠
ثانيًا: المشاكلة في القرن الثالث الهجري: ٦٠

١- المشاكلة عند أبي زكريا يحيي بن زياد الفراء: ت سنة ٢١٠هـ: ٦٠
٢- المشاكلة عند الجاحظ: ت سنة ٢٥٥هـ: ٦٤
٣- المشاكلة عند ابن قتيبة: ت سنة ٢٧٦هـ: ٦٥
٤- المشاكلة عند المبرد: ت سنة ٢٨٥ هـ: ٧٠
٥- المشاكلة عند عبد الله بن المعتز: ت سنة ٢٩٦هـ: ٧٢
ثالثًا: المشاكلة في القرن الرابع الهجري: ٧٥
١- المشاكلة عند قدامة بن جعفر ت سنة ٣٣٧هـ: ٧٥
٢- المشاكلة عند الرماني ت ٣٨٦هـ: ٧٦
٣- المشاكلة عند ابن فارس ت ٣٩٥هـ: ٧٨
٤- المشاكلة عند أبي هلال العسكري ت ٣٩٥هـ: ٧٩
رابعًا: المشاكلة في القرن الخامس الهجري: ٧٩
١- المشاكلة عند الباقلاني ت ٤٠٣هـ: ٧٩
٢- المشاكلة عند الشريف الرضي ت ٤٠٦هـ: ٨٠
٣- المشاكلة عند القاضي عبد الجبار ت ٤١٥هـ، ولدى مدرسة الاعتزال:
..... ٨١
٤- المشاكلة عند أبي على الفارسي ت ٤٦١هـ: ٨٦
٥- المشاكلة عند الشريف المرتضى ت ٤٣٦هـ: ٨٦
٦- المشاكلة عند ابن رشيق القيرواني ت ٤٦٠هـ: ٨٨
٢- المشاكلة عند ابن سنان الخفاجي ت ٤٦٦هـ: ٩٠
٣- المشاكلة عند الإمام عبد القاهر ت ٤٧١هـ: ٩١
خامسًا: المشاكلة في القرن السادس الهجري: ٩٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- المشاكلة عند الزمخشري ت ٥٣٨هـ: ٩٣
سادسًا: المشاكلة في القرن السابع الهجري: ٩٥
١- المشاكلة عند فخر الدين الرازي ت ٦٠٦هـ: ٩٥
٢- المشاكلة عند أبي يعقوب السكاكي ت ٦٢٦هـ: ١٠٠
٣- المشاكلة عند ابن الأثير ت ٦٣٧هـ: ١٠٣
٤- المشاكلة عند ابن أبي الأصبع ت ٦٥٤هـ: ١٠٥
٥- المشاكلة عند بدر الدين بن مالك ت ٦٨٦هـ: ١١١
سابعًا: المشاكلة في القرن الثامن الهجري: ١١٣
١- المشاكلة عند يحيي بن حمزة العلوي ت ٧٠٥هـ: ١١٣
٢- المشاكلة عند الخطيب القزويني ت ٧٣٩هـ: ١١٦
٣- المشاكلة عند ابن القيم الجوزية ت ٧٥١هـ: ١٢٠
ثامنًا: المشاكلة فيما بعد القرن الثامن الهجري: ١٢٧
١- المشاكلة عند أصحاب شروح التلخيص: ١٢٨
٢- المشاكلة لدى السيوطي ت ٩١١هـ: ١٣٣
٣- المشاكلة عند الشيخ عبد المتعال الصعيدي وغيره من المعاصرين: ... ١٣٤
المبحث الثاني ١٣٦
تطور المشاكلة من الناحية الفنية ١٣٦
ومن حيث الاستخدام البياني ١٣٦
أولًا -المشاكلة في الشعر الجاهلي: ١٣٦
ثانيًا :المشاكلة في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم: ١٤٣
١- المشاكلة في إطلاق الملل على انقطاع فضل الله سبحانه: ١٤٣

٢- إطلاق صفة الإعراض على الجزاء مشاكلة: ١٤٦
٣- إثبات صفة الحياء في حقه سبحانه مشاكلة: ١٤٨
٤- إطلاق اسم الشجرة على النخلة مشاكلة: ١٥٢
٥- إطلاق اسم العقوبة على الجزاء مشاكلة: ١٥٢
٦- إطلاق الغيرة في حقه سبحانه مشاكلة: ١٥٤
٧- إطلاق النَّفْس على الله سبحانه مشاكلة: ١٥٦
ثالثًا :المشاكلة في العصر العباسي (المتنبي ت٣٥٤) نموذجًا: ١٦٠
المبحث الثالث ١٧٥
خصائص ومميزات (المشاكلة)..... ١٧٥
إبان المراحل التي مرت بها ١٧٥
المرحلة الأول.. مرحلة المشاكلة الفطرية:..... ١٧٥
المرحلة الثانية: مرحلة اختلاط المشاكلة بمسائل البيان وألوان البديع الأخرى.
..... ١٧٧
المرحلة الثالثة: مرحلة تداخل المصطلحات وبداية فصلها عن مسائل البيان ١٨٠
المرحلة الرابعة: مرحلة تداخل المصطلحات البديعية مع ظهور مصطلح (المشاكلة) واعتباره من البديع اللفظي ١٨٣
المرحلة الخامسة: مرحلة الاستقرار وإدخال (المشاكلة) في المحسنات المعنوية ١٨٥
المشاكلة بين الحقيقة والمجاز ١٨٨
المبحث الأول..... ١٨٩
آراء البلاغيين في حقيقة المشاكلة وبيان الراجح منها..... ١٨٩
أولًا: آراء البلاغيين في حقيقة المشاكلة: ١٩١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

(١) مذهب القائلين أن المشاكلة من (المجاز المرسل): ١٩١
(٢) مذهب القائلين بأن المشاكلة من قبيل الاستعارة: ٢٠١
(٣) مذهب القائلين إن المشاكلة من قبيل الحقيقة لا المجاز: ٢٠٦
(٤) مذهب القائلين أنها واسطة بين الحقيقة والمجاز: ٢٠٨
ثانيًا: التوفيق بين آراء البلاغيين في كون المشاكلة من الحقيقة أو المجاز والرأي الراجح في ذلك ٢١٤
قرينة المجاز في المشاكلة: ٢٢٤
المبحث الثاني ٢٢٦
المشاكلة في مقام الحديث عن ذات الله وصفاته.. ..... ٢٢٦
أولًا: المشاكلة في مقام الحديث عن ذات الله وصفاته: ٢٣٥
أ – إطلاق صفة النفس على الله سبحانه مشاكلة: ٢٣٥
ثانيًا: موقع المشاكلة من البلاغة العربية: ٢٤٨
المشاكلة في القرآن الكريم ٢٥٣
مواقعها وتنوعاتها ٢٥٣
تمهيد ٢٥٤
المبحث الأول ٢٥٨
المشاكلة في القرآن في مقامات الحديث عن: ٢٥٨
ثانيًا: المشاكلة في مقام الحديث عن العدل بالمجازاة على الفعل بمثله ٢٦٥
ثالثًا: المشاكلة في مقام الحديث عن الندب إلى الفضل بعد مشروعية العدل ٢٧٠
رابعًا: المشاكلة في مقام الحديث عن التكثير والموالاة والمبالغة ٢٧٥
خامسًا: في مقام الحديث عن التنبيه على عظم شأن أنبيائه وأوليائه سبحانه: ٢٧٨

سادسًا: المشاكلة في مقام التحذير من مكر الله والتنبيه على أنه من أعظم الذنوب: ٢٨٤
المبحث الثاني ٢٩١
المشاكلة في القرآن في مقام ٢٩١
ثانيًا: المشاكلة في مقام الحديث عن الإشعار بعلة الحكم..... ٢٩٤
ثالثًا: المشاكلة في مقام الحديث عن التعجيز والتنبيه على ما يجب أن يكون عليه حال المكلف من الخوف..... ٢٩٧
رابعًا: المشاكلة في مقامات الحديث عن إفادة التوبيخ والتقريع والتهكم والتهديد: ٣٠١
خامسًا: المشاكلة في مقام الحديث عن جواب المعاندين في مقابلة أقوالهم وأفعالهم: ٣٠٥
المشاكلة في النظم القرآني.. ..... ٣١٤
ما جاء منها على حدِّ المجازاة علي الأفعال السيئة وما لم يجئ كذلك ٣١٤
المبحث الأول..... ٣١٥
المشاكلة في صفات المجازاة..... ٣١٥
أولًا: إطلاق السخرية على وجه المجازاة مشاكلةً ٣١٥
ثانيًا -إطلاق صفة الخداع على الله على جهة المجازاة مشاكلةً..... ٣٢٠
ثالثًا -إطلاق الاستهزاء على الله على جهة المجازاة مشاكلة..... ٣٢٦
رابعًا - استعمال الكيد في حقه سبحانه على جهة المجازاة مشاكلةً ٣٣٢
خامسًا -تسمية الجزاء باسم الإزاغة مشاكلةً..... ٣٣٨
سادسًا -تسمية الجزاء باسم النصر مشاكلةً ٣٤٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

سابعًا ـ مواضع إطلاق صفة المكر في حق الله تعالى على وجه المجازاة مشاكلةً ٣٤٣
تاسعًا: إطلاق الثواب على الجزاء السيء مشاكلةً ٣٥٩
عاشرًا ـإطلاق صفة النسيان في حقه سبحانه على وجه المجازاة مشاكلةً ٣٦١
البحث الثاني..... ٣٦٦
المشاكلة في غير صفات المجازاة ٣٦٦
أولًا: إطلاق الصبغة على الإيمان بالله وإظهار شعائره: ٣٦٦
ثانيًا: تسمية الجزاء بالعدوان: ٣٧٢
ثالثا ـتسمية البدل جنتين: ٣٧٦
رابعًا ـإطلاق الغوث على الجزاء السيئ..... ٣٧٦
خامسًا ـإطلاق الهمّ على الدفع والضرب..... ٣٧٧
سادسًا ـإطلاق العقاب على المجازاة على الفعل..... ٣٨٠
سابعًا ـتسمية الزحف مشيًا: ٣٨٥
ثامنًا ـإطلاق كلمة (الدِّين) على ما عليه المشركون:..... ٣٨٧
تاسعا ـإطلاق السيئة على الجزاء العادل ٣٩٠
تنوع المشاكلة في النظم القرآني باعتبار..... ٣٩٥
الحقيقة والمجاز..... ٣٩٥
المبحث الأول..... ٣٩٦
ذكر الشيء بلفظ غيره..... ٣٩٦
لوقوعه في صحبته على جهة المجاز ٣٩٦
أولًا :ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته على جهة المجاز..... ٣٩٧

المبحث الثاني ٤١٠
ذكر الشيء بلفظ غيره ٤١٠
لوقوعه في صحبته على جهة الحقيقة ٤١٠
١- المشاكلة في صفة الحياء-: ٤١٦
٢- المشاكلة في صفتي السخرية والاستهزاء: ٤٢٠
٣- المشاكلة في صفتي الخداع والكيد: ٤٢٢
المشاكلة في صفتي الإزاغة والصرف: ٤٢٥
٤- المشاكلة في صفة النسيان: ٤٢٩
٥- المشاكلة في صفة النفس: ٤٣٤
٦- المشاكلة في صفة المكر: ٤٣٨
خلاصة الأمر: ٤٤٥
الخاتمة ٤٤٧
الفهارس ٤٦٠
فهرس الآيات القرآنية ٤٦١
فهرس الأحاديث النبوية ٤٧٨
فهرس المصادر والمراجع ٤٨٢
فهرس الموضوعات ٤٩٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كتب للمؤلف

- (التصوير البياني في كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري.. دراسة ومقارنة)، رسالة (العالمية الدكتوراة)، ط. دار الحرم للتراث.
- (المشاكلة.. دلالتها ومواقعها في القرآن الكريم)، رسالة (التخصص الماجستير)، ط. دار الحرم للتراث.
- (موروثنا البلاغي والأسلوبية الحديثة: دراسة وموازنة).. ط. دار الحرم للتراث.
- (سيرًا على خُطا الأشعري.. أئمة الخلف يتراجعون إلى ما تراجع إليه).. ط. دار الحرم للتراث.
- (موقف السلف من المجاز في الصفات)، ط. دار اليسر.
- (موقف السلف من تفويض الصفات).. ط. دار اليسر.
- (ومضات على موقف السلف من التفويض والتجوز في الصفات) وقد جمع بين سابقَيه.
- (من بلاغة الوقف في القرآن الكريم).
- (أثر الوقف على حروف المعاني والبدء بها في إثراء المعنى واتساعه).
- (واو المعانقة في آي التنزيل بين العطف والاستئناف: دراسة بلاغية)..
- (أثر الوقف على القيود والبد بها في إثراء المعنى واتساعه)
- (كلا: دلالتها ومواقعها في القرآن الكريم).
- (التضمين في الأفعال بين النحاة وأهل البيان).

- (من بلاغة القرآن في التعبير بالغدو والآصال والعشي والإبكار).. وقد جُمعت هذه السبعة كتب في مؤلف تحت عنوان: (من طرائق الاتساع في معاني الذكر الحكيم).. ط. دار الحرم للتراث.
- (دور الخيال الشعري في النهوض بالصورة البيانية بين الأصالة والحداثة).. ط. دار الحرم للتراث.
- (شرح لامية البحتري في مدح محمد بن علي بن عيسى).. ط. دار الحرم للتراث.
- (قرائن اللغة والعقل والنقل في حمل صفات الله الخبرية والفعلية على ظاهرها دون المجاز)، ويقع في مجلدين.. ط. دار اليسر.
- (كشف الحجاب في ترجيح أدلة القائلين بفرضية النقاب).. ط. دار اليسر.
- (مجمل معتقد أبي الحسن الأشعري في توحيد الصفات).. ط. المكتبة الإسلامية.
- (تحفة الإخوان في صفات الرحمن.. إطلالة على رسالة العقائد ومنهج جماعة الإخوان في توحيد الأسماء والصفات).
- (براءة الحافظين.. النووي وابن حجر من عقائد الأشعرية والمتكلمين).
- (الغارة على العالم الإسلامي)، منشور ضمن كتب أخرى على موقع صيد الفوائد.
- (الخفاض: ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون﴾

- (التماس القدوة في خاتم النبيين وإمام المرسلين).. وقد جمعت هذه الخمس الأخيرة في كتاب بعنوان (دراسات في الفكر الإسلامي المعاصر)
- (معارج القبول.. سؤال وجواب).. قيد الإعداد
- (حقائق حول عدم أحقية اليهود في أرض فلسطين.. بموجب ما جاء في التوراة والإنجيل وفي آي التنزيل).. ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- (تقريب الإيضاح في: البلاغة وعلاقتها بالفصاحة – أحوال الإسناد الخبري ومكوناته).. وهو شرح ممزوج بمتن الإيضاح للخطيب القزويني جزء أول.. دار الحرم
- (الإيجاز.. في أدلة اللغة والعقل والنقل على حمل صفات الله على الحقيقة دون المجاز).. وهو مجمل لما جاء في (قرائن حمل صفات الله الخبرية والفعلية على ظاهرها دون المجاز) نشرت على هيئة حلقات بمجلة التوحيد التابعة لجمعية أنصار السنة المحمدية.
- (القول المبين في حكم التوسل بالموتى والمغيبين).. مفقود
- (إماطة اللثام عما تمس الحاجة لمعرفته من عقائد ووقائع وأحكام).. ط. دار ابن عباس.
- (ولايات المسلمين المعاصرة.. في ضوء معتقد أهل السنة وسلف الأمة).. ط. دار ابن عباس.
- (جدلية ورود المجاز في القرآن وحسم اللغط الحاصل حولها).. ط.دار الحرم للتراث
- (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم).. قيد الطبع

- (الإبانة في أصول الديانة).. تحقيق. أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي.. دار زهران
- (هذا معتقد أبي الحسن الأشعري.. فاتبعوه إن كنتم صادقين)
- (النقاب ضرورة اجتماعية وفريضة شرعية.. وتلك أدلته) طبعة مزيدة لما جاء في (كشف الحجاب).
- (قضية الفهم عن الله وعمن نأخذ ديننا؟)
- اتبعوا ولا تبتدعوا فد كفيتم) قيد الإعداد